مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية

ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي
Liban –Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

العام الثالث - العدد 24 – أكتوبر 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN 2311-5181

المشرفة العامة: د.سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دوريًا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير :

أ.د عاصم شحادة علي(الجامعة الإسلامية العالمية،ماليزيا).
د.دبيش فاتح (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥،قالمة،الجزائر).
أ.م.د فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية،ماليزيا).
د.سامية ابريعم(جامعة العربي بن مهيدي،أم البواقي،الجزائر).
أ.م.د السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية،ماليزيا).
د.رضوان شافو(جامعة الشهيد حمّه لخضر،الوادي،الجزائر).

رئيس اللجنة العلمية: أ.د.علي صباغ (جامعة قسنطينة ٢،الجزائر).

اللجنة العلمية:

د.نعموني مراد (جامعة لونيسي علي،البليدة ٢،الجزائر).
د.براك خضراء (جامعة تبسة،الجزائر).
أ.م.د داود عبد القادر إيليغا(جامعة المدينة العالمية،ماليزيا).
د.بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل،الجزائر).
د. بشرى سعيدي (جامعة مولاي اسماعيل،المغرب).
د.مراد علة(جامعة زيان عاشور،الجلفة،الجزائر).
د.طيب العيادي(جامعة محمد الخامس الرباط،المغرب).
د.ساسي سفيان (جامعة الطارف،الجزائر).
د.تاج الدين المناني(جامعة كيرالا،الهند).

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد :

أ.م.د.صلاح كاظم هادي العبيدي (جامعة بغداد،العراق).
د.م. إسراء كاظم الحسيني (جامعة واسط،العراق).
د. أشرف صالح محمد سيد (جامعة ابن رشد، هولندا).
د.حسان سخسوخ (جامعة سطيف٢،الجزائر).
د.فاتن مبارك (جامعة قرطاج، تونس).
د.سلطان بلغيث (جامعة تبسة، الجزائر).
د.ليلى محمد العارف (جامعة المرقب، ليبيا).
د.مسلم فايز أبو حلو (جامعة القدس، فلسطين).
د.نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا).

التدقيق اللغوي :

د. أحلام نعمه لفته (الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق).

شروط النشر

ISSN 2311-5181

تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث.

- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها.

- البريد الإلكتروني للباحث.

- ملخَّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.

- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).

- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).

- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.

- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الالكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- الافتتاحية 9
- التخطيط الحضري في الجزائر:أدوات التهيئة والتعمير ومبدأ التشاور:صناعة القرار الحضري ديمقراطية أم بيروقراطية، أ.محمد الأمين حركات/جامعة باجي مختار عنابة 11
- النقوش التأسيسة و القرآنية في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز في اليمن سالم عبد الغني مقبل/مدرس بجامعة صنعاء، اليمن 23
- جوانب من السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر ١٨٣٠- ١٩٦٢ د.سفيان لوصيف/جامعة محمد لمين دباغين،سطيف٢ 37
- دور وأهمية المتحف في حماية التراث المخطوط بالجزائر د.عبد الكريم خبزاوي/جامعة تلمسان 45
- التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين- دراسة ميدانية بجامعة بسكرة- د.بومعراف نسيمة/جامعة بسكرة، د.برغوتي توفيق/جامعة باتنة١ 61
- اللغة والهوية عند المراهق أ.د.كحلولة رحاوي سعاد/جامعة وهران ٢ أ.توهامي سفيان/جامعة سعيدة 73
- مستوى الطموح وعلاقته بالقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج: (ماستر،ماجستير،دكتوراه) د.العياشي بن زروق•أ.حميدة بودالي/جامعة الجزائر٢ 85
- آراء الطلبة تجاه حقوق المواطنة و واجباتها:-دراسة ميدانية بمعهد التربية البدنية و الرياضية بجامعة قاصدي مرباح،ورقلة- أ.بومهراس الزهرة•أ.عميرات فاطمة/جامعة قاصدي مرباح ورقلة 103
- رحلة لجوء الأمير العثماني جم في أوربا من خلال الكتابات التاريخية الأجنبية أ.عبد الحفيظ دحدح/جامعة الجزائر٢ 113

- **واقع وآفاق الطاقات المتجددة في الجزائر ومساهمتها في تفعيل التنمية المستدامة** أ.د شريف غياط/جامعة قالمة أ.مهري عبد المالك/جامعة تبسة 125
- **التعليم الالكتروني ركيزة مجتمع المعرفة** د.لطفية على الكميشي/جامعة طرابلس،ليبيا 141
- **المعابد المصرية في عصور ما قبل التاريخ** د.زينب عبد التواب رياض خميس/جامعة أسوان،مصر 153
- **تطبيقات الإعلام الجديد في مجال التعليم العالي- المدونات التعليمية الإلكترونية نمودجا-** أ.سوسن سكي•أ.سبتي فايزة/جامعة سطيف ٢ 161
- **الأصول النظرية للفكر النهضوي المغربي على عهد الحماية:الأسس والمنطلقات** د.أنس الصنهاجي/كلية الآداب والعلوم الإنسانية،ظهر المهراز،فاس،المغرب 175
- **جينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه** أ.عبد الله مصطفى/جامعة لونيسي علي البليدة ٢ أ.غريب مختار/جامعة قاصدي مرباح،ورقلة 189

الإفتتاحية

اللهم إنا نحمدك حمد الشاكرين، ونستعينك ونستهديك سواء السبل، ونستلهمك التوفيق في الأعمال، ونعوذ بك من الفشل والكسل والزلل،ونرجو منك التثبيت في المبدأ الحسن،ونسألك أن تصلي على من بعثته هدى ورحمة للعالمين،سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،أما بعد:

تقدم مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية" عددها الرابع والعشرين، في حلة مصففة ومنظمة ومضبوطة بقواعد علمية دقيقة،حيث يضم هذا العدد رزنامةً متميزةً من المقالات والمواضيع الأكاديمية التي تعالج قضايا واقعية تدعم المكتبات الجامعية في الوطن العربي.

ضم العدد مواضيعًا نابعةً من تخصصات متباينة ومتكاملة تدعم مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصَّة فيما يخص الدراسات الميدانية والتطبيقية التي تمس الواقع المعيش.

يبقى الوتر الرئيسي والعمود السميك للمجلة هو النجاح الدائم واعتماد التنوع في البحوث العلمية ومصادر إرسالها ومطابقتها مع الشروط العلمية المتفق عليها، لذلك أبواب المجلة دائمًا مفتوحة لاستقبال كل الأعمال سواءً من طرف الأساتذة أو طلبة الدراسات العليا.

والله ولي التوفيق والنجاح

رئيس التحرير / أ. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2016

التخطيط الحضري في الجزائر أدوات التهيئة والتعمير ومبدأ التشاور:صناعة القرار الحضري ديمقراطية أم بيروقراطية

أ.محمد الأمين حركات/جامعة باجي مختار عنابة

ملخص:

ينطلق المقال من فكرة مركزية وهي أن التخطيط الحضري ليس إلا صناعة وتحديد لمعالم المستقبل الحضري، إنه يعني بطريقة مباشرة وبنفس درجة القوة السلطة العمومية من جهة والمجتمع ككل من جهة أخرى أنه تعبير قوي عن وجود -أو عدم وجود- مشروع مجتمع ومشروع المدينة.

إن دستور١٩٨٩ م في الجزائر كان محطة إصلاحية أولى للانتقال الديمقراطي والإصلاح الاقتصادي،هذا الدستور كان وراء تغير المنظومة القانونية التشريعية المؤطرة للتخطيط الحضري في الجزائر مع صدور القانونين المرجعيين القانون٩٠ ٢٩ المتعلق بالتهيئة والتعمير والقانون٩٠ ٢٥ المتضمن التوجيه العقاري.

الإصلاح انطلق من فكرة محاولة الانتقال من تعمير مركزي بيروقراطي إلى تعمير تشاوري ديمقراطي يجسد فعليا الحوكمة الحضرية.

تحليل القانونيين المذكورين أعلاه ورصد الممارسات الحضرية الفعلية،بين فشل تحقيق انتقال حقيقي نحو أدنى مستويات الحوكمة الحضرية وعزوف- أو إبعاد- المجتمع المدني عن المشاركة في صناعة القرار الحضري.

وراء هدا الوضع نقائص على مستوى المنظومة القانونية التشريعية المؤطرة للتخطيط الحضري وهيمنة شديدة للآلة البيروقراطية،كما يحاول المقال أن يقدم اقتراحات عملية من اجل بداية تطبيق فعلي لمبدأ الحوكمة الحضرية.

الكلمات المفتاحية: التخطيط الحضري- أدوات التهيئة والتعمير- الاستشارة- الاستقصاء العمومي- تعمير بيروقراطي- جمعيات المجتمع المدني.

مقدمة

في فترة النظام الاشتراكي التي ميزت البلاد من الاستقلال إلى غاية التسعينات من القرن الماضي تميز التخطيط الحضري في الجزائر سواء على مستوى البنية الفكرية والمنظومة التشريعية القانونية والممارسات الحضرية بطابع مركزي إداري معمم ومنمط،التحولات الوطنية والدولية في ثمانينات القرن الماضي والتخلي عن النموذج الاشتراكي الشمولي واعتماد اختيارات جديدة ذات طابع ديمقراطي ليبرالي أدت إلى محاولة وضع وتاطير وممارسة تخطيط حضري أكثر ديمقراطية وأكثر انفتاحا على مساهمة ومشاركة المجتمع المدني.

انطلاقا من هذا فان المقالة ستركز على **عناصر** تفكير أساسية :

الإطار السياسي العام الذي صدر ضمنه القانون -الإطار- ٢٩٩٠ المتعلق بالتهيئة والتعمير.

عرض محاولة الانتقال إلى تعمير ديمقراطي تشاوري.

توضيح للنقائص والحدود التشريعية-القانونية فيما يخص ضمان تحقيق فعلي لمبدأ التشاور في صناعة القرار الحضري في مرحلة إعداد أدوات التهيئة والتعمير.

تقديم اقتراحات مباشرة على مستوى القانون٢٩٩٠ من أجل ضمان انتقال فعلي نحو ممارسة حقيقية وصريحة للتشاور فيما يخص قضايا التعمير والمدينة.

١- ظروف صدور القانون٢٩٩٠ :

في الأول من ديسمبر١٩٩٠ الموافق لـ١ جمادي الأول عام١٤١١ هـ صدر القانون٢٩٩٠ المتعلق بالتهيئة والتعمير .

صدر القانون في مناخ سياسي وسياق تاريخي جديدين لم تعرفه الجزائر منذ استقلالها كرسهما دستور١٩٨٩ م.

إن دستور١٩٨٩ م لحظة سياسية مهمة في تاريخ الدولة الوطنية التي ظهرت بعد استقلال البلاد سنة١٩٦٢ م،هذا الدستور يقسم التاريخ السياسي العام للجزائر المستقلة إلى مرحلتين متمايزتين قبل وبعد١٩٩٠ م،في جميع الميادين والمستويات.

فيما يهم موضوعنا،فإن مجموع المنظومات التشريعية-القانونية،بما فيها تلك المتعلقة بميدان التعمير والمدينة،لا تظهر بشكل ما في وسط معين في سياق محدد إلا انطلاقا من مجموعة من المعطيات والاختيارات،وضمن سياق سياسي عام يحدد شكلها،خصائصها أدواتها وأهدافها،حيث الاختيارات الإيديولوجية-السياسية،طبيعة نظام الحكم وشكل تنظيم الدولة والمجتمع تعتبر أهم المعطيات والاختيارات " التعمير ميدان فلسفي حيث تتصارع القيم"[1].

بشكل عام ومتجاوزين النقاش الإيديولوجي والتحاليل السياسية فإن هذا الدستور - دستور١٩٨٩ م - أسس أو حاول التأسيس لنظام يرتكز على:

-إنهاء احتكار الدولة.

- محاولة الانتقال إلى نظام سياسي تعددي ديمقراطي.

- محاولة الانتقال نحو اقتصاد حر يعتمد على قانون السوق.

- اكتفاء الدولة بمهام الضبط والمراقبة.

إذن فالقانون٢٩٩٠ هو ترجمة لهذه الاختيارات الجديدة والمبادئ الكبرى لدستور١٩٨٩ م وهو بداية لرسم معالم نظام تعمير "جديد" .

الحقيقة كانت أعمق وأشمل من حيث وضع فلسفة ومنطق وأسس جديدة للتعمير ونظام التعمير، الأدوات ليست إلا الجزء الذي يحقق الانتقال بالتخطيط الحضري من تخطيط مركزي منمط إلى تخطيط حضري محلي تشاوري وبمنطق

1) Françoise choayhttp://www.eyrolles.com/Accueil/Auteur/francoise-choay-48128 L'urbanisme utopies et réalités Une anthologie éditions seuil France 446 pages 1979 ,p112.

اقتصاد السوق ،ولن تحقق الأدوات هذه النتائج المرجوة إن لم تستوعب وتترجم فلسفة وغايات هذا التخطيط الحضري الجديد الذي أتي مع دستور١٩٨٩م والقانون٩٠ ٢٩.

٢- نحو تعمير تشاوري ديمقراطي:نوايا طيبة و/ أو مبادئ عامة:

إن أسس التعمير التشاوري الديمقراطي المتضمنة في القانون٩٠ ٢٩ هل تضمن فعلا تمتع الممارسات المتعلقة بالتخطيط الحضري الجزائري بصفة الحوكمة الحضرية .

حاول القانون٩٠ ٢٩ في فلسفته وروحه أن ينتج أدوات تهيئة وتعمير تعبر عن تعمير ديمقراطي تشاوري ومحلي ينهي هيمنة الدولة على قطاع التعمير والأهم ليس هذا وإنما ما هي الفرص الحقيقية والموضوعية لأن يتحقق هذا فعلا.

والمشكلة هنا لا تعني فقط التخطيط الحضري وأدوات التهيئة والتعمير، قدر ما تعني السياق العام، نظام الحكم والتنظيم الاجتماعي–الاقتصادي للمجتمع والنماذج الثقافية السائدة والعلاقات الإنتاجية والتنظيمية... الخ " فالباحث نيجل تايلور في كتابه المشهور الصادر عام١٩٤٩ ،يرى أن التعمير ليس علم من العلوم الاجتماعية فقط بل إنه "شكل من أشكال الفعل الاجتماعي المترافق مع بعض القيم المعنوية السياسية والجمالية - الرمزية بهدف إعطاء شكل للوسط الفيزيائي الاجتماعي الحضري"[1]،بل إن العالم هنري ليفبير يصف التخطيط الحضري "بالإيديولوجية"[2]،أي أنه موقف ثقافي- قيمي من ونحو المدينة.

إن كان القانون٩٠ ٢٩ بذاته يمثل نقلة في تاريخ وخصائص التخطيط الحضري في الجزائر المستقلة وإن كانت روح الإصلاح فيه واضحة ،وبالمثل محاولة الانتقال إلى تعمير تشاوري ديمقراطي ومحلي مؤكدة،فلا شيء في القانون يسمح بالجزم بوجود ضمان حقيقي لتحقيق هذه النقلة النوعية،كما أن السياق الوطني العام بكل عناصره ما زال- وإلى يومنا هذا - غير منسجم مع فلسفة وروح القانون٩٠ ٢٩ المتعلق بالتهيئة والتعمير،وفي النص القانوني يمكن ضمن هذا المعنى إيراد الملاحظات التالية :

فمهمة إعداد أدوات التهيئة والتعمير(المخططات التوجيهية للتهيئة التعمير ومخططات شغل الأراضي) أنيطت بالمجالس الشعبية البلدية "المنتخبة "،والتعمير أصبح من مهام وصلاحيات رؤساء المجالس الشعبية البلدية.

مثلما تشير إليه المادة٢٤ من القانون٩٠ ٢٩ المتعلق بالتهيئة والتعمير التي نصها "يجب تغطية كل بلدية بمخطط توجيهي للتهيئة والتعمير، يتم إعداد مشروعه بمبادرة من رئيس المجلس الشعبي البلدي وتحت مسؤوليته".

لكن هذه النقلة وهذه اللامركزية لم تلغي حضور وهيمنة سلطة الإدارة المركزية،ولم يحدث نقل تام لمهام التعمير،إنما تقاسم،ولو أن تطور الأمور فيما بعد حول هذا التقاسم إلى هيمنة فعلية للإدارة المركزية والمحلية على حساب تلك المجالس "المنتخبة"،ففي الأخير فالمصادقة النهائية على المخططات التوجيهية للتهيئة التعمير تتم بقرار من الوالي أو بقرار وزاري أ وبمرسوم تنفيذي (المادة٢١ من القانون٩٠ ٢٩)وتأتي بعد موافقة المجلس الشعبي البلدي (المادة٢٩ من القانون٩٠ ٢٩).

هذه النقلة أو المحاولة لم تصاحبها على المستوى الهيكلي أي تغيير في بنية الإدارة المكلفة بالتعمير البناء والهندسة المعمارية وبقيت مديريات التعمير ومديريات السكن والتجهيزات العمومية وكأنها الهيئة «الوصية"أو المحتكرة للتعمير في الجزائر،ولم تخلق هيئات ووسائط إدارية محلية تترجم فعلا محاولة الانتقال إلى تعمير تشاوري ديمقراطي ومحلي.

1) Nigel Taylor Urban Planning Theory since 1945 (Anglais) editions Broché 1998.
2) **Henri Lefebvre, *Le droit à la ville*, Paris, Éditions Anthropos, 1968**.

✓ الهيئة الوحيدة التي كان يمكن لها أن تكون فاعل في هذا التعمير الديمقراطي التشاوري والمحلي هي"لجان الهندسة المعمارية والتعمير والمحيط المبني"وهي لجان ولائية منصوص عليها في المرسوم التشريعي٩٤٠٧ المؤرخ في١٨ مايو١٩٩٤ م المتعلق بشروط الإنتاج المعماري وممارسة مهنة المهندس المعماري المعدل بالقانون٠٤ ٠٦ الصادر في أغسط٢٠٠٤،لكن لم يحدث إلى يومنا هذا أن نصبت مثل هذه اللجان...؟ !

✓ على المستوى الهيكلي والإداري دائما فلم يكن هناك جهاز فعال ومستقل للسهر على التخطيط الحضري وأدواته من غير الهياكل الوزارية المركزية والمحلية،تأخر الأمر إلى٢٠٠٥ م (أي عشريتين من صدور القانون٩٠ ٢٩) أي مع صدور المرسوم التنفيذي٠٥ ٣٤٤ المؤرخ في٢٢ أكتوبر٢٠٠٥ المتضمن إنشاء الوكالة الوطنية للتعمير،حيث تعد الأداة الأساسية– لكن للدولة – في مجال إعداد ومتابعة مخططات التهيئة والتعمير (المادة٠٩ من المرسوم).

3- الاستقصاء العمومي يأتي في الأخير ومتأخرا:

تضع المادتين (٢٦) من القانون٠ ٩٠ ٢ بالنسبة للمخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير والمادة(٣٦) بالنسبة لمخططات شغل الأراضي،الاستقصاء العمومي الذي يخص إحدى الأداتين (كمشروع) بعد موافقة البلدية أو البلديات المعنية،أي بعد " الموافقة" على المشروع وقبل "المصادقة" على الأداة بقرار من الوالي أو الوزير المكلف بالتعمير أو بمرسوم تنفيذي هذا بالنسبة للمخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير،فحين أن المصادقة على مخططات شغل الأراضي فتتم عن طريق مداولة المجلس الشعبي البلدي أو المجالس الشعبية البلدية.

و بين الموافقة على"المشروع" والمصادقة النهائية على"الأداة "يكون"الاستقصاء العمومي" وتكون هناك إمكانية لتعديل مشروع الأداة المقترح،وقبل كل هذا تكون قد مرت مرحلة "الاستشارة "بنص المادة(١٩) من القانون٠ ٩٠ ٢.

استشارة.

مشروع أداة.

استقصاء عمومي.

تعديل محتمل لمشروع الأداة.

فمصادقة.

هل الخطوات الإجرائية– القانونية هده تشكل ضمانة فعلية وفعالة لإنتاج أدوات تعمير تشاوري ديمقراطي ومحلي ؟ ويمكن أن نتساءل:

ما هو شكل الاستشارة ؟ ونتيجتها ؟

جدوى وفاعلية الاستقصاء العمومي ؟

حدود ومناهج وصدقية التعديل ؟

لكن على سبيل التنبيه المنهجي نشير إلى أننا نتناول هذه المناقشة داخل بنية المنظومة القانونية المؤطرة للتعمير أي خصوصا القانون٠ ٩٠ ٢ ومراسيمه التنفيذية .

و للإجابة عن التساؤلات المطروحة سنستعين أكثر بالمراسيم التنفيذية المتعلقة بالقانون٠ ٩٠ ٢.

–ما هو شكل الاستشارة ؟:

بالنسبة للمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير:

المواد (٦ ،٧ ،٨ ،٩) من المرسوم التنفيذي١٧/٩١ المؤرخ في٢٨ مايو١٩٩١ الذي يحدد إجراءات إعداد المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير والمصادقة عليه ومحتوى الوثائق المتعلقة به :

- ✓ جمع الآراء (أثناء مرحلة الدراسة)في إطار تشاوري (المادة٦٠ من٩١/١٧) مع مختلف الهيئات والمصالح العمومية والإدارات العمومية والجمعيات المعتمدة
- ✓ استشارة اختيارية بالنسبة لرؤساء غرف التجارة، الفلاحة والمنظمات المهنية والجمعيات المحلية.
- ✓ استشارة إلزامية (وجوبا):إدارات ومصالح التعمير،الفلاحة،الري،النقل،الأشغال العمومية،الثقافة والسياحة، البريد والمواصلات،توزيع الطاقة والماء،النقل..
- ✓ استشارة بقائمة مغلقة (قرار بلدي) يحدد قائمة اللذين "طلبوا" استشارتهم والذين « تجب" استشارتهم.
- ✓ **بالنسبة لمخطط شغل الأراضي:**

المادة (٨،٧،٦) من المرسوم التنفيذي١٧/٩١ المؤرخ في٢٨ مايو١٩٩١ الذي يحدد إجراءات إعداد مخططات شغل الأراضي والمصادقة عليها ومحتوى الوثائق المتعلقة بها.

و دون إغراق في التفاصيل القانونية والإجرائية فيمكن القول أن الإيجابي هو النص صراحة على إمكانية (وليس إجبارية)مشاركة الجمعيات المحلية والغرف والمنظمات المهنية لكن قد تحدث الاستشارة بدونها إن لم تستجيب للدعوة أو إن لم تصلها الدعوة أو لم تدعى أصلا.

كما أن توقيت الاستشارة مهم:

فهو يبين الحد الفاصل بين " الاستشارة الفعلية " و" الاستشارة" التي هي أقرب إلى التعليق أو "إبداء رأي".

فالمادة٩٠ من المرسوم١٧/٩١ تشير إلى أن "مشروع" المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير المصادق عليه بمداولة المجلس الشعبي البلدي أو المجالس الشعبية البلدية هو الذي"يبلغ"(أي يرسل) إلى الإدارات والمصالح العمومية والجمعيات ويعطي لها٦٠ (ستون يوما) لإبداء آراءهم وملاحظتهم،وبين تحديد قائمة من يتشاور إلى حين إبداء الرأي في مشروع الأداة،فلا شيء ينبئ بإلزامية وحقيقة مشاركة تلك الهيئات والمصالح العمومية والجمعيات في بلورة وصياغة المشروع،ما دام القانون -تقنيا- لا يشير إلى مرحلة "ما قبل المشروع"،ونظن أن البون جلي،بين أن نتشاور للمشاركة في صياغة مشروع او أن نتشاور لإبداء الرأي في مشروع .

كما أن المواطن العادي هل يمكنه أن يشارك في هذه الاستشارة ؟ (التي تسبق إجراء الاستقصاء العمومي) .

و الأهم:ما هي النتيجة القانونية والتقنية المباشرة للاستشارة هاته التي تسبق مرحلة التحقيق العمومي،ماذا لو كانت نتيجة الاستشارة سلبية،هل يعدل المشروع قبل طرحه للاستقصاء العمومي،ليس هناك في القانون٩٠ ٢ ومراسيمه التنفيذية ما يقدم إجابة صريحة.

لماذا تبدو الاستشارة (حول مشروع الأداة) مخصصة للهيئات والمصالح العمومية والجمعيات المحلية،فحين يبدو الاستقصاء العمومي موجة للمواطن والمجتمع المحلي؟ وسواء في الاستشارة أو الاستقصاء العمومي فالأمور تتم بشكل مباشر إداري ومجزئ.

فليس هناك مرحلة للإعلام والتحسيس والحوار والمناقشة قبل"الاستشارة القانونية " وقبل "الاستقصاء العمومي" كما أنه ليس هناك إطار قانوني- عملي يجمع جميع المتدخلين والمهتمين في وقت واحد وفي المرحلة الواحدة بشكل مستمر ومتتابع ، مما يمكن من نضج وتراكم التشاور والفعل الجماعي ويحقق الانسجام بين الإدارة والمجتمع .

- جدوى وفاعلية الاستقصاء العمومي :

كما ذكرنا سابقا ففي الأخير يأتي الاستقصاء العمومي والمشكلة ليست في الترتيب، إنما الترتيب يصبح مشكلة حين نصل إليه دون حدوث استشارة حقيقية ودون إعلام ومشاركة كافيين.

الملاحظات الميدانية المباشرة،واتصالات مباشرة مع بعض ورؤساء بعض بلديات ولاية سكيكدة وبعض من كلفوا بمهام محافظ محقق أعطى ملاحظة هي بذاتها مفارقة وتشكيك قوي في مصداقية هذا الاستقصاء،الملاحظة أن حجم ما يدون في السجل الخاص بالاستقصاء العمومي يتميز بخاصيتين:

الأولى: ضعف عدد الملاحظات المدونة بشكل لافت.

الثانية : الملاحظات القليلة مدونة عبارة عن ملاحظات ذاتية (حماية لملكية عقارية خاصة أو المطالبة بتسوية وبناء غير مرخص به) أو عامة أي ذات طبعة مطلبية اجتماعية (السكن،المرافق،النظافة...)،ويصاحب هذا عزوف شبه تام للمختصين والمثقفين وحتى الجمعيات عن " التدوين " في هذا السجل.

والملاحظة هذه فارقة لأن هذا العزوف،وهاته الذاتية والسطحية تحدث في مجتمع يعاني من أزمة حضرية مزمنة وضاغطة؟!

فلم يتحول سجل الاستقصاء العمومي حتى إلى"سجل شكاوي" والسبب الأول هو "جهل" المواطنين لقيمة وحتى لوجود أدوات التهيئة والتعمير،فالاستشارة كالاستقصاء العمومي عديمة الفائدة إن لم يدرك المواطن والمجتمع أولا : وجود ، ماهية وأهمية أدوات التهيئة والتعمير كمشروع وكمستقبل حضري ؟

و هذا بدوره لن يتم إلا إذا توفرت الأدوات - قانونيا وإجرائيا - على سبل الإعلام التحسيس المشاركة.

الأفدح من كل هذا،وحتى لا أورط نفسي في تحاليل ومقاربات الفرد المجتمع والسلطة والإعلام،وقضايا المجتمع المدني والحوكمة والحرية والديمقراطية،فمراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لتجمع ما بين بلديات سكيكدة لم يشارك ولم يشرك فيه المجلس المحلي لنقابة المهندسين المعماريين مثلا ولم تشارك فيه جامعة سكيكدة أيضا...؟ !!

كما أن ملاحظة مسؤول محلي وهل نخصص لهم (يقصد المواطنين) أجرة حتى يشاركوا ؟ !جديرة بالإصغاء ؟ !

- حدود منهج ومصداقية التعديل :

هو عنصر مهم لفحص قيمة وتأثير الاستقصاء العمومي على محتوى مشروع أداة من أدوات التهيئة والتعمير، التعديل المقصود هنا هو التعديل الذي يتم بعد طرح مشروع المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير الموافق عليه للتحقيق العمومي لمدة٤٥ يوما (المادة٢٦ من القانون٩٠ ٢٩ والمادة١٤ من المرسوم التنفيذي٩١ ١٧) أو بعد طرح مشروع مخطط شغل

الأراضي الموافق عليه للتحقيق العمومي لمدة ٦٠ يوما (المادة ٣٦ من القانون ٩٩٠ ٢٩ والمادة ١٤ من المرسوم التنفيذي ٩١ ١٧).والعبارة الواردة في النصوص القانونية التشريعية هي " بعد تعديله عند الاقتضاء "سواء للمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير أو مخطط شغل الأراضي.

و لم يوضح القانون ٩٩٠ ٢٩ ولا مراسيمه التنفيذية أسئلة جوهرية،كان يمكن أن تشكل علاقة مباشرة بين الاستشارة والتحقيق العمومي وحجم التعديل الذي قد يمس مشروع أداة من أدوات التهيئة والتعمير،كما أنه لم يوضح كيفية التعامل في حالة ما إذا تناقضت بشكل جوهري ورئيسي نتائج الاستشارة أولا والاستقصاء العمومي ثانيا مع الأفكار والاقتراحات الرئيسية المتضمنة في مشروع أداة ما،كما أن عبارة "بعد تعديله عند **الاقتضاء**"لم تتوضح ولم تتخلص من لبس منهجي وقانوني واضحين ؟ ما هي الضمانات الفعلية لأن تأخذ بعين الاعتبار فعلا نتائج الاستقصاء العمومي حين التعديل هذا المفروض أو المفترض ؟

٤- مجتمع مدني أم تجمع جمعيات:

لا يبدو أن هناك حضور ومشاركة ودور مؤثر للمجتمع المدني في بلورة التصورات والاقتراحات والاعتراضات في مرحلة إعداد (دراسات) أدوات التهيئة والتعمير في الجزائر، رغم أنه إحصائيا توجد ٩٢٠ جمعية على المستوى الوطني "[1].

صحيح أنها جمعيات في مجالات وميادين نشاط شتى، لكن هناك عدد معتبر ينشط فيما له علاقة قوية بالعمران والتعمير (عمران،بناء،الأحياء،المحيط والبيئة، المجتمع والمواطنة...) فلا وجود لحوكمة حضرية بدون مجتمع مدني .

فالحوكمة الحضرية لو أكتفينا بأحد التعاريف هي "نمط حكم المدينة،يشرك عدة فاعلين عموميين وخواص يؤدي إلى مشاركة فعلية لكل فاعل منهم ، مع البحث عن سبل التوافق"[2].

نعود إلى الرقم ٩٢٠ جمعية ، فانتشار الجمعيات وتزايد أعدادها لا يعبر بالضرورة عن وجود فعلي ومؤثر للمجتمع المدني " فغياب استقلالية ذاتية للفاعلين والجمعيات تجاه السلطة السياسية العمومية أحد اهم أسباب هذا الوضع "[3].

في حالة الجزائر فالنظام الجمعوي يبدو وكأنه ما زال خاضعا للسلطة العمومية ، ولكن قضية الحوكمة الحضرية ، تبقى قضية معقدة ارتباطا بموضوع التخطيط الحضري ككل فالتخطيط الحضري يتعامل مع المستقبل بصفة توقعية فحين أن الناس يعيشون يومهم ويهتمون بحاضرهم فتحديات ورهانات المستقبل تبدو بعيدة عنهم ومجردة لتلتقي مع انشغالاتهم.

هذاالعدد الضخم - أو المتضخم - من الجمعيات يفترض أن يشكل ضمانة حقيقية للتشاور وديمقراطية التعمير عندنا .

كما أنه من الصعب فعليا القول أن "التعمير المنتج"عن طريق أدوات التخطيط الحضري عندنا، فعلا تشاوري وديمقراطي أو محلي، توفر المقدمات (المبادئ) السليمة لم يحقق النتائج المرجوة.

---

١) رحموني نعيمة،التخطيط الحضري وأدواته:إشكالية النمو وعلاقة المدن/القرى حالة ولاية تيزى وزو ،أطروحة دكتوراه،جامعة مولود معمري،الجزائر سبتمبر ٢٠١٣.

٢) عدي إشكالية المجتمع المدني في الجزائر ،جريدة يوم وهران، ٣سبتمبر ٢٠٠٧.

3) **Jean-Paul Lacaze** Renouveler l'urbanisme. Prospective et méthodes **Presses des Ponts et Chaussées, France 2000, 192 pages page 66.**

٥ - التخلي عن تصنيع واصطناع الإجماع:

تحول إعداد واعتماد أدوات التهيئة والتعمير عندنا الى تصنيع للأدوات وتحقيق إجماع ما مفروض او مفترض،أي أن أدوات التهيئة والتعمير تحولت إلى صياغة إدارية-بيروقراطية بامتياز،بمساهمة-أو تواطؤ- مكاتب الدراسات،وعلى رأسها مديرية التعمير والبناء التي تحولت إلى "نقيب"مكاتب الدراسات !!؟

هاته الصناعة تعكس إدارة مازالت تترجم أبوية السلطة .و تعكس مداخل- مخارج توزيع ثروة الريع،كما تعكس هيمنة المركز على الأطراف،وحيث يبدو مال الريع مشروع مجتمع - بل المشروع الوحيد ..؟!

تم في النهاية هي إدارة تعتبر نفسها"وصي" على التعمير والمدينة.

اصطناع الإجماع يظهر في السرعة والكم التي تتميز بهما عملية إعداد والمصادقة والمراجعة لأدوات التهيئة التعمير،ولا تبدو محل معارضة أو عدم قبول،وهذا لا يعبر عن قبول لها أو أنها محل إجماع ، بقدر ما يعبر عن "قطيعة رهيبة "بين المجتمع المحلي والتخطيط الحضري ككل،قطيعة تصل إلى عدم اكثرات قاتل وعام.

نظن أن تذكير سريع بملامح التعمير عندنا واتجاهاته سيعزز طرحنا

- بقاء الريع والوظيفة الاجتماعية-التوزيعية للدولة .

- بقاء السلطة العمومية فاعلا رئيسيا في ميدان التهيئة والتعمير فحين التعمير التشاوري يشترط علاقات إنتاجية مجالية من طبيعة أخرى وفاعلين واضحين ومؤكدين تحذوهم إرادة الفعل الحضري.

- بقاء أزمة السكن طاغية على تعمير المدينة الجزائرية،لقد أصبح السكن منطقا قائما بذاته،ويكاد يختصر التخطيط الحضري ويرهنه،وهل لنا أن نتصور انسجام وتناسق إيديولوجية سكنية حضرية مهيمنة وكاسحة وروح الحوكمة الحضرية،ضمن مناخ يتميز بعفوية معممة،سواء من قبل السلطة العمومية والمجتمع.

٦ - إعادة صياغة صريحة للإشكالية واقتراحين:

" إجماع فاعلي التعمير ليس معطية مسبقة،لكنه أمر يبنى "[1].

إعادة الصياغة يجب أن تهتم بالتالي: كيف يتم بناء الإجماع ؟

ما هي الآليات الضامنة لتعمير ديمقراطي-تشاوري،إن هذا سيكون مبحثا مهما لعلم الاجتماع الحضري عندنا.

و هل هذا ممكن وبأية صيغ في مجتمع كالمجتمع الجزائري،فافتراض هدف نظري جميل منشود،لا قيمة له إن لم يتضمن آليات قانونية-عملية تمكن من السير والتقدم نحوه.

وهذا بدوره سيقود إلى طرح موضوع: كيفية وشروط صناعة القرار الحضري عندنا.

---

١) ستيفان ريبلود من التخطيط الى المشروع امتدادات وانقطاعات نظام الفعل العمومي أطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة ليون (٣) فرنسا،جويلية ٢٠٠٧.

اقتراح أول مباشرة على مستوى القانون ٩٩ ٢ المتعلق بالتهيئة والتعمير :

القانون لم يفصل بوضوح الآليات القانونية - العملية لهاته الاستشارة، فالمبادئ العامة المتعلقة بالتشاور ومشاركة المجتمع المدني كما وردت في القانون ٩٩ ٢ هي:

المادة ١ :التي نصها"ينشر المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير،ومخطط شغل الأراضي للمصادقة عليها باستمرار في الأمكنة المخصصة عادة للمنشورات الخاصة بالمواطنين التابعين للإدارة،وتلتزم السلطة التي وضعتها باحترام محتواهما ".

المادة ١٩ :"يجب استشارة الجمعيات المحلية للمستعملين والغرف التجارية والفلاحية والمنظمات المهنية أثناء إعداد المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأراضي".

المادتين ٢٦ و٣٦:تشيران إلى إمكانية تعديل المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأراضي أثناء التحقيق العمومي.

كما أن المادة ٦٨ من القانون ٩٠ ٢٥ المتعلق بالتوجيه العقاري تذكر- تخضع أدوات التهيئة والتعمير لأوسع إشهار ، وتوضع دائما في متناول المستعملين من الجمهور الذين يحتج بها عليهم ..."

هذه المبادئ العامة لم تفصل في المراسم التنفيذية (المرسوم التنفيذي ٩١ ١٧ المؤرخ في ٢٨ ماي ١٩٩١ الذي يحدد إجراءات إعداد المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير والمصادقة عليه ومحتوى الوثائق المتعلقة به،وكذلك المرسوم التنفيذي ٩١ ١٧ المتعلق بمخططات الأراضي)،لقد بقي التشاور وإشراك المجتمع المدني:

- مبدأ عاما نظريا دون إجراءات عملية حقيقية.
- بقي مبدأ كيفيا غير ملزم لا للبلديات ولا للجمعيات (المادة ٧ من المرسوم التنفيذي ٩١ ١٧).
- لم تتضح الكيفيات العملية لنشر وإشهار أدوات التهيئة والتعمير،سواء في مرحلة الإعداد أو بعد المصادقة عليها .

لاستدراك هاته النقائص على المستوى العملي، ولتجاوز عمومية المبدأ،غير المحددة ولا المحدودة يجب:

- توضيح كيفيات ومدة النشر والإشهار (قبل المصادقة)

- إضافة سبب أخر لمراجعة و/ أو تعديل أداة من أدوات التهيئة والتعمير وهو "فقدان" استشارة حقيقية ومشاركة فعلية للمجتمع المدني.

- توفير إمكانية التقاضي والطعن في شرعية أداة ما إذا ثبت فقدان التشاور ومشاركة المجتمع المدني في مرحلة إعدادها وبعد المصادقة عليها.

- إلزام الجمعيات المهتمة بميدان التعمير،المدينة والبيئة بأن تلتزم في قوانينها الداخلية بالمشاركة الإيجابية في إعداد أدوات التهيئة والتعمير ، فإن لم تشارك فماذا تفعل؟وهذا الالتزام قد ينتقل ليأخذ شكل تحفيزات مادية وأدبية تتناسب وحجم المساهمة والمواظبة عليها .

- اقتراح ثان مباشر على مستوى القانون ٩٩ ٢ :

مهم أيضا تفعيل مشاركة أهل الاختصاص،فلا بد أن يأخذ القانون ٩٠ ٢٥ بعين الاعتبار المرسوم التشريعي ٩٤ ٠٧ المؤرخ في ١٨ ماي ١٩٩٤،المتعلق بشروط الإنتاج المعماري وممارسة مهنة المهندس المعماري أو ما يعبر عنه معماريونا "بقانون لهندسة

المعمارية " - طبعا بالمعنى التنظيمي للمهنة- فهذا المرسوم تضمن إنشاء "اللجان الولائية للهندسة المعمارية والتعمير والمحيط المبني"ومثل هذه اللجان يمكن لها المساهمة في تثمين الاستشارة والمشاركة المفقودتين ، لكن عمليا فالأمر يحتاج إلى أن :

- تنصب هذه اللجان فعليا وهيكليا .
- أن تدمج قانونا كهيئة أو طرف يجب أن يكون مشاركا في تصور وإعداد أدوات التهيئة والتعمير.
- إعادة هيكلة هاته اللجان ويمكن اقتراح أن تتغير تسميتها إلى " اللجان الولائية للتعمير،الهندسة المعمارية والبيئة الحضرية".
- كما نضيف اقتراح توسيع تركيبتها البشرية إلى النقابات المهنية والوكالات العقارية،وممثلي الجمعيات المحلية،و المنتخبين،والجامعيين...
- التفكير في حوافز مادية وأدبية لأعضاء هذه اللجان الموسعة.

إن هذا الاقتراح يسعى إلى موازنة الأمور ، وتخفيف ضغط الآلة البيروقراطية ، وتعويض لا مبالاة المجتمع المدني ، لكنه لا ينحى نحو تعويض هيمنة الإدارة بهيمنة المختصين والتقنيين .

-تموضع الاستشارة والمشاركة ضمن سلسلة إجراءات إعداد أدوات التهيئة والتعمير:

يهدف هذا الاقتراح إلى البحث عن "تموضع" جيد للاستشارة والمشاركة في إعداد أدوات التهيئة والتعمير.

فانطلاقا من ملاحظتين :

الأولى:التحقيق العمومي يأتي في الأخير .

الثانية:يجب أن نميز بين استشارة - مشاركة تساهم في تشكيل اقتراح ما ، وأخرى تأتي كتعليق أو "كتزكية " لاقتراح ما والتموضع الجيد هدفه -مرة أخرى - محاولة ضمان" واقعية وفعالية" للاستشارة.

"مشاركة المواطنين فعلا هو إعطاؤهم دور المقرر وليس جمعهم لنقول لهم ايها السادة هذا هم مشروعنا"[1] إذن فقانون التهيئة والتعمير، عليه أن يعيد وضع هذه الاستشارة– المشاركة كمرحلة أولى تمهيدية في سلسلة إجراءات إعداد أداة من أدوات التهيئة والتعمير،أي استشارة حقيقية قبل اقتراح مشروع التهيئة،أي بالتعابير الإدارية الشائعة أن تتم هذه الاستشارة-المشاركة في المرحلة الأولى وليس في نهاية المرحلة الثانية من دراسات أدوات التهيئة والتعمير .

"الأمر لا يتعلق بالبحث عن الاقتراح الأفضل - إن كان يوجد أصلا - بل الحل (أو الاقتراح) الذي يضمن انخراط الفاعلين والمجتمع في التعمير، فالعمراني ليس عليه أن يقرر ما يجب فعله وما يجب عدم فعله،ولكنه يحضر عناصر القرار الحضري بصورة منهجية وعلمية "[2].

كما أن التجربة بينت أن " أفضل مخططات التعمير،هي تلك التي كانت ثمرة تفاوض وتشاو طويل"[3].

---

1) Henri Raymond , propos rapporté par Thierry Paquot dans la Revue Urbanisme n°307 Juillet/Août 1999 p.6 بتصرف لدواعي الترجمة.

2) Guerroudj tewfik : guide des PDAU et des POS en Algérie non publié 1993 page 66.

3) jean piere doumouvoit quand le droit se mêle d'hestitique revue des études foncières n19 éditions l'adef france2002.

- **تفعيل دور حقيقي للمجالس الشعبية البلدية في تصور إعداد وتطبيق أدوات التهيئة والتعمير:**

إعداد أدوات التهيئة والتعمير من مهام وصلاحيات المجلس الشعبي البلدي بنص القانونين٠ ٢٥٩ و ٢٥٩ هذا المبدأ مهم من حيث أن هذا المجلس هيئة منتخبة وتمثل المصلحة الجماعية والضمير الجمعي على المستوى المحلي، كما أنه مبدأ يعبر فعلا عن الطابع الديمقراطي التشاوري المحلي،لكن الممارسة بينت أن هذا المبدأ الأساسي أفرغ من محتواه الحقيقي وأهدافه الأصلية،بسبب هيمنة الإدارة على أدوات التخطيط الحضري (الولاية،مديرية البناء والتعمير...)،وكذلك هيمنتها على المجالس الشعبية البلدية،وهذا بذاته مرتبط بطبيعة النظام السياسي والحكم عندنا .

لم نجد بالملاحظة الميدانية أن التخطيط الحضري وأدواته (مشروع المدينة) يشكل اهتماما أو برنامجا واضحا للأحزاب السياسية في مشاريعها السياسية وحملاتها الانتخابية، وهذا الإهمال يبقى يلازمها حتى وإن استلمت إدارة بلدية ما .

على مستوى الاقتراح فالأمر مرتبط أكثر بالممارسة الفعلية أكثر من ارتباطه بالنصوص القانونية والتشريعية.

فعلى المجالس الشعبية البلدية استرجاع مهمة إعداد أدوات التهيئة والتعمير، أي أن تقوم بدور حقيقي في التعمير المحلي ، دور يبدو أنها تخلت عنه أو سلب منها !؟

هذا الدور الحقيقي وهذا "الاسترجاع "لن يكونا ممكنين إلا إذا ترافق هذا المبدأ مع سلسلة من الإجراءات التنظيمية العملية أهمها في رأينا :

- اعطاء الصلاحية لرؤساء المجالس الشعبية البلدية وحتى الولائية لإبرام اتفاقيات مع الجامعيين المختصين و المهنيين لتشكيل هيئة استشارية خصوصا في فترة إعداد وتصور أدوات التهيئة والتعمير،فمصالح العمران على مستوى البلدية تبدو منشغلة أكثر بتسيير التعمير (الرخص،الشهادات،المخالفات،...)

- اعطاء البلدية صفة المهيئ،لتصبح قادرة قانونيا وعمليا على المساهمة في تطبيق مضمون الأدوات.
- إبراز مهام البلدية في ميدان التعمير وخصوصا في ميدان الأدوات ضمن القانون البلدي.
- إعادة بعث وتنظيم الوكالة العقارية البلدية كمتدخل وفاعل في السياسة العقارية المحلية.
- أن تتم المصادقة على أدوات التهيئة والتعمير **بصفة متزامنة** بين الوالي ورئيس المجلس الشعبي البلدي.

خاتمة :

إن وراء الممارسات الحضرية البيروقراطية الملاحظة بسهولة أسباب قوية ضاغطة وتقدم نموذجا عن المناخ والمقدمات التي تتحكم في سير وصياغة كيفيات اعداد دراسات أدوات التهيئة والتعمير والتخطيط الحضري ككل متجاوزة روح وفلسفة المنظومة التشريعية-القانونية المؤطرة له وهي:

- القرار الإداري.

- أزمة السكن.

- الاستثمارات العمومية الضخمة.

هل يتم اختزال التعمير في برامج وتوجهات الإدارة (البيروقراطية) من جهة، ومن جهة أخرى في كم هائل من الدراسات والمخططات دون ادنى مشاركة للمواطنين والمواطنات.

هل لنا أن نتصور انسجام وتناسق إيديولوجية إدارية حضرية مهيمنة وكاسحة وروح الحوكمة الحضرية ، كيف يظهر تعمير ديمقراطي تشاوري ضمن مناخ يتميز بعفوية معممة سواء من قبل السلطة العمومية أو المجتمع ، فلا تشاور ولا ديمقراطية ضمن منطق "كاسح " للتسلط الإداري- البيروقراطي والثقافي.

قائمة المراجع:

١. رحموني نعيمة،التخطيط الحضري وأدواته:إشكالية النمو وعلاقة المدن/القرى حالة ولاية تيزي وزو، أطروحة دكتوراه،جامعة مولود معمري الجزائر،سبتمبر٢٠١٣ - غير منشورة-.

٢. عدي إشكالية المجتمع المدني في الجزائر،جريدة يوم وهران،٣سبتمبر٢٠٠٧.

٣. ستيفان ربيلود، من التخطيط إلى المشروع امتدادات وانقطاعات نظام الفعل العمومي،أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة ليون (٣)،فرنسا،جويلية ٢٠٠٧.

4. Françoise choayhttp://www.eyrolles.com/Accueil/Auteur/francoise-choay-48128 L'urbanisme utopies et réalités Une anthologie éditions seuil France 446 pages.

5. Chavalet.c: un projet de loi qui fera date revue diagonal n 141 janvier/février 2000.

6. Concertation et débat public actes du débat organise à Lyon le 14 juin 2000 certu.

7. Christian Marion : participation citoyenne au projet urbain éditions l'harmattan2010.

8. Nigel Taylor Urban Planning Theory since 1945 (Anglais)éditions Broché 1998 .

9. Henri *Lefebvre, Le droit à la ville, Paris, Éditions Anthropos*, 1996.

10. Henri Raymond,propos rapporté par Thierry Paquot dans la Revue Urbanisme n°307 Juillet/Août 1999.

11. Guerroudj tewfik : guide des PDAU et des POS en Algérie non publié 1993 .

12. jean piere doumouvoit quand le droit se mêle d'hestitique revue des études foncières n19 éditions l'adef france2002.

13. Jean-Paul Lacaze Renouveler l'urbanisme. Prospective et méthodes Presses des Ponts et Chaussées, 2000.

14. Joseph Salamon : urbanisme et concertation, méthode d'évaluation éditions territorial2011.

15. La concertation en aménagement, éléments méthodologiques, CERTU-Lyon 2000.

النقوش التأسيسة والقرآنية في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز في اليمن

سالم عبد الغني مقبل/مدرس بجامعة صنعاء، اليمن

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة وتوثيق النقوش التأسيسة بالمدرسة الأشرفية الكبرى بمدينة تعز في اليمن،لما لتلك النقوش من أهمية في إزاحة الغموض الذي يكتنف تاريخ عمارة المدرسة،إضافة إلى تأكيد أو نفي ما ورد في بعض المصادر والمراجع التاريخية حول مؤسس المدرسة وتاريخ بنائها،ذلك أن النقوش تعد من أوثق المصادر التي يمكن الإعتماد عليها.

والمدرسة الأشرفية واحدة من ثلاث مدراس إسلامية في المدينة لا تزال قائمة البنيان،وتزخر جميعها بكم هائل من الكتابات والنقوش التي للأسف الشديد يتعرض الكثير منها للطمس والإندثار نتيجة لقدم تلك المنشآت وعمرها الطويل،وماتحدثه العوامل الطبيعية من أضرار على تلك العمائر بشكل عام والنقوش والزخارف بشكل خاص،ناهيك عن الضرر البشري الناتج عن قلة الوعي والجهل بقيمة الأثر.

الكلمات المفتاحية:النقوش،العمارة.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن للكتابات أهمية كبرى في دراسة الآثار الإسلامية،لاسيما العمائر منها،فهي عبارة عن سجل تاريخي يمدنا بمعلومات غزيرة ومهمة عن كافة المنشآت التي دونت عليها،مما يخدم الباحثين في الآثار والتاريخ والفنون الإسلامية،كما أن الكتابات تعد من أشهر العناصر الزخرفية الإسلامية والتي اكتسبت سمة مميزة وطابعاً خاصاً .

وتعتبر العمائر الإسلامية، وخاصة الدينية منها،من أهم المجالات التي سجلت عليها الكتابات، ولم يكن الغرض الوحيد من تلك الكتابات معرفة المالك أو من قام بالبناء أو معرفة تاريخ البناء، فيما إذا كانت كتابات تأسيسية، أو التبرك والرجاء في حالة كانت آيات قرآنية أو أدعية،بل قصد بها إلى جانب ذلك أن تكون عنصراً زخرفياً، فقد جمعت تلك الكتابات بين وظيفتين،وظيفة زخرفية ووظيفة تدوينية،مما ميز الكتابات الإسلامية عن غيرها.

وللكتابة بشكل عام والزخرفية بشكل خاص شأن عظيم في تاريخ الفنون الإسلامية، إذ يمكن ان تتخذ كأساس في تاريخ العمائر ذات الكتابات،لأن لكل عصر وكل إقليم في العالم الاسلامي أسلوبه في الخط والزخرفة، بالإضافة إلى ما لتلك الكتابات من قيمة أثرية وتاريخية وعلمية تلقي الضوء على كثير من جوانب الحياة المختلفة.

وانطلاقاً مما سبق فلابد من القيام بعملية توثيق ودراسة لكل الكتابات والنقوش الموجودة في المنشآت المعمارية ومعرفة مضمونها وأساليب تنفيذها ونوع الخطوط التي نفذت بها،والإلمام بكل ما يتعلق بها.

وما هذا البحث المتواضع إلا محاولة تصب في هذا الإتجاه،حيث سيتم تسليط الضوء على النقوش التأسيسية والقرآنية الموجودة في المدرسة الأشرفية الكبرى بمدينة تعز في اليمن.

المدرسة الأشرفية الكبرى:

❖ **الموقع:**

تقع في مدينة تعز[1] في الطرف الغربي منها أسفل قلعة القاهرة،وشيدت في منطقة عالية مشرفة على المدينة، لترتفع بعيداً عن الأراضي المنخفضة التي تجمع الأوبئة والأمراض،وقد وفر لها موقعها المرتفع المساحة والفضاء، مما ضمن هواء نقي وإضاءة كافية، كما أنها أقيمت بعيداً عن السوق تجنباً للضوضاء والازدحام[2]،ولا تزال عامرة قائمة البنيان، ولكنها عانت الكثير من الإهمال مدة طويلة من الزمن، ومما زاد حالتها سوء هو أن الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين[3] المتوفى سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، قد أحالها إلى مدبغة للجلود عدا بيت الصلاة منها[4].

❖ **منشئ المدرسة :**

أنشئها الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، سابع ملوك بني رسول، تولى الحكم سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م-٨٠٣هـ/١٤٠٠م)،وقام بإدارة أعمال الدولة خير قيام[5]، وكان الأشرف يحب العلم وأهله،ومن شدة حبه للعلم فقد طلبه لنفسه[6]،كما شيد الكثير من المساجد، وعمل على ترميم أغلب مساجد ومدارس مدينة زبيد،حيث أصاب معظمها التلف،كما أضاف في جامع المظفر بمدينة تعز في الجانب الشرقي منه[7].

---

(١) تعز: مدينة مشهورة على سفح جبل صبر تقع في الجزء الجنوبي الغربي للجمهورية اليمنية إلى الجنوب من العاصمة صنعاء بمسافة ٢٥٦ كم، عرفت قديماً باسم (العدنية) ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري، سكنها الصليحيون والرسوليون وتزخر بالكثير من مأثرهم العمرانية بمختلف أنواعها، وكان للمدينة سور قديم تتخلله أربع بوابات، المقحفي : إبراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر، ج ١، صنعاء، ١٩٨٥، ص ٦٩؛ المجاهد: محمد محمد، مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ العربي، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٣.

(٢) الأصبحي: الاء أحمد محمد، المدرسة الأشرفية تعز زمن الدولة الرسولية في اليمن، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤ م، ص ٧٥.

(٣) الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين أخر الأئمة من الأسرة الهادوية، وبموته كانت نهاية حكم الائمة في اليمن، كان معروفاً بالبطش وسرعة الغضب والإنفعال، ورث كل مساوئ الإمامة كانت فترة حكمه من اسوء الفترات التي مرت على اليمن . البتول: عبدالفتاح، خيوط الظلام عصر الإمامة الزيدية في اليمن (٢٨٤ . ١٣٨٢هـ)، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٠.

(٤) الأكوع : إسماعيل بن علي، المدارس الرسولية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، مطبعة الجيل الجديد، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٢٦٨.

(٥) الخزرجي : الفقيه الفاضل العالم العلامة النسابة المحقق شمس الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ت ٨١٢هـ /١٤٠٩م، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج٢، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٨٣م، ص ١٤١.

(٦) ابن الديبع :عبد الرحمن بن علي، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث صنعاء، ١٩٧٩م ص ١٠١.

(٧) حماد : أسامة، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، مكتبة الاسكندرية للكتاب، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٨٤٤ – ٨٤٥.

❖ **التخطيط العام الحالي للمدرسة:**

في المدرسة الأشرفية يمكن ملاحظة ضخامة المباني الرسولية، فهيئة المدرسة أشبه ما تكون بالبناء الصرحي في مظهرها الخارجي (صورة ١)، وتشابه الى حد كبير المدرسة العامرية التي بنيت في مدينة رداع[1] سنة٩٠(٩١٠هـ/١٥٠٤م)، في عهد بني طاهر[2]، حيث جاءت نموذج متطور عن المدرسة الأشرفية[3].

صورة (١) المدرسة الأشرفية

حيث روعي في تخطيط المدرسة الأشرفية التوازن على الصعيدين الأفقي والعمودي، وظهرت قدرة المعمار في توزيعه للعناصر الإنشائية المعمارية للمدرسة (شكل 1).

(١) رداع : اسم مشترك بين جملة بلدان، رداع العرش أشهرها، وهي مدينة إلى الشرق من ذمار بمسافة ٣٥ كم، ورد ذكرها في النقوش الحميرية، وسكنها تبع يهرعش، كما سكنها السلطان عامر بن عبدالوهاب في القرن التاسع الهجري، وشيد فيها المدرسة المشهورة العامرية، المقحفي، مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٢) الدولة الطاهرية (٨٥٥ – ٩٢٣ هـ): ورثت الدولة الطاهرية مناطق نفوذ الدولة الرسولية وهي معظم اليمن باستثناء مناطق الجبال الشمالية التي تنافس عليها الأئمة الزيديون . والموطن الأصلي لبني طاهر هو منطقة جبن من بلاد رداع حيث كانت لهم الرياسة فيها ، وانتهت دولتهم بمقتل الملك عامر بن عبدالوهاب بعد حكم دام أكثر من ثلاثة عقود. المقحفي، مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٣) الأصبحي، مرجع سابق، ص ٧٠.

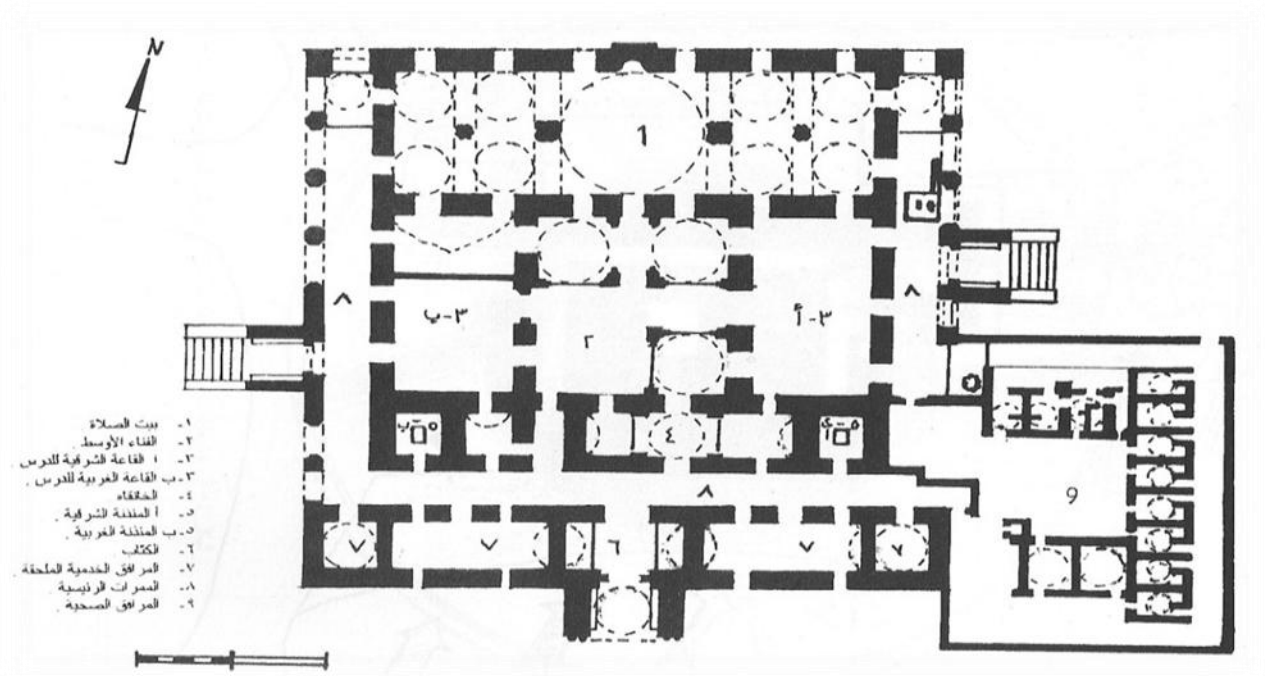

شكل (1) المسقط الأفقي للمدرسة الأشرفية،نقلاً عن الأصبحي،ص٣١.

والتفاصيل المعمارية الحالية للمدرسة هي نفسها منذ التأسيس،حيث لم يطرأ أي تغيير على هيئة وبنيان المدرسة، عدا بعض أعمال التجديد، والمتمثلة في طلاء الجدران بمادة القضاض[1]،التي الحقت أضراراً جسيمة بالنقوش والكتابات الموجودة في المدرسة،حيث عملت على طمسها،وتضم المدرسة عدد من المكونات والمرافق[2] كالتالي:

- **بيت الصلاة :**

أهم عناصر التخطيط، وكما يبدو من مخطط المدرسة؛ فهو مستطيل الشكل وتبلغ مساحة أبعاده ٢٥.٤ × ٧.٦٠ م)، وقد قسم إلى ثلاثة أجنحة متساوية مربعة الشكل، غطي القسم الأوسط بقبة[3] كبيرة، في حين غطي كل من الجناحان الشرقي والغربي بأربع قباب ضحلة، أقل ارتفاعاً من القبة الوسطى[4].

---

(١) مادة جيرية مركبة، تمتاز بالصلابة والتماسك ولا تسمح بنفاذ الرطوبة والمياه لأنها ذات كثافة مسامية عالية ، وقد استخدمت منذ القدم في شبة الجزيرة العربية وخاصة في اليمن، وأقدم وجود لها في اليمن وجد على أحواض سد مأرب الشهير، كما تم استخدامها طوال الفترة الإسلامي ة في اليمن وحتى اليوم، AL-radi Selma، traditional Yemeni pluster, yemen update 34.1994.pag 13. Qudad, the

(٢) الأصبحي، مرجع سابق، ص ٧٩. ٨٥.

(٣) القبة : تجمع على قباب وهي عبارة عن بناء مستدير مقوس مجوف أشبه بكورة مشطورة من الوسط، وتقام مباشرة فوق سطح، أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية أو مقرنصات لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثمن ثم إلى الدائرة، وقد تكون بيضاوي ة أو نصف كروية أو بصلية أو مخروطية أو مضلعة، رزق :عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٤) الأصبحي، مرجع سابق، ص ٨٩.

- قاعات الدرس :

توجد بالمدرسة قاعتان شرقية وغربية مستطيلتا الشكل تبلغ أبعاد كل منهما (٢.٥ م عرض × ٩.٦ م طول)، يغطي كل منهما منهما قبو[1] طولي، ذو وجه مقطع مدبب.

- **الفناء الأوسط :**

يقع إلى الجنوب مباشرة من بيت الصلاة وتبلغ مساحته (١٠.٩ × ١٠ م)[2]، يغطي ثلاثة أرباع مساحته قباب لثلاثة أضرحة، والقسم الرابع مكشوف بلا سقف[3].

- **الخانقاه[4] :**

تقع في الناحية الجنوبية من المدرسة، عبارة عن قاعة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أجزاء بواسطة عقدين[5] مدببين ممتدين،بحيث تشكل مساحة مربعة صغيرة في الوسط،تغطيها قبة مرتفعة مناطق الانتقال فيها عبارة عن حنايا ركنية[6]،يكتنف تلك المساحة المربعة من الناحيتين الشرقية والغربية إيوانان[7].

- **المئذنتان:**

تحتلان الناحيتين الشرقية والغربية من هيكل المدرسة، ويتشابهان إلى حد كبير، وتتكون كل واحدة منهما من قاعدة مرتفعة مربعة الشكل،بنيت من حجر الحبش، يليها شكل مثمن مجوف الأضلاع، على شكل محاريب معقودة مصمته،يتوج ذلك الشكل المثمن شرفة يليها شكل مثمن آخر،تتوجه أيضاً شرفه ثم شكل مثمن أخير أصغر حجما من سابقيه، وتغطيه قبة صغيرة نصف كروية، يزين بدن المئذنة بأشكال لحنايا مصمتة كبيرة وصغيرة[8]، (صورة٢).

---

(١) قبو : بفتح القاف وسكون الباء، يجمع على اقباء وهو الطاق المعقود بعضه إلى بعض في شكل قو س، معمارياً عبارة عن سقف معقود أو مقوس ذو أشكال مختلفة، تم استخدامه في تغطية أجزاء كثيرة من العناصر البنائية في العمارة الإسلامية بأنواعها، لاسيما الايوانات والأروقة و الحجرات والمداخل والممرات. رزق، مرجع سابق، ص ٢٣١– ٢٣٢.

(٢) شيحه : مصطفى عبدالله، مدخل إلى العمارة والفنون في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، ط١٩٨٧،١م، ص ٩١.

(٣) الأصبحي، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٤) الخانقاة : بالقاف والكاف ، جمعها خوانق ، لفظة فارسية تعني البيت وهي بناء ديني أقيم على نظام الصحن الذي يحيطه إيوان واحد أو أكثر فبعضها تضم باباً واحداً وبعضها أربع ، وهي بلا مئذنة وبلا منبر وتضم مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ، ويلحق أحياناً به ضريح أو مدرسة أو سبيل ، دُرس في مدرسة الخانقاه العلوم الدينية على المذاهب الأربعة ، قامت الخانقاه أحياناً ، بدور أوسع من المدرسة في نشر الوعي الديني الموجه. رزق، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٥) عقدين : عقد بفتح العين وسكون القاف، تجمع على عقود واعقاد، هو ماعقد من البناء في هيئة قوس، معمارياً العقد او القنطرة وحدة معمارية بنائية ذات هيئة مقوسة اياً كان نوعها، واتخذت أشكال عديدة تفرعت من نوعين اساسين هما العقد النصف دائري والعقد المدبب. رزق، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٦) حنية : بفتح الحاء وكسر النون، وتجمع على حنايا، وهي القوس أو تقوس نصف دائري، أما معمارياً فهي الدخلة المعقودة الغير النافذة، التي تكون أعلى زوايا جدران البناء المربع لحمل القبة، وغالباً ماكانت الحنية على شكل نصف قبة أو أقل، وقد عملت لغرضين وظيفي وجمالي. رزق، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٧) شيحه : مرجع سابق، ص ٩١.

(٨) شيحه، مرجع سابق، ص ٩٤.

صورة (٢) مئذنتي المدرسة

- **المداخل الرئيسية :**

هناك ثلاثة مداخل رئيسية للمدرسة مدخل شرقي، ومدخل غربي، وأخر جنوبي.

- **الممرات :**

توجد ثلاثة ممرات تتصل ببعضها من النواحي الشرقية والجنوبية والغربية،وتتقدم الوحدات المعمارية الرئيسية في بناء المدرسة[1].

- **المرافق الصحية الملحقة بالمدرسة :**

تقع في الناحية الجنوبية الشرقية من المدرسة، وللإستزادة عن التفصيل المعماري للمدرسة (راجع كتاب الاء الأصبحي).

❖ **النقوش في المدرسة الأشرفية :**

بالنسبة للنقوش الموجودة في المدرسة، ومن واقع الزيارة الميدانية تبين وجود عدد من النقوش في أماكن متفرقة من المدرسة وهي كالتالي :

١. يقع في الباب الغربي للمدرسة الأشرفية- المصراع الأيمن، على الحشوتين اليمنى واليسرى، وهما ذات شكل مربع طول كل ضلع (٢ سم) ومضمون النقش في الحشوة اليمنى (بسم الله الرحمن الرحيم)[2]، وفي الحشوة اليسرى قوله تعالى (أدخلوها بسلام آمنين)[3].

---

[1] شيحه، المرجع نفسه، ص ٩١.

[2] البسملة.

[3] سورة الحجر : آية ٤٦.

نفذ بطريقة الحفر البارز على مادة الخشب وبخط الثلث[1]، والمصراع بحالة جيدة حيث يمكن قراءة مضمون ما نقش عليه من كتابة، ويحيط بالنقشين إطار مزخرف يصعب تحديد نوع زخارفه، (صورة٣).

صورة (٣) المصراع الأيمن في مدخل الباب الغربي

٢.يقع في نفس الباب السابق على مصراعه الأيسر وله نفس مواصفات النقش السابق، غير ان هذا المصراع أسوء حالاً من المصراع الأيمن، حيث صعبت قراءة مضمون ما نفذ على الحشوة اليمنى من نقوش، أما الحشوة اليسرى فمضمون نصها (ادخلوها بسلام آمنين)[2]، (صورة٤).

صورة (٤) المصراع الأيسر في مدخل الباب الغربي

٣.يقع هذا النقش في الباب الأوسط المؤدي لبيت الصلاة- المصراع الأيمن على حشوة مستطيلة الشكل أبعادها (٤٠ سم طول ×١٠ سم عرض) ومضمون النقش (بسم الله الرحمن الرحيم)[3] نفذ بطريقة الحفر البارز وبالخط الكوفي المورق[1]، (صورة٥).

---

(١) يعتبر خط الثلث خط تذكاري مستقر ضخم، واستخدم أساساً للأغراض التزيينية سواء للكتابة الجدارية، أو على الخامات المختلفة كالورق وا لجلد والمعادن، وهو سيد الخطوط عند جميع الخطاطين لصعوبة تعلمه وأحتياجه إلى مدة طويلة وهو من أروع الخطوط العربية جمالاً وكمالاً، و أ كثرها صعوبة من الخطوط الأخرى من حيث القواعد والموازين والحبكة، عبد الصبور : محمد، الحروفية كحركة تشكيلية حديثة من خلال فنون الجرافيك العربي المعاصر، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، قسم الجرافيك، رسالة دكتوراه، ١٩٩٨م ص ٢٤.

(٢) سورة الحجر : آية ٤٦.

(٣) البسملة

صورة (٩) المصراع الأيمن في مدخل الباب الأوسط

٤.يقع على نفس الباب السابق على مصراعه الأيسر وله نفس مواصفات نقش المصراع الأيمن ويختلف عنه في المضمون حيث نفذ عليه ما نصه (ادخلوها بسلام آمنين)[2]، (صورة٦).

صورة (٦) المصراع الأيسر في مدخل الباب الأوسط

وكما يظهر من الصورتين فالنقشان لا يزالان بحالة جيدة،حيث لم تحتاج قراءة مضمونهما الكثير من الجهد.

٥.نفذ هذا النقش على عتب الباب الأوسط الموجود في الممر الجنوبي المؤدي إلى قاعة الخانقاة، في مساحة تبلغ أبعادها (١.٥٠ م × ٣٠ سم)، على مادة الحجر بطريقة الحفر البارز و بخط الثلث، وجاء مضمونه في سطرين :

السطر الأول : أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة مولانا ومالكنا السلطان السيد الأجل الملك الأشرف.

السطر الثاني: ممهد الدنيا والدين إسماعيل بن العباس بن على بن داوود بن يوسف خلد الله ملكه ونصره.

والنقش غاية في الجمال والإتقان رغم صعوبة خط الثلث وصلابة المادة المنفذ عليها، وهذا مؤشر على ما وصل إليه هذا النوع من الخطوط من تطور وإتقان في العهد الرسولي (صورة ٧- أ- ب).

---

(١) أحد أنواع الخط الكوفي المتعددة، ويعد تطوير للخط الكوفي ذو الهامات المثلثة، حيث طور الخطاط بدء من أواخر القرن الثاني الهجري /الثامن ميلادي تثليث رأس الحرف إلى أشكال زخرفية نباتية على هيئة أوراق ذات فصين أو ثلاثة وأنصاف مراوح تنبثق من أطراف الحروف القائمة والمستلقية، الحداد : عبدالله، تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأيوبي (١ – ٦٢٦ هـ/ ٦٢٢ – ١٢٢٩م) مجلة أبجديات، العدد الأول، ٢٠٠٦، حولية سنوية محكمة تصدر عن مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية، ص ٩٥.

(٢) سورة الحجر : آية ٤٦.

صورة (٧-أ) نقش عتب الباب الأوسط المؤدي إلى الخانقاة

صورة (٧ – ب) تفريغ نقش عتب الباب الأوسط المؤدي إلى الخانقاة

وكما يظهر في الصورة فالنقش مازال بحالة جيده يمكن قراءته بسهولة رغم موقعه الذي يجعله عرضه لكثير من عوامل التعرية، وفيه حدد اسم الأمر بالبناء، وهو الأشرف إسماعيل الثاني بن العباس بن علي بن داود.

وبهذا فالنقش يزيل الغموض فيما يتعلق بهوية المنشئ، حيث أن هناك أربعة من ملوك وسلاطين الدولة الرسولية، ممن تلقبوا بالأشرف، مما سبب اللبس في هوية المنشئ، وخاصة إن الأشرف الأول عمر بن يوسف الملقب بالمظفر، أبتنى مدرسة في عهد والده، وأسماها أيضاً بالأشرفية، ويقال أنه بناها بأسم والدته[1].

وفيما يتعلق بنوع خط النقش فقد ذكرت الباحثة الاء الأصبحي في كتابها المدرسة الأشرفية إن نوع خط النقش نسخ، والصحيح أن النقش نفذ بخط الثلث، وبالنسبة للباحثة نهى صادق في كتابها (patronage and architecture in rasulid yemen,626- 858 A.H/1229- 1454 A.D) فقد أسقطت كلمة ونصره من أخر النقش .

٦. يقع هذا النقش على عتب مدخل المنارة الشرقية نفذ في مساحها تبلغ أبعادها (٨٠ سم طول × ٣٠ سم عرض) على مادة الحجر بطريقة الحفر البارز وبخط الثلث، ومضمون نصه كالتالي : السطر الأول: وكان إبتداء العمارة بهذه المدرسة.

السطر الثاني: السعيدة في ثاني ربيع الأخرة سنة ثمانمائة

ولا يزال النقش بحالة جيدة نوعاً ما، مما سهل قراءة مضمونه،(صورة ٨- أ- ب).

(١) الأكوع : مرجع سابق، ص ٢٦٨.

صورة ٨ – أ) نقش عتب مدخل المنارة الشرقية

صورة ٨ – ب) تفريغ نقش عتب باب المنارة الشرقية

والنقش يحمل دلالة تاريخية مهمة، حيث حدد تأريخ البدء في العمارة في الثاني من ربيع الآخرة سنة(٨٠٠هـ) .

٧.نفذ هذا النقش على عتب مدخل المنارة الغربية، ويشابه النقش السابق في نوع الخط والمادة المنفذ عليها وطريقة التنفيذ، ويختلف عنه في المضمون، حيث جاء مضمون نصه كالتالي : السطر الاول : وكان [...][1] مولانا سيد الأمراء صفي الدين

السطر الثاني : جوهر[الصيني][2] الدويدار مولى حصن تعز

وهناك بعض الكلمات لم أتمكن من قراءتها نظراً لسوء حالة النقش، غير أنه وبالعودة إلى المصادر التاريخية، ومنها كتاب الخزرجي العقود اللؤلؤية تمكنت من إكمال السطر الثاني من النقش المتعلق بالاسم، ومعرفة مضمون ما طمس منه، وهي كلمة (الصيني)، وصفي الدين جوهر الصيني هذا كان والي حصن تعز[3]. ويبدو أنه أسندت له مهمة الإشراف على عمارة المدرسة بحكم منصبه،(صورة٩- أ- ب).

(١) مابين الحاصرتين غير مقروء.

(٢) مابين الحاصرتين أكمله الباحث.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية، ج/٢، مصدر سابق، ص ١٩٥.

صورة ٩ – أ) نقش عتب مدخل المنارة الغربية

صورة ٩ – ب) تفريغ نقش عتب مدخل المنارة الغربية

٨.نفذا هذا النقش على واجهة عتب المدخل الجنوبي للمدرسة على مادة الحجر ، وفي مساحة تبلغ أبعادها(٢٤ سم طول × ٢٠ سم عرض) بطريقة الحفر البارز وبخط الثلث، ومضمون نصه (أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس)

والنقش بحالة سيئة يصعب قراءة ما نفذ عليه، لكن بعد محاولة التفريغ الشاقة تم معرفة مضمونه، (صورة ١١- أ- ب).

صورة ١١ – أ) واجهة عتب المدخل الجنوبي للمدرسة

صورة ١١ – ب) تفريغ نقش واجهة عتب المدخل الجنوبي للمدرسة

٩. يقع هذا النقش في باطن عتب المدخل الجنوبي للمدرسة ونفذ على مساحة تبلغ أبعادها(٢٤ سم طول × ٣٠ سم عرض) بنفس طريقة وخط النقش على واجهة العتب ومضمون نصه (بن على بن داوود، غرة صفر ذلك بتأريخ إحدى وثمانمائة). ونفذ مضمون هذا النقش ضمن خرطوشين يفصل بينهما طبق نجمي، ويبدو وكأنه تكملة لنقش واجهة العتب، بدليل مضمون الجزء الأيمن من النقش (بن علي داود)، وهو الجد الثالث للسلطان الأشرف إسماعيل، حيث إن نقش الواجهة يحمل أول أسم الأشرف واسم أبيه العباس، والنقش يؤرخ لمرحلة من مراحل البناء وهي السنة الأولى ومازال الأشرف حياً يرزق، (صورة١٢ - أ- ب).

صورة١٢ – أ) باطن عتب المدخل الجنوبي للمدرسة

صورة١٢ – ب) تفريغ نقش باطن عتب المدخل الجنوبي للمدرسة

١٠. بالنسبة للنقش الأخير فأنه يقع داخل بيت الصلاة وتحديداً في الواجهة الجنوبية الداخلية منه ونفذ بطريقة الحفر البارز وبخط الثلث ولكن هذه المرة على مادة الجص[1]، ومضمون نصه (أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة السلطانية الملكية الأشرفية منشيها مولانا السلطان الأعظم شاهنشاه مالك رقاب الأمم الأقمر سيد ملوك العرب والعجم سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين ناشر جناح العدل على العالمين ممهد الدنيا والدين إسماعيل بن العباس بن علي بن داوود بن يوسف بن علي بن رسول أجره الله وبنيه وذاك بتاريخ خامس عشر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة)[2].

ويعد هذا النقش أطول النقوش التأسيسية في المدرسة، وهو النقش الوحيد من نقوش المدرسة التأسيسية الذي نفذ على مادة الجص، وداخل بيت الصلاة، وضم من الألقاب الكثير، ومثله مثل النقشين رقم (٩ و٨) حدد هوية المنشئ، بالإضافة إلى ذكر اسم المدرسة الأشرفية، كما أن النقش ذكر سنة الإنتهاء من عمارة المدرسة، وحدده بتأريخ١٥ المحرم سنة٨٠٣هـ، (صورة١٠).

---

[1] الجص يطلق عليه عدة تسميات (كالقص والجبس) وأصله لفظ فارسي معرب من كلمة كچ، وهو عبارة عن معدن طبيعي مكون من كبريتات الكاليسوم المائية وكبريتات الجير، يتم إحراقه عند درجة حرارة منخفضة حتى يفقد ثلاثة أرباع ما يحتويه من ماء ويتحول الى مسحوق أبيض شره للما ء، الحداد : عبدالله، مقدمة في الأثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٣٢.

[2] الأصبحي، مرجع سابق، ص 55.

صورة(١) نقش الواجهة الجنوبية الداخلية من بيت الصلاة

وبهذا فقد تم استعراض جميع النقوش التأسيسية الموجودة في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز ، والتي بلغ عددها ستة نقوش، نفذ خمسة منها على مادة الحجر،وخارج بيت الصلاة وفي المواقع الموضحة قرين كل نقش في متن البحث. أما النقش السادس فقد نفذ داخل بيت الصلاة،في الركن الجنوبي الغربي منه، ونفذ على مادة الجص.

وبالنسبة للنقوش الأربعة الأخرى في هذا البحث،فهي نقوش قرآنية نفذت على مصاريع بعض أبواب المدرسة التي تؤدي إلى أجزاء مختلفة منها،وليست هذه كل النقوش القرآنية في المدرسة، فبيت الصلاة يزخر بالكثير من النصوص القرآنية المنقوشة والمخطوطة المنفذة على جدران وعقود وقباب بيت الصلاة من الداخل، وإنما تم تناول هذه النقوش القرآنية الثلاثة بحكم موقعها خارج بيت الصلاة، شأنها شأن النقوش التأسيسية التي تقع في الخارج.

❖ **نتائج البحث:**

- جميع النقوش التأسيسية قد نفذت على الحجر، وفي أماكن متفرقة من المدرسة خارج بيت الصلاة، عدا نقش واحد نفذ على الجص داخل بيت الصلاة في الجهة الجنوبية الغربية من المدرسة.
- جميع النقوش التأسيسية رقم رقم٥ ـ٦ ـ٧ ـ٨ ـ٩ ـ١٠ نفذت بخط الثلث.
- استخدم الخط الكوفي المورق مرة واحدة في النقش القرآني المنفذ على مصراعي الباب الأوسط المؤدي لبيت الصلاة.
- غالباً مازينت أبواب المنشآت الدينية كالمساجد والمدارس بنقوش كتابية مضمونها نصوص قرآنية.
- هناك نصوص وردت في المصادر التاريخية تتفق مع مضمون النقوش الأثرية فيما يتعلق بالأمر بالبناء وسنة البناء، ومن هذه النصوص ما جاء في إفتتاحية الوثيقة الغسانية عن تاريخ بناء المدرسة الأشرفية والآمر بالبناء، أورد نصها القاضي الأكوع جاء فيها (بناها السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل العباسي بن الملك المجاهد سنة ثمانمائة هجريا).
- استمر العمل في بناء هذه المدرسة مدة ثلاث سنوات،كما يظهر من نص النقش رقم١ المنفذ على الجص الموجود في الواجهة الجنوبية الداخلية من بيت الصلاة .
- نفذت جميع هذه النقوش بطريقة الحفر البارز وفيها يزيد ارتفاع الزخارف والإشكال المحفورة على الأرضية بأكثر من نصف سنتيمتر ويصل إلى حوالي٧ سم على أن تكون الأرضيات في الشكل جميعها متساوية وبعمق واحد، ومعروف مدى فعالية هذه الطريقة في حفظ النقوش من التزييف والتزوير وبقائها أطول فترة ممكنة في مواجهة عوامل التعرية الطبيعية والبشرية .

- حرص السلاطين على تخليد ذكراهم وأعمالهم، وذلك بنقش أسمائهم على الحجر.

❖ إن إختيار تنفيذ النقوش التأسيسية على الحجر جاء نتيجة لما لهذه المادة من صلابة وقدرة على مقاومة عوامل التلف والتعرية،وذلك لأنها عرضة لمثل هذه العوامل لوقوعها خارج بيت الصلاة.

قائمة المراجع:

١. ابن الديبع:عبد الرحمن بن علي،بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق:عبد الله بن محمد الحبشي،مركز الدراسات والبحوث،صنعاء ،١٩٧٩م.

٢. البتول:عبدالفتاح،خيوط الظلام عصر الامامة الزيدية في اليمن (٢٨٤ .١٣٨٢هـ)،مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر،ط١،٢٠٠٧م.

٣. الحداد:عبدالله،تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأيوبي (١ – ٦٢٦ هـ/ ٦٢٢ – ١٢٢٩م) مجلة أبجديات،العدد الأول، ٢٠٠٦،حولية سنوية محكمة تصدر عن مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية.

٤. مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر،ط١،٢٠٠٣م.

٥. الخزرجي : الفقيه الفاضل العالم العلامة النسابة المحقق شمس الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ت ٨١٢هـ /١٤٠٩م،

٦. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج/٢،تحقيق:محمد بن على الأكوع،مركز الدراسات والبحوث اليمني،صنعاء،ط٢،١٩٨٣م.

٧. الأصبحي، آلاء أحمد محمد،المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية في اليمن(دراسة اثارية معمارية) إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء؛ ٢٠٠٤م.

٨. الأكوع، إسماعيل بن علي،المدارس الإسلامية في اليمن،مؤسسة الرسالة،بيروت، مكتبة الجيل الجديد، ط٢،١٩٨٦م.

٩. المجاهد : محمد محمد،مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ العربي، ط١،١٩٩٧م.

١٠. المقحفي:إبراهيم أحمد،معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع،ج١،صنعاء،١٩٨٥.

١١. حماد، أسامة أحمد،مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي عصر دولتي بني أيوب وبني رسول،ط١،مكتبة الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤م.

١٢. رزق،عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي،ط١،٢٠٠٠م.

١٣. شيحه،مصطفى عبدالله،مدخل إلى العمارة والفنون في الجمهورية اليمنية،وكالة سكرين،القاهرة، ط١،١٩٨٧م.

١٤. محمد:عبد الصبور،الحروفية كحركة تشكيلية حديثة من خلال فنون الجرافيك العربي المعاصر، جامعة حلوان،كلية الفنون الجميلة، قسم الجرافيك، رسالة دكتوراه،١٩٩٨م.

١٥. معين، عبدالملك سعيد،تأثير فترة بني رسول على العمارة الإسلامية اليمنية،دراسة حالة المسجد والمدرسة،كلية الهندسة،جامعة القاهرة،مصر،رسالة دكتوراه،٢٠١٠م.

- Selma AL-radi, Qudad, The traditional Yemeni plaster, Yemen, 1994.

جوانب من السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر ١٨٣٠-١٩٦٢

د.سفيان لوصيف/جامعة محمد لمين دباغين،سطيف ٢

ملخص:

يعالج المقال بالدراسة و التحليل السياسة التعليمية التي سطرتها السلطات الاستعمارية في الجزائر،حيث عملت إدارة الاحتلال على محاربة التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، وبذلك انتشر الجهل وعم في السواد الأعظم من الشعب، ضمن مشروع استعماري يهدف إلى تكوين فئات اجتماعية جزائرية في مخطط الفرنسة وتحقيق الإدماج، ورغم سعيها إلى إنشاء مدارس في بعض المدن وفي بعض المناطق، لكن المستوطنين الأوروبيين حاربوا سياسة تعليم الجزائريين، وما إن مر قرن على الاحتلال حتى اتضح الجهل من خلال الأرقام والإحصائيات التي توضح ذلك، وتواجدهم المحدود في المدارس والجامعة مقارنة بالمستوطنين، ورغم مطالبة النخبة المثقفة الجزائرية بالتعليم في برامجها إلا أن التماطل وسن قوانين تعسفية في حق إقامة تعليم أهلي.

الكلمات المفتاحية:- التعليم في الجزائر – الاستعمار الفرنسي - التعليم العربي الإسلامي.

تعددت الكتابات التاريخية[1] التي دلت على ازدهار التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي من كتابات المؤرخين والرحالة والمستشرقين،وقد أجمعت أن معظم الجزائريين يعرفون القراءة والكتاب، وهذا بفضل الانتشار الواسع للمدارس في القرى والحواضر تفوق نسبته ما كانت وضعيته في فرنسا، وهذا بشهادتهم واعترافهم بذلك.

وبعد الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠ أدركت إدارته مدى أهمية التعليم، ودوره في حياة المجتمع الجزائري ثقافيا و اجتماعيا، فربطته بالسياسة ولم تفصل بينهما، بل عملت على إيجاد نمط تعليمي معين خاص بالجزائريين، فحسب منظري الاستعمار أن تعليم الأهالي يدخل في إطار الرسالة الحضارية التي تعكف فرنسا على نشرها [2]، ولكن قبل ذلك حسبهم البدء في محاربة الثقافة الوطنية كمرحلة أولى ونشر التعليم الفرنسي بعدها كخطوة لتحقيق ذلك، ومنه شرع في مراقبة مؤسسات التعليم من مدارس ومساجد وزوايا،ومحاولة توجيهها لخدمة أغراض المستعمر[3].

---

[1] نذكر على سبيل المثال ما كتبه "Marcel Emerit " و " Daumas " و " Turin " و القنصل الأمريكي وليام شالر وغيرهم.

[2] عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ١٨٣٠-١٩٦٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص ١٠٤.

[3] Yvonne Turin : Affrontements culturel dans l'Algérie coloniale « écoles, médecines, religion 1830-1900 », E.N.AL, 2 émé édition, Alger : 1938.p.72.

ونتيجة ذلك ألحقت أضرار بليغة بالتعليم الموروث عن العهد العثماني، ووقع اضطراب في صفوف الأدباء والمفكرين والفقهاء الذين تخلو عن وظائفهم وتشتت شمل التلاميذ [1]، وأغلقت الكثير من المدارس والمعاهد وأهمل التعليم العربي الإسلامي،وعبر عن ذلك **الدكتور بوصفصاف** بقوله [2]:"...حدثت بعثرة في التراث وتحطيم المدارس ... فهاجر العلماء،وارتبكت العلوم ونضب معينها وانحط مستوى التعليم من الناحية العربية انحطاطا كبيرا، وأخذت المكاتب القرآنية تتوارى تدريجيا حتى أوشكت على الزوال".

وهكذا بدأت تتفكك عرى الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر،قد اعترف النائب الفرنسي **Tang Ville** في ذلك بقوله [3]:"خربنا المدارس وشتتنا شمل الزوايا،لقد انطفأت في الجزائر مشاعل العلم وأهملنا العلماء والفقهاء المسلمين،فصاروا قوما بورا".

لقد هدمت بعض المدارس وحولت لأغراض متعددة يقول الدوق دومال [4]:" تركزنا في الجزائر، واستحوذنا على بعض المعاهد وحولناها إلى دكاكين وثكنات، أو مرابط الخيل، واستحوذنا على الأوقاف "، فأهملت الدراسات الدينية، في ظرف تميز بتناقص عدد الطلبة والرجال الأكفاء الذين يتولون شؤون التعليم، ومن ناحية أخرى شرعت الحكومة العامة في تعليم بعض الجزائريين، هادفة إلى تخريج الإطارات الإدارية والموظفين الذين تحتاجهم في تعاملها مع السكان، والقيام بشؤون المستعمرة، وقد تم حصره في فئة ضئيلة من الشعب، وهم أبناء القياد والباشاغاوات والإقطاعيين،والأسر المتنفذة في المجتمع [5].

وقد ظلت مصلحة التعليم العام في الجزائر مرتبطة بوزارة الحربية إلى سنة١٨٤٨، حيث أصدرت حكومة فرنسا مرسوم ربط القطاع بوزارة التعليم العام وأحدثت أكاديمية الجزائر [6]، وأنشئت عدة مدارس سنة ١٨٥٠ وفق مرسوم ١٤ جويلية، الذي نص على إحداث مدارس ابتدائية موزعة في الجزائر وقسنطينة وعنابة والبليدة، وبموجب مرسوم آخر صادر في ٣٠ سبتمبر من نفس السنة أنشأت ثلاث مدارس إسلامية عليا، في قسنطينة والمدية وتلمسان تهدف إلى تكوين موظفين في الوظائف الإدارية والقضائية والدينية[7].

الحقيقة أن الفرنسيين عرقلوا تطور التعليم في المدارس فقد ورد في تقرير أحد القادة العسكريين يقول فيه [8]:" فلنعرقل قدر الإمكان تطور المدارس العربية والزوايا، وبكلمة واحدة يجب أن نعمل على إحباط الأهالي ثقافيا وماديا "،نستطيع أن نفسر هذا بازدواجية المواقف الفرنسية منذ بداية الاحتلال، وأن تعلم الأهالي ظل

---

[1] أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص.١٣٣.

[2] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٤٥، ط١، دار البعث، قسنطينة، ١٩٨١، ص، ٤١ .

[3] فرحات عباس: ليل الاستعمار لحرب الجزائر وثورتها، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، الرباط:دون تاريخ، ص.ص. ١٠٤ -١٠٥.

[4] Turin Yvonne : Op-Ci .p .119

[5] عمار هلال: المرجع السابق، ص.١١٨ .

[6] أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي،ج٣، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨،ص ٢٨٢ .

[7] عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ١٨٣٠-١٩٠٠، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٢١٠.

[8] عمار هلال: المرجع السابق، ص.١١٠ .

يتأرجح بين فكرتين متعارضتين شكلا ومتفقتين مضمونا تطالب الأولى بحرمان الجزائريين من كل تعليم كان بالعربية أو الفرنسية، وأخرى تدعو إلى تعليمهم سعيا إلى فرنستهم وإدماجهم في فرنسا.

لقد ثار الجدال في فترة وصول المدنيين إلى الحكم في فترة السبعينات من القرن١٩، وطفى الموضوع في ساحة الأحداث بشكل لم تعرفه الجزائر من قبل، خاصة في غضون المناقشات البرلمانية التي أمكنت جول فيري Ferry jules[1] من إرسال لجنة مكونة من مفتشين وخبراء هم أعضاء في مجلس الشيوخ إلى الجزائر،وهذه الزيارة أثمرت بإصدار مرسوم ١٣ فيفري١٨٨٣ الذي نص على إلزامية التعليم ومجانيته للأهالي والأوربيين على حد السواء، وقد أيد الجمهوريون هذا الإجراء الذي حسبهم أحسن وسيلة للوصول إلى الإدماج الاجتماعي والسياسي،عن طرق توحيد البرامج المدرسية وجعلها تتناسب مع طبيعة الأهداف السياسية وغاياتها [2]،وقد عبر "الدوق دور فيغو " بقوله [3]:" أنه سيرى المدرسة الفرنسية تساهم في دمج الجماعات التي تعيش في الجزائر من فرنسيين وجزائريين وايطاليين ويهود ".

والحق أن هذا المرسوم بقي حبرا على ورق، لأن الإلزامية لم تفرض على الأهالي فلا المجالس العامة ولا البلديات قامت بمجهود معين لنشر التعليم بشكل رسمي ، وظل تسييره بيد الحاكم العام ومن اختصاصه العام وتمتعه بسلطات واسعة في هذا المجال ،ومنه يتجلى لنا سياسة التجهيل التي اتبعتها السلطات الفرنسية في حق الجزائريين ، فليس ثمة مشروع مدرسي متلاحم خاص بهم ، وقد تعددت العوامل التي أوصلت التعليم إلى هذا الانحطاط ، فمنهم من ينسب ذلك الجهل الذي خيم على الجزائريين، خلال القرنين١٩و٢ إلى عزوف الجزائريين عن التعليم و رفض الأولياء إرسال أبنائهم إلى المدارس خوفا على دينهم وتعصبا منهم ضد الفرنسيين[4].

الحق أن التحفظ الذي أبداه الجزائريون كان نابعا من معطيات اجتماعية وتاريخية حول التعليم الذي أراد الاستعمار بثه،لأن ما طلبوه طيلة سبعين سنة من الاحتلال هو تعليم يتماشى مع لغتهم وتقاليدهم ويحفظ شخصيتهم " ،في حين أن ما كان في" المدارس الفرنسية لم يكن وطنيا ولا قوميا ولا دينيا إسلاميا" [5].

وهناك وطرف أخر يرجع ذلك إلى تقصير من الحكومة الفرنسية وإدارتها في الجزائر، كونها تعمدت إهمال تعليم الجزائريين، وقطعهم عن ماضيهم ودراسة لغتهم ودينهم، وذهب اتجاه آخر يبرر عدم تعلم الجزائريين إلى كونهم من 'جنس دنيء ومنحط '،لا يتطور علميا ومعرفيا مهما بلغت جهود فرنسا، ويستند آخر إلى تدهور

---

[1] Jules Ferry (١٨٣٢-١٨٩٣) المعروف بأفكاره التوسعية،وهو مؤسس المدرسة الفرنسية العلمانية شغل منصب وزير للتربية والتعليم سنة ١٨٧٩، وناد بتعميم المدرسة في الجزائر.

[2] طاهر زرهوني:التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال،موفم، الجزائر: ١٩٩٣، ص.١٦ .

[3] Fanny Colonna : Les Instituteurs algériens (1883 -1939) .O.p.u. Alger. 1975 .p39.

[4] Charle Robert Agèron : Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919). Tom 1.1er édition .Paris .p.322.

[5] عبد الكريم بو صفصاف: المرجع السابق،ص ٤٢ .

المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأهالي وبالتالي أن معظم العائلات عاجزة عن توفير المصاريف اللازمة لأبنائها، وأن فرنسا لم تجهد نفسها في توفير الأموال لتغطية الأعداد المتزايدة من التلاميذ[1].

الحق أن الرأي الأخير هو أكثر موضوعية، خاصة إذا علمنا حالة الأهالي المزرية، فالسبب الحقيقي لرفض الفرنسيين تعليمهم هو أنهم يعتبرون التعليم وسيلة للترقية الاجتماعية، لاسيما أنه يحمل قيما ثقافية وفكرية تنشر الوعي،وتهدد أمن الفرنسيين، فقد ورد عن أحدهم قوله :[2] "تعليم الأهالي سيؤدي بهم إلى أن يصرخوا صرخة جماعية هي الجزائر عربية "،وعليه تشكلت معارضة أوربية من المستوطنين منذ إنشاء المدارس الأولى لتشتد أكثر في العهد الجمهوري الثالث بسبب مواقف الجمهوريين، ويزيد من عدائها اندلاع الثورات الشعبية التي استمرت إلى سنة١٩١٦[3]، فتخوف الكولون من ارتقاء الجزائري إلى مستوى المواطن الفرنسي فيصبح منافسا في النفوذ والسلطة فحسبهم " العدو المتعلم والمثقف أخطر من العدو الجاهل، والفلاح الأمي ينحني أمام قبعة ضابط فرنسي"[4].

من هنا كانت مواقف الكولون ثابتة تعارض سياسة التعليم في كل أشكالها واتبعوا سبلا عدة في ذلك،فممثليهم في البرلمان رفضوا تخصيص القروض لتعليم الأهالي واعتبروا أن ما يبذل من عمل هو إسراف،وقد أكد هذا أحد مسيري الميزانية وهو شودي **Chaudey** بقوله :[5] "الجزائري بطبعه رافض لكل تقدم،وبالتالي لا يستحق تعليمنا، وإذا تابعت فرنسا جهودها في تعليم الأهالي ستكون الكارثة ".

الحق أن المستوطنين كانوا يبحثون عن نمط معين من التعليم وفق سياستهم يليق بمستوى الأهالي ومقامهم،وهو أن يكون ذو صبغة مهنية يهدف إلى تكوين موظفين وعاملين في المصالح الفرنسية مثل المصانع والزراعة، ويحصلون خلالها على شهادة الدراسة الأهلية، فالغرض ليس تثقيفهم، إنما جعلهم متعلمين إلى حد معين أقصى ما يصل المتفوق فيهم رتبة معلم في مدرسة ابتدائية يكون فيها معاونا أو ممرنا لا أكثر[6].

هكذا نستطيع القول أن مشروع المدرسة الإلزامية،قد تم التراجع عنها بعرقلة الكولون الذين وقفوا في وجهها فظل الجزائريون حتى أوائل القرن٢٠ م بعيدين عن المدارس وما أنجز من مدارس كان في إطار سياسة ذر الرماد في العيون، حيث اتبع في إنشائها المستوى الاجتماعي للأهالي، فقد أبعد عنها أبناء الفقراء، وحصرت جغرافيا في بلديات محدودة فمن أصل٧٣ بلدية، وجد في٣٥ منها في كافة القطر الجزائري وتركزت معظمها في منطقة القبائل بغرض إدماجها[7].

---

[1] جوان غليسبي: الجزائر الثائرة ،تعريب خيري حماد ،ط١ ،دار الطليعة،بيروت:١٩٦١، ص ٤٩.

[2] عمار هلال: المرجع السابق، ص ص١١٠، ١١١ .

[3] عمار هلال: المرجع السابق،ص١١٤.

[4] الطاهر زرهوني: المرجع السابق،ص٢٠.

[5] Ch.R .Agèron: op-cit p.468.

[6] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص٤٣٦.

[7] مصطفى زايد: التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص١٣٢.

لقد ساد الاعتقاد عند المسؤولين الفرنسيين خلال هذه الفترة أن المدرسة أحسن وسيلة لتحقيق سياسة الإدماج والفرنسة، وهذا ما يعني القضاء على ثقافة ولغة الجزائريين،ومحو مقومات شخصيتهم، وهكذا يتم كسب جيل جديد عن طريق المدرسة وبها يتمكنون من إحكام السيطرة على الوضع، ويتركز نفوذهم وحكمهم في البلاد، ويتقبل الأهالي الوضع الجديد وقد ورد في أحد التقارير أن "بناء مدرسة أفضل من فيلقين لإقرار الأمن".

وما يؤكد صحة ذلك هو الميزانية الضئيلة المخصصة لتعليم الأهالي إذ لم تتجاوز ربع ما هو مخصص لتعليم الأوربيين، أو ربع الاعتمادات المالية المدرجة لسلك الأمن والقمع سنة ١٩٣٨[1]، فتعليمهم سقط في النسيان ولم تهتم به لا البلديات ولا الحكومة العامة وانجر عن ذلك تردي المستوى الثقافي والتعليمي، وصفه توفيق المدني بقوله[2]: "يسير سيرة الأعرج الهرم، فتجد البوادي والقرى والمدن العامرة بآلاف الأطفال، يذهبون كل غرة أكتوبر إلى المدارس فلا يجدون بها مقاعد لهم، فيعودون أدراجهم وقد امتلأت نفوسهم يأسا وألم، وقد منعوا من الالتحاق بالمدارس على قدم المساواة مع الأوربيين، فمن خلال مقارنة بسيطة بين ما يعطى لأبناء المعمرين والجزائريين، فإن النتيجة لا محال توضح الهوة الكبيرة بينهما، فالأول تطبق عليه البرامج السرية المفعول في الوطن الأم، وبواسطة معلمين أكفاء أما الثاني فتعليمه هو لفظ بلا معنى وجسد بلا روح، والجدول الأتي يوضح نسبة التفاوت بينهما[3].

الجنس	في سن الدراسة	المتمدرسون	النسبة
الأوربيون	٩٣٥٣١	٧٨٥٣٠	%٨٤
الجزائريون	٦٣٣١٩٠	٢٤٥٦٥	%٣.٨

يظهر جليا الفرق الكبير والشاسع بين تعليم الأوربيين الواسع الانتشار والذي يطبق عليه الإجبارية، فلا تكاد تخلو قرية أو مركز صغير من مراكز الاستعمار إلا وكانت فيه مدرسة، وتكاد تنعدم الأمية في صفوفهم، وعلى نقيض ذلك فإن السواد الأعظم من الجزائريين الذين هم في سن التمدرس "كانوا يتسكعون ويمتهنون مهنا حقيرة، وهم بهذه الأعمال الوضيعة كلها لا يجدون أماكن في المدرسة الفرنسية "[4].

وبلغة الأرقام فإنه عشية الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال بلغت نسبة التلاميذ الجزائريين في المدارس الابتدائية ٦ % أما التعليم الثانوي فلم يتجاوز عددهم٧٧٦ تلميذا، ويتناقص هذا الرقم بحدة في التعليم

[1] أحمد مهساس: " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، مجلة الثقافة، ع٨٥، وزارة الثقافة، الجزائر،١٩٨٥، ص.٦٥.

[2] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣. ص ص.٢٧٣، ٢٧٤.

[3] عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط١ دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر ١٩٩٩، ص.١٤٢ .

[4] الجمعي خمري :حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (١٩٠٠-١٩٣٠) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو صفصاف،جامعة قسنطينة ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣ .ص.١٨٥.

العالي، فجامعة الجزائر التي تأسست سنة١٩٠٩م ظلت فرنسية الروح والمحتوى والهدف، فمن أصل١٨١٣ طالب لم يكن بها سوى٧٧ طالب.

الحق أن سياسة فرنسا المتصلبة إزاء تعليم الأهالي لم تقف عند هذا الحد بل امتدت أساليبها الردعية إلى جعلهم جاهلين لكل منابع العلم وروافده، لاسيما العربية الإسلامية، ومن ذلك أنها حاربت التعليم العربي الحر الذي بدأ يشهد نهضة وحيوية بعد الحرب الكونية الأولى الذي تكفلت به جمعية العلماء في مدارسها ونواديها، فلم تغفل عن ذلك وراحت تضايق العلماء ورجال التعليم وذلك بحجج مختلفة وفي ذلك يقول الإمام البشير الإبراهيمي :"[1]كلما زادت الأمة إقبالا على تعلم لغتها ودينها، زادت الحكومة في القيد تضييقا حتى لو أنها نفذت تلك القرارات بحذافيرها لما بقي في الجزائر من يكتب حرف هجاء عربي".

لقد اتخذت مع مطلع القرن٢٠ إجراءات تمنع فتح مدرسة لتعليم القرآن إلا بترخيص، وأصدرت عقوبات صارمة لمن يخالف ذلك،تتراوح بين الحبس والغرامة أو معا، فقد وصل عدد المعلمين الذين حوكموا إلى٢٧ معلم سنة١٩٤٤[2].

وهكذا ظل التعليم يتراوح مكانه حتى سنة١٩٤٤م-في غضون الحرب العالمية الثانية -حين سعى ديغول Degaul إلى إيجاد تعايش سلمي تحت الحكم الفرنسي، فأصدر قرار٠٧ مارس١٩٤٤، الذي نص على أنه لكل جزائري بلغ سن التمدرس الحق في التعليم، فكانت وراءه ضغوط فهدف إلى استمالة الأهالي وكسب ودهم، والاستجابة إلى مطالب الحركة الوطنية، وقد تضمن القرار مشروع إنشاء عشرين ألف قسم مدرسي تستوعب مليون تلميذ على مدى٢٠ سنة أي سنة١٩٦٩، وهو حق يمنح لكل جزائري بلغ سن التمدرس [3]،واعتبره ديغول برنامجا طموحا يلبي حاجيات الأهالي التعليمية، لكن الحكم على هذا هو معرفة ما تحقق ميدانيا، فقد تبدو الأرقام مغرية،ومنه هل من السهل تطبيق ما نص عليه هذا المشروع ؟وإلى أي مدى ساهم في رفع نسب الجزائريين في المدارس الفرنسية ؟.

الواقع أن٠٩ % من الجزائريين الذكور يعرفون الكتابة والقراءة ومابين ١-٢ % من الإناث سنة١٩٥٤، وهذا دليل كاف على الجوانب الخفية من سياسة فرنسا التجهيلية وقد اعترف بذلك وفد فرنسي مكون من عدة شخصيات أثناء زيارته للجزائر فقد صرح رئيسه بقوله [4]:<< أنه وزملائه رؤوا بأعينهم أن مليوني من أبناء الجزائر لا يجدون أي مقعد دراسي، وذلك بعد أن بسط الاحتلال يده عليها وهم لا يشاركون في التعليم إلا بنسبة١٠ % ... ورأينا الأبواب موصدة فوجه هؤلاء".

وهذه السنة التي تمثل تاريخ اندلاع الثورة التحريرية التي أوردنا فيها إحصاءات ونسب السابقة، كي ندرك أحد أهم عوامل تفجيرها وهو الجهل المفروض والمتفشي بين أوساط الشعب، فجامعة الجزائر لا يوجد فيها سوى

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي :آثار الإمام البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ج ٣، ط١ ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢١٨.

[2] رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر:١٩٧٥،ص ١٧٤.

[3] عمار هلال: المرجع السابق،ص١٢٩ .

[4] رابح تركي: المرجع السابق، ص.١٤٥.

٥٨٩ طالبا أي بمعدل جزائري واحد لكل٢٢٧ أوربي، أما في التعليم الابتدائي فإننا نجد متمدرس واحد من ١٠ أطفال خارج المدرسة، وفي المناطق الريفية والقروية، طفل واحد متمدرس من ٥٠ إلى ٧٠ طفل نال حظه من المدرسة.

ويعتبر محمد حربي أن هذه الأرقام في قلتها أثرت سلبا على تكوين نخبة متعلمة، فأجرى مقارنة بين الجزائر وتونس التي تقل في عدد سكانها عن الجزائر بثلاث مرات فاتضح الاستلاب الثقافي الذي وصلت إليه الجزائر من خلال ما يوضحه الجدول الآتي:[1]

الإطارات	الأطباء	المحامين	الصيادلة
الجزائر	٧٥	٧٨	٤٩
تونس	١٥٣	١٨٤	١٣٦

نلاحظ من خلال الجدول أن عدد المثقفين والحاملين للشهادات الجامعية في تونس هو ضعف عدد الجزائريين، ولا شك أن المتتبع لسياسة فرنسا التعليمية يدرك أن الوضع خلال الثورة لن يكون أحسن من سابقه، فقد هم الشعب نحو استرجاع السيادة وغادر الطلبة مقاعد الدراسة ملتحقين بصفوف جبهة التحرير في إضراب١٩ ماي١٩٥٦م، وتعرض الجزائريون إلى السجن والتهجير وزجهم في المحتشدات، وترتب عن ذلك غلق معظم المدارس الحرة وتقلص عدد التلاميذ لاسيما في الأرياف، وتم إغلاق معهد عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٥٧م الذي كان يستقطب الطلاب من جميع جهات البلاد المختلفة ويتكفل بتكوينهم ففقدت بذلك الجزائر أهم مراكز التعليم[2].

ورغم صدور مشروع قسنطينة الذي ورد فيه توسيع المدارس،فإن نسبة المسجلين سنة١٩٥٨ لم تتجاوز١٠% في وهران، و٤ % في مستغانم،و ٣ % في سعيدة،واستمر التعليم يسير ببطء إلى سنة١٩٦٢، حيث تم قبول في آخر موسم دراسي تشرف عليه إدارة الاحتلال٣٠٥٠٠ تلميذ في المدارس الابتدائية من أصل٧٠٠٠٠ مسجل،وفي الجامعة بلغ عدد الطلبة١٣٧٢ ، وقدرت نسبة الأمية بـ٩٠ % من مجموع الجزائريين.

خاتمة:

وفي الأخير يتضح لنا أن المستعمر الفرنسي اتبع كل السبل للحيلولة من أجل تجهيل الجزائريين منذ نزوله على أرض الجزائر سنة١٨٣٠،فقد حارب التعليم العربي الإسلامي الذي كانت تشرف عليه المدارس والزوايا والكتاتيب منذ قرون خلت،فهدمت ودمرت وأحرقت مراكز العلم والعلماء، رغم سن القوانين التي كانت تنص

---

[1] محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض،ترجمة نجيب عياد ، موفم للنشر، الجزائر ١٩٩٤ ص٩١ .

[2] عائشة بوثريد : التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٦٢ قسنطينة نموذجا،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر،تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف،جامعة متنوري قسنطينة ٢٠٠٤-٢٠٠٥،ص ٩٥ .

على حق الجزائريين في التعليم الفرنسي وإلزامية ذلك لاسيما مرسوم جول فيري سنة١٨٨٣ الذي أقر تعميم التعليم والزاميته على الجزائريين،إلا أنه خضع لموقف الكولون المتعصب والرافض لذلك.

ونجحت سياسة التجهيل وعمت -وانتشرت في السواد الأعظم للجزائريين -إلى حد بعيد إلى حد بعيد في فرض الأمية والجهل والجفاف والقحط الثقافي عامة، وغرس جذورها في أعماق المجتمع الجزائري الذي لم يعرف هذه الظاهرة من قبل خاصة في العهد العثماني الذي انتشرت فيه دور العلم والثقافة،الذي عانى الأمرين من محاربة تعليمه الأصلي الديني ورفض استقباله في مدارس فرنسا عدا من تراه المصالح الاستعمارية الفرنسية مناسبا لها لخدمة الإدارة الفرنسية من أبناء القياد والإقطاعيين والمتنفذين وأعوانهم بصورة عامة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١. أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر،دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٣.
٢. أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٥.
٣. فرحات عباس: ليل الاستعمار لحرب الجزائر وثورتها، تعريب أبو بكر رحال،مطبعة فضالة،الرباط.
٤. محمد البشير الإبراهيمي: أثار الإمام البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي ،ج٣، ط١ ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٩٧.
٥. محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، موفم للنشر، الجزائر ١٩٩٤.

المراجع:

١. أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي،ج ٣، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.
٢. أحمد مهساس: " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية "، مجلة الثقافة،ع٨٥، وزارة الثقافة، الجزائر،١٩٨٥.
٣. الجمعي خمري :حركة الشبان الجزائريين والتونسيين ١٩٠٠-١٩٣٠ دراسة تاريخية وسياسية مقارنة،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو صفصاف، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣ .
٤. جوان غليسبي: الجزائر الثائرة ، تعريب خيري حماد ،ط١ ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.
٥. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر:١٩٧٥
٦. عائشة بوثريد: التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٦٢ قسنطينة نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف، جامعة متنوري قسنطينة .٢٠٠٤-٢٠٠٥ .
٧. عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٤٥، ط١،دار البعث، قسنطينة، ١٩٨١.
٨. عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط١ دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر،١٩٩٩.
٩. عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ١٨٣٠-١٩٦٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥.
١٠. عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ١٨٣٠- ١٩٠٠، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.
١١. طاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم، الجزائر، ١٩٩٣.
١٢. مصطفى زايد: التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. -Charle Robert Agèron : Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919). Tom 1 .1er édition .Paris .
2. -Yvonne Turin: Affrontements culturel dans l'Algérie coloniale « écoles, médecines, religion 1830 -1900 , E.N.AL, 2 émé édition, Alger : 1938.
3. Fanny Colonna : Les Instituteurs algériens (1883 -1939) .O.p.u. Alger. 1975.

دور وأهمية المتحف في حماية التراث المخطوط بالجزائر

د. عبد الكريم خبزاوي/جامعة تلمسان

ملخص:

عرفت الحضارة العربية قديما نهضة فكرية وتطورا متنوعا في شتى مجالات فنون المعرفة، التي طورت معها مختلف الصناعات التقليدية مثل صناعة الكاغد والأحبار والألوان والأقلام،كما تعددت معها الأسواق والمحلات الخاصة، كصناعة التسفير وبيع أجود الجلود وغيرها من المواد، ووصل هذا التطور إلى الرفع من قيمها العلمية لدى شرائح المجتمع المختلفة والمتنوعة المنابع العلمية والمعرفية.

لكن هذا التراث صار اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تكاثف الجهود بين مختلف الجهات والسلطات المعنية من أجل توفير أنجع السبل الكفيلة بضمان سلامته وديمومته، حيث نخص بالذكر أبرز المؤسسات التي تستطيع توفير هذه الإجراءات ألا وهي المتاحف المتخصصة التي بدأت تظهر على الساحة الوطنية مؤخرا، التي تهدف إلى البحث والكشف عن الكتب المخطوطة بغية ترميمها وصيانتها وفهرستها وعرضها، كما أنها تستطيع القيام بربط جسور تواصل علمية بينها وبين المخابر المختصة بذلك، ضماناً لديمومتها كالقيام بالمعارض والندوات العلمية المختلفة.

وبناءً على هذا سنعالج في هذه الورقة البحثية ماهية التراث المخطوط؟،والتنظيم التشريعي المعد لذلك في الجزائر؟،وطرق استغلال المتاحف المتخصصة وقدرتها على حماية التراث المخطوط،من أجل حفظ ذاكرة الأجيال.

الكلمات المفتاحية: مخطوط،متحف،تشريع،تنمية مستدامة،عرض،قانون.

مقدمة:

يبقى الورق وحده الشاهد الوحيد على تطور الحضارة العربية وفنون خطها،فهو المرآة التي تجمع داخل إطارها نمو وتطور حركة الوراقة والوراقين،وما أنجز بداخلها من رسم وكتابة خطية وفنون زخرفية،جمعت أثناء عمليات الجمع والتحرير وصولا إلى مراحل النشر المختلفة في النهاية.

وتعتبر المخطوطات أحد أهم عناصر تراثنا الثقافي المكتوب،وهي التي تضم بين ثنايا صفحاتها القيمة معلومات جد مهمة، تاريخية،دينية،لغوية،فلسفية،جغرافية،وفلكية،علمية وغيرها من المعلومات المتعددة الأبعاد كالمكان والزمان التي كتبت فيه،مشكلة لنا بذلك قطعة فنية نادرة لأنها تعد من أغنى المصادر الجوهرية لدنيا العلوم والفنون.

ويمثل الإرث المخطوط الكبير ركيزة أساسية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ حيث ازدهرت علومه وتنوعت معارفه واتسعت دائرته حتى أصبح الحديث عن التراث الفكري والثقافي جزءاً من تاريخ الأمم والشعوب.

حيث قدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، ولم يطبع منها إلى الآن إلا القليل،رغم أنها تتضمن فروع مختلفة عن المعرفة الشاملة وتشكل بمجموعها ثروة علمية كبيرة لا تقدر بثمن.

كما أن المخطوطات العربية تعد ذهب الأمة الفكرية وروحها من خلال مسيرتها المتتالية عبر الزمن، فهي أطول المخطوطات في العالم عمرا وأكثرها عددا،لأنها تعد سجل تراث الأمة ووعاء ثقافتها ومرآة لآمالها ومطامحها، ليس هذا وفقط، بل إن هذا التراث الفكري تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل.

لكن مع مرور الزمن وتقدم المجتمعات وتطورها،وتغيير طرق وأساليب الحياة مع متطلبات العصر، أصبح من الواجب على كل غيور تجاه وعاء فكر الأجداد ومعارفهم،أن يقوم بما يمليه عليه ذاك الواجب الإنساني،سواء أكان الشخص مسؤولا في مؤسسة ما أو عارفها بفنون العلم الأدبية والفكرية.

فالوصول إلى حماية المخطوطات وترميمها وتحقيقها وفهرستها يحتاج إلى تكاثف جهود عدد من الخبراء والمختصين في المجال، رغم ما ظهر في الجزائر خلال السنوات الأخيرة من مؤسسات تهدف إلى حماية التراث المخطوط وصونه، بشتى الطرق التشريعية والتنظيمية التي تطمح إلى تحقيقها الوزارة المكلفة بالثقافة.

وسنتطرق في هذا الموضوع إلى دور المؤسسة المتحفية المتخصصة في حماية التراث المخطوط بالجزائر، كأداة ميدانية تحمي وتصون الكتب المخطوطة الجزائرية.

وفي هذا الشأن نطرح الإشكالية التالية: ما المقصود بالمؤسسة المتحفية المتخصصة، وكيف تعمل وما شروط العمل بها وما هي الوسائل المتاحة لديها لحماية التراث المخطوط؟.

١- ضبط مفهوم المخطوط:

لفظ المخطوط حديث في العربية، ويبدوا أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع، أو ما قبل ذلك، إلا أن المخطوط يقصد به النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بيده، أو سمح بكتابتها أو قرأها، أو ما نسخه النساخون بعد ذلك، أو النسخ المصورة عن الأصل.[1]

والمخطوط في اللغة هو كل ما كتب بخط اليد سواء أكان كتاباً أو وثيقة أو نقشاً على الحجر،ولكنه في الاصطلاح يقتصر على الكتاب المكتوب بخط اليد[2]،ومعنى هذا أن علم المخطوط يولي اهتمامه تجاه الكتاب ولا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال المخطوطة على العملات والمنسوجات مثلا.

---

(١) – عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ١٩٩٩، ص٦٧-٦٨.

(٢) – جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري،أساس البلاغة،دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥، ص٦٥.

والمخطوط كذلك هو الكتاب الذي لم يطبع،والذي يجمع بين دفتيه نتاجاً فكرياً في موضوع معين أو في موضوعات مختلفة،وقد كتبت مواده بخط اليد بنسخة واحدة أو بنسخ قليلة معدودة،وتتباين المخطوطات من حيث حجمها وتأريخها وأوراقها وخطوطها ودقة خط نسخها،وطريقة ترتيب المادة العلمية بها[1].

فقد كان هم العلماء الأوائل مع بداية عصر المخطوطات الحفاظ على العلم الوضعي المقرر الذي جمعته الأجيال السابقة، لذا كان حجم الكتب ومحدودية انتشارها بين الناس من العوامل التي كانت تحول دون الاهتمام بتلك النظريات المستجدة التي لم تمتحنها التجربة[2].

وكمثال على ذلك فلقد أشار القدماء إلى الكتب التي استفادوا منها أو نقلوا عنها بلفظ (الكتاب) أو (النسخة) أو (الجزء) أو (المجلد) [3]،كما أن عديد العلماء لم ترد عندهم كلمة مخطوط التي نستخدمها اليوم حينما نشير إلى هذه الكتب (المخطوطة)،فكلمة مخطوط التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد والتي خلفها لنا القدماء ما هي إلا ترجمة حرفية لمصطلح **Manuscript** الفرنسية،والتي لم تستخدم بهذا المعنى إلا في عام ١٥٩٩م في مقابل كلمة مطبوع[4]،على الرغم من ورود هذا اللفظ في بعض المعاجم القديمة حيث ورد أول ذكر له عند الزمخشري في كتابه أساس البلاغة والذي يقول فيه " خط الشيء يخطه خطاً كتبه بقلم، وكتاب مخطوط "[5].

ويطلق لفظ codex على المخطوطات،وهو لفظ لاتيني يعني الكتابة الأثرية القديمة، أو الكتابة الأثرية على الألواح.[6]

٢- المؤسسة المتحفية المتخصصة في الجزائر:

أقدمت الجزائر في البداية على وضع المديرية الفرعية للمتاحف التي تعمل على تشجيع إنشاء المتاحف الوطنية وتطويرها،وتحث على كل المبادرات الرامية إلى إنشاء المتاحف الجهوية والمحلية[7]،وتسهر على تنظيمها وسيرها، من أجل استرجاع الأعمال والأشياء الفنية ذات الفائدة الوطنية الموجودة في الخارج،من خلال تطبيق التنظيم المتعلق بالتجارة وتسليم التحف الفنية القديمة**.

كما تقوم بالمشاركة في إعداد البرامج الخاصة بتكوين المختصين في مجال المحافظة على الأعمال والأشياء الفنية وإصلاحها،مع تعميم استعمال وسائل الإعلام أثناء القيام بالمعارض والملتقيات المتصلة بالمتاحف [8].

---

(١) – عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي،الدار المصرية اللبنانية،الطبعة الأولى،القاهرة،٢٠٠٢،ص ١٥٧.

(٢) – روزنتال فرانتز، مناهج الع لماء المسلمين في البحث العلمي، تر أنيس فريحه، مراجعة وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٥٥.

(٣) – ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب)، الفهرست، تح رضا تجدد، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، ١٩٧١، ص ٢٧٢.

(٤) – سيد أيمن فؤاد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٩٩٧، ص ١٠٢.

(٥) – الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الأولى، بيروت، د. ت، ج٥ ص١٢٩.

(٦) – عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قصاياه، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٩، ص٦٦.

(٧)–الجريدة الرسمية الجزائرية، الصادرة في يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ، تتضمن المرسوم التنفيذي رقم ٨١–٣٩١ المؤرخ في ٢٦ ديسمبر ١٩٨١، المتضمن تنظيم الإدارة المركزية لكتابة الدولة للثقافة والفنون الشعبية، المادة رقم ١، ص١٩١٣، ص ١٩١٥.

**– لعل المشرع يشير في هذه النقطة إلى اتفاقية اليونيسكو لاسترجاع الممتلكات الثقافية المسروقة.

(٨) – الجريدة الرسمية الجزائرية، الصادرة في يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ، المرجع السابق، ص ١٩١٥.

أما باقي المديريات كمديرية التنمية الثقافية فتعمل على تطبيق السياسة الثقافية الوطنية ونشرها وإشعاعها، وتقوم مديرية التنشيط الثقافي على أعمال التظاهرات الثقافية والفنية،ببرمجتها وتشجيعها ومراقبتها [1].

ثم أصدرت الجزائر بعد ذلك أول نص تشريعي يهدف إلى حماية التراث الثقافي للأمة، فكانت الانطلاقة في تحيين مختلف النظم القانونية لمختلف المؤسسات المعنية بحماية التراث الثابت والمنقول بأشكاله وأنواعه وألوانه المختلفة، بعد مدة تجاوزت أكثر من ثلاثين سنة بعد الاستقلال.

وقد جاء هذا القانون ليجسد فلسفة المدرسة الجزائرية التي تضمن حماية الجوانب المختلفة المشكلة لذاكرة بلد كبير شاسع برقعته وغني بممتلكاته التي تعود إلى مختلف العصور، ولقد شمل هذا القانون في مادته الثالثة، الممتلكات الثقافية المنقولة كالمصادر المخطوطة وغيرها، الموضحة بشكل أكثر في المادة رقم خمسون من نفس القانون، المخطوطات والمطبوعات طباعة استهلالية والكتب والوثائق والمنشورات ذات الأهمية الخاصة.[2]

وهي الممتلكات الثقافية المنقولة التي تمثل نتاج الاكتشافات والأبحاث الأثرية،كالأدوات والمصنوعات الزخرفية، والكتابات،والعملات،والحلي والأختام، والألبسة التقليدية والأسلحة،وبقايا المدن،بالإضافة إلى العناصر المتبقية عن تجزئة المعالم التاريخية،وكذا الممتلكات ذات الأهمية الفنية مثل الملصقات والصور الفوتوغرافية،والفنون التطبيقية على مواد الزجاج والمعدن والخزف والخشب،والطوابع والمخطوطات والمسكوكات،والخرائط والأفلام.[3]

كما تخضع كل هذه الممتلكات إلى عملية التصنيف الوطني حسب أهميتها التاريخية والفنية والأثرية والدينية، وتسجل أولا في قائمة الجرد الإضافي بناءً على طلب من الوزير المكلف بالثقافة، أو عن طريق أي شخص آخر يرى مصلحته في ذلك،إلا أن هذا التسجيل الإضافي يمتد بحسب القانون إلى غاية ١٠ سنوات[4] وفي الأخير يمكن أن لا يسجل،وحقيقة أن هذه المدة طويلة جدًا، ويمكن خلالها فقدان العديد من الممتلكات الثقافية، خاصة لما يتعلق الأمر بالمخطوطات التي تكون في حالة سيئة، وطول المدة الزمنية يساهم لا محالة في تلفها وزوالها لا من أجل حمايتها،أما قرار التصنيف فيشمل نوع الممتلك الثقافي ومصدره وتحديد لهوية مالكه أو حائزه وعنوانه، من أجل تقييد المعلومات التي تساعد في تحديد هوية المالك الأصلي لمالك الممتلك، وقد ورد في مضمون نص القانون الذي أقر بأحقية الملكية التي تبقى لصاحب الممتلك الثقافي.[5]

حيث جسدت الجزائر على أرض الواقع مجموعة من المنشآت المعمارية التي تهدف من خلالها إلى جمع واقتناء وحماية مختلف الممتلكات الثقافية المنقولة، كمتاحف المخطوطات على سبيل الحصر لا التخصيص،التي أصبحت لها مكانة مرموقة، بعدما كان هذا المجال غير معروف في الجزائر عامة سوى من خلال خزائن الكتب القيمة التي كانت منتشرة بالجنوب الجزائري، وبناءً على هذه المعطيات وغيرها، قام المشرع الجزائري بتحيين القانون الخاص بالمتاحف واستحداث مصلحة التفسير ذات الطابع المتحفي، ذلك خلال سنة٢٠١٠،وقد كلفت أساساً بالقيام بـ:

---

(١) – المرجع نفسه، ص ١٩١٦، ١٩١٧.

(٢) – الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٤٤، الصادرة في ١٧ يونيو ١٩٩٨، تتضمن القانون رقم ٩٨-٠٤، المؤرخ في ١٥ يونيو ١٩٩٨، يتعلق بحماية التراث الثقافي، المواد رقم ٣،٥٠، ص ٠٤، ١١.

(٣) – الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٤٤، الصادرة في ٢٢ صفر ١٤١٩هـ /١٧ يونيو ١٩٩٨م، قانون ٩٨-٠٤، المؤرخ في ١٥ يونيو ١٩٩٨، المتعلق بحماية التراث الثقافي، المادة رقم ٥٠، ص ١١.

(٤) – نفسه، المادة رقم ٥١، ص ١٢.

(٥) – نفسه، المادة رقم ٥٢، ص١٢.

-المحافظة على المجموعات وترميمها ودراستها واقتنائها واثرائها وجردها.

- حماية المجموعات المتحفية ووضعها في متناول الجمهور.

- انشاء فضاءات للإعلام والاتصال،والقيام بورشات بيداغوجية وفضاءات للقاء.

- تنظيم المؤتمرات والتربصات في التكوين وتحسين المستوى.

- انجاز برامج تنشيط كالمحاضرات والمعارض ونشر المعلومات المرتبطة بها، وإنجاز أعمال ونشاطات البحث[1].

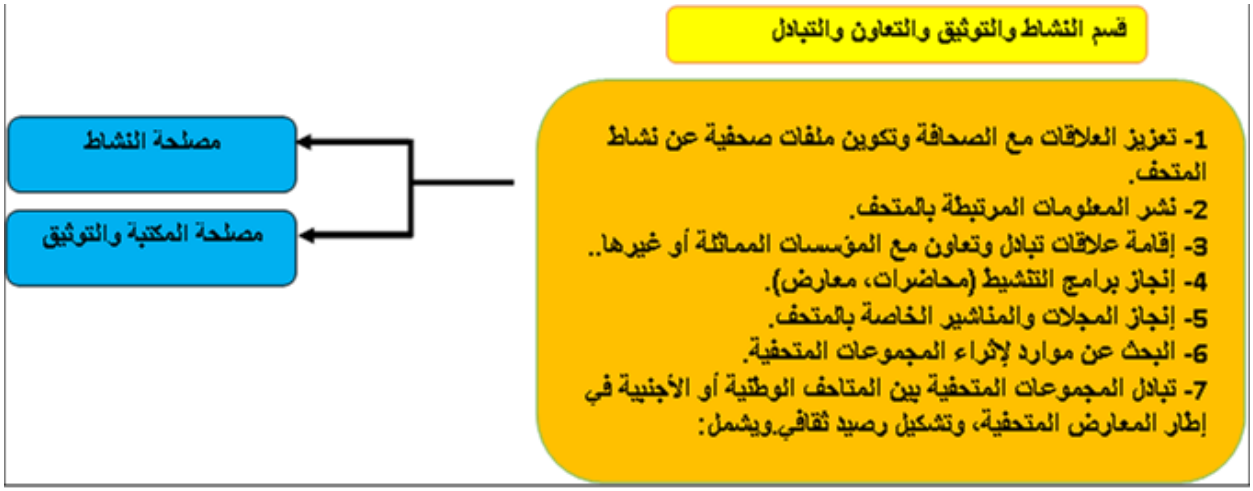

أما بالنسبة للتنظيم الأساسي لمتحف الخط الإسلامي بمدينة تلمسان،الذي أنشأ سنة٢٠١٢،فهو يضم ثلاثة مصالح تهدف كلها إلى حماية وصيانة مختلف جوانب التراث المخطوط.

حيث يضم قسم حفظ وترميم المجموعات المتحفية والبحث، القلب النابض للمتحف، بمسك الجرد التقني والعلمي للمخطوطات، إذ تقوم بالبحث عن الكتب القديمة بغية اقتنائها، بهدف إثراء مجموعاتها المخطوطة[2]،ومن خلال ذلك يمكنها القيام بالبحوث العلمية المرتبطة بها، أو أن تقوم بتنظيم تظاهرات علمية وطنية ودولية.

كما يمكن للمتحف الإشراف على البحوث العلمية التي تدخل في مجال الخط والمخطوط.

حيث تضم بدورها هذه المصلحة ثلاثة مصالح فرعية وهي:مصلحة حفظ المجموعات المتحفية، ومصلحة ترميم المجموعات، ومصلحة المخابر والمخازن والورشات،كما هو مبين في الشكل أسفله.

(١) – الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٥٦، الصادرة في ١٦ أكتوبر ٢٠١١، تتضمن المرسوم التنفيذي رقم ١١-٣٥٢، المؤرخ في ٥ أكتوبر ٢٠١١، يحدد القانون الأساسي النموذجي للمتاحف ومراكز التفسير ذات الطابع المتحفي، المادة رقم ٢، ص٥.

(٢) – الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٥١، الصادرة في ١٣ أكتوبر ٢٠١٣،تتضمن القرار الوزاري المشترك الذي يحدد التنظيم الداخلي للمتحف العمومي للخط الإسلامي وملحقاته، المادة رقم ٣، ص١٥.

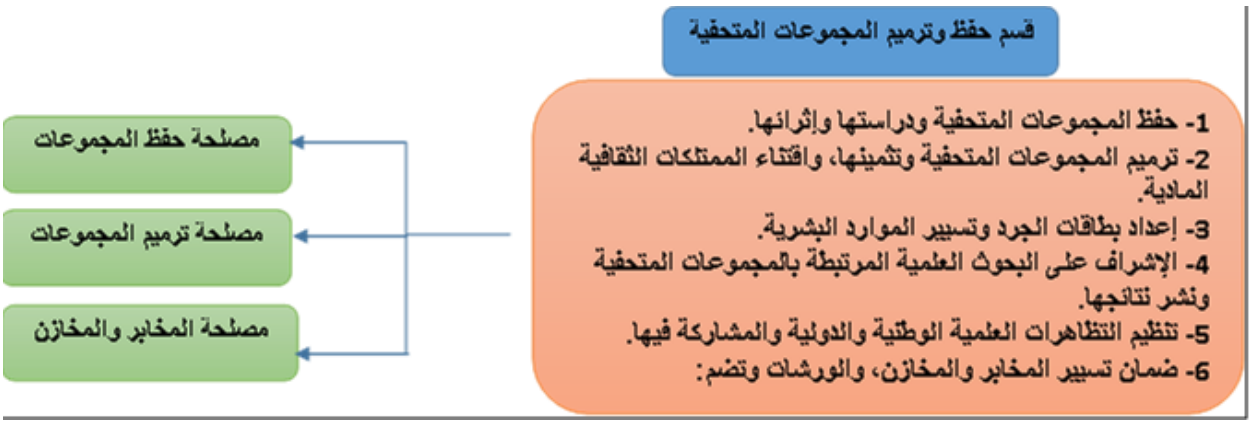

أما قسم النشاط والتوثيق والتعاون والتبادل تقوم بتعزيز العلاقات مع الصحافة وتكوين ملفات صحفية، إضافة إلى نشر المعرفة المرتبطة بذلك كالقيام بالمحاضرات والمعارض،وإنجاز المجلات والمناشير الخاصة بالمجموعات المتحفية والمتحف كما هو موضح في المخطط.

كما يقوم المتحف بالبحث عن الموارد التي لها علاقة بالخط والمخطوط والوثائق،بهدف تشكيل الرصيد الوثائقي، وإقامة علاقات التبادل والتعاون مع المؤسسات المماثلة أو المؤسسات الأخرى،كالجامعات والمعاهد ومخابر البحث، من أجل استكمال الدراسات العلمية من طرف الباحثين المختصين في ذلك.

وبهذا الشكل يمكن للمتحف ان يكون حلقة أساسية أو جسراً يربط من خلاه مختلف المؤرخين والمهتمين بالتراث المخطوط من أجل الدراسة والوصف والتحليل والفهرسة والتوثيق، ونشر الوعي الثقافي تجاه هذا الإرث من خلال الندوات التي ينشطها المتحف، حيث يتولى دعوة المختصين للقيام بالمحاضرات العلمية التي تكون مفتوحة لجميع شرائح المجتمع.

٣- البحث والجمع والاقتناء والجرد المتحفي:

يستطيع المتحف المساهمة وبطريقة فعالة في شراء مختلف الوثائق المخطوطة،لأنه مؤسسة عمومية والقانون يخول له ذلك، بالإمكانيات المالية المعتبرة المتوفرة لديه يستطيع من خلالها أن يمد يد العون من أجل البحث عن أماكن تواجد المخطوطات وشرائها في إطار تنظيمه الخاص كي يقوم بحفظها وصيانتها وترميمها وعرضها، ويصبح بذلك محوراً أساسياً فعالا يعمل على حماية تراث الجزائر المخطوط.

كما يستطيع المتحف القيام بالعروض المؤقتة والدائمة،من خلال تكفله التام بنقل المخطوطات من مالكيها الأصلين، وبواسطة تعهد مكتوب وممضي من الطرفين يضمن الإجراءات اللازمة لحماية المخطوطات أثناء عمليات العروض المختلفة،وبهذا الشكل،يمكن للمتحف أن ينشر الوعي في المجتمع المدني تجاه المخطوطات.

المستلكات الثقافية المنقولة	
رقم تسجيل المستلك	
رقم الجرد	
رقم المؤسسة	
المستلك المنقول	
موقع المستلك	
الصفة القانونية	
حالة الحفظ	
تاريخ المستلك	
تاريخ التصنيف	
تاريخ التصنيف في الجرد الإضافي	
تاريخ الشطب من الجرد الاضافي	

كما يمكنه ذلك من فتح ورشات لتعليم أنواع الخط العربي،وكذا إقامة الندوات والملتقيات العلمية مع الشركاء العلميين في الجامعة أو مخابر البحث أو مراكز حفظ المخطوط،مما سيمكنه من ربط علاقة وطيدة بينه وبين المالك الأصلي، الذي يجب أن يكون حاضرا بصفته الشريك الرئيسي في ذلك،عله يسمح بحضور الطلاب إلى مكان حفظ تلك المخطوطات في منزله الخاص، قصد دراسة وتحقيق المخطوطات،أو من أجل الانتفاع بها في شتى مجالات العلم والمعرفة المختلفة،وبهدف فتح المجال أكثر قد يقتنع مالك التراث المخطوط ببيع ما يملكه إلى المتحف، لما يلاحظ الاهتمام الكبير من طرف الجميع تجاه ما يمتلك.

وبهدف إثراء مجموعاته المتحفية بقتني المتحف بعض المخطوطات القيمة، من خلال الاستعانة بأخصائيين في المجال، بهدف تمييز الأصل من المنسوخ أو المطبوع، لأن نوعية ومميزات الخط تؤدي دوراً كبيراً، في عملية التحقيق من أصلها.

فهناك بعض المخطوطات التي يتم استعارتها في إقامة المعارض المؤقتة، التي تدخل في إطار النشاطات السنوية، خلال شهر التراث، أو الاحتفالات الوطنية.

ويثري المتحف مجموعاته المتحفية كذلك من خلال الهبات التي يقدمها الملاك الأصليون للمصادر المخطوطة، من خلال وضع اتفاق ممضى من قبل الطرفين، وهذا بعد القيام بعدة جلسات يناقش فيها ممثلي المتحف،والمالك الأصلي كل الإجراءات،كسماع متطلبات هذا الأخير،على أن يتكفل المتحف، بعملية نقل المخطوطات من المكان المخزنة فيه، إلى المتحف مباشرة،ثم يباشر المختص بحفظ التراث،عملية مراقبة كل المخطوطات وجردها،بعد وضع بطاقة خاصة بكل قطعة مخطوطة،حيث توضع بداخل واجهات العرض، لعرضها ووضعها تحت أعين الزوار.

وقد حدد المشرع الجزائري مجموعة من القواعد أو الشروط الخاصة بطريقة وكيفية التسجيل في سجل الجرد[1]، أهمها الكتابة بالحبر الصيني، شرط أن تكون الكتابة بحجم كبير على المجلد، بطريقة أفقية، موقع ومؤشر عليه بحروف واضحة دون شطب أو تحريف، على أن يجزأ المجلد إلى ثلاثة أجزاء، قسمه الأول خاص بالممتلكات العقارية المحمية، وثانيه خاص بالممتلكات العقارية المصنفة، وثالثه يخص الممتلكات المسجلة في قائمة الجرد الإضافي، ونفس الشيء بالنسبة للممتلكات المنقولة المحمية، والمصنفة، والمسجلة في قائمة الجرد الإضافي ، كما هو مبين في النموذج أعلاه.

٤- تقنيات الحماية ووسائل العرض بمتحف الخط الإسلامي-تلمسان:

جهز المتحف بأحدث وسائل العرض المتحفي،من انجاز أكبر الشركات العالمية في صنع أثاث وسائل العرض المتحفي،وهي واجهات (Goppion) العالمية،حيث بدأ نشاط هذه الشركة خلال سنوات الخمسينات بالضبط في سنة١٩٥٢م،أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.[2]

أول مشروع أنجزته شركة (Goppion) كان لصالح المتحف البلدي للآلات الموسيقية لميلانو سنة١٩٥٤م، ومؤسس هذه الشركة يسمى نينو Goppion،أما مع مطلع الثمانينات،والتسعينات،أصبحت شركة (Goppion) الممون المعتمد لعدد كبير من المتاحف الايطالية،كما قامت بصنع واجهات مجوهرات التاج في برج لندن عام١٩٩٩م، ومن بين أهم زبائنها،متحف اللوفر بباريس،والمتحف البريطاني،ومعهد البحوث جيتي، إضافةً إلى متحف الفنون الجميلة ببوسطن[٣][3].

وظيفتها الأساسية، البحث عن الحلول للمتاحف، من خلال اقتراح آليات حفظ جديدة،من مستحدثة لوسائل العرض المتحفي، بمختلف أنواعها، وتعدد تقنياتها الجديدة، المواكبة لتطور العصر.

وماتزال تبحث عن الحلول المبتكرة،قصد تحسين استغلال الواجهات،وجودتها،وصلابتها،مع تحسين تقنيات صنعها، من طرف شعبة البحث والتنمية،التابعة للشركة (Goppion).

فمنتجات واجهات (Goppion) تتمتع بالجودة،والدقة العالية في الصنع،وهي مخصصة للمحافظة على التحف، والأعمال الفنية وعرضها، بأفضل الطرق الممكنة،بواسطة الواجهات الزجاجية،لأي نوعٍ من مسارات العرض، أيًا كان نوع المتحف.

أما بالنسبة لواجهات العرض الموجودة بمتحف الخط الإسلامي بتلمسان، فهي واجهات زجاجية من نظام Q من تعبير quadrilége أي - التربيع الموصول- وهو نظام حركي يتكون من أربعة أعضاء صلبة، متصلة فيما بينها، عليها كل أنظمة الانفتاح لواجهات Goppion، كما أن لهذا النظام عدة نماذج يمكن وضعها بالطرق التي نريدها، أفقيًا أو عموديا، أو مسندة على الحائط، ومجهزة بأجهزة للمراقبة (عند الطلب)، كما بها نظام للإضاءة، ونظام للأمان مختلف الأنواع، وبعدة خيارات، وهي من انتاج (Laboratorio Muséotecnico) أي مركز Goppion للبحث والتنمية

وتتكون واجهات نظام العرض هذا النظام بصفة عامة من ثلاثة أجزاء وهي: قاعدة، وفضاء عرض له مدخل، وسقف (جزء فوقي من المعدن أو الزجاج)، ومن بين أهم مميزاتها تحقيق عنصر السلامة، والمحافظة، والاستقرار، والثبات للمجموعات

---

(١) – ر.ج.ج، عدد ٦٣، الصادرة في ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥، قرار مؤرخ في ٢٩ ماي ٢٠٠٥، يحدد شكل سجل الجرد العام للممتلكات الثقافية المحمية ومحتواه، المواد رقم ١، ٢، ص ١٩.

(2)–L'organisation de la production Goppion, Projet de Michel-Ange pour les bancs de la Bibliothèque laurentienne (Florence, Casa Buonarroti), Milano, Italia, 2012, pp29.

(3)–Ibid, pp 10-14.

المتحفية، كما بها هياكل مضادة للزلازل، وتنظيم جيد للرطوبة النسبية بنوعيها الساكنة، والمختلطة،إضافة إلى جاهزيتها للوقاية من الحرائق، دون أن ننسى درجة التأمين العالية، من عمليات السرقة، وأعمال التخريب[1].

٥-نماذج من المخطوطات المحفوظة بمتحف الخط الإسلامي-تلمسان-وأهم خصوصياتها الفنية:

المخطوط الأول: حاشية خالد بن عبد الله على شرح توضيح العلامة ابن هشام للشيخ خالد الأزهري (جزء٢)

اسم المتحف	متحف الخط الإسلامي بمدينة تلمسان			عنوان المخطوط	حاشية خالد بن عبد الله على شرح توضيح العلامة ابن هشام للشيخ خالد الأزهري ج2	رقم الجرد	/
الشارح	خالد بن عبد الله بن أبي بكر محمد بن أحمد الخزرجي الشافعي المعروف بالوقاد			المجال المعرفي	قواعد اللغة	ت.تأليف	/
اسم الناسخ	/			قول الناسخ	/	مكان النسخ	/
عدد الأجزاء	1	عدد اللوحات	280	معدل الأسطر	18 سطر	معدل كلمات في السطر1	13 كلمة.
قياس الورقة	16.5×21سم	البنط	مغربي	نوعية الخط	رفيع	الألوان	أحمر أزرق أسود
لون الحبر	أسود	لون الأوراق	أصفر	اطار الورقة	/	حجم اطار الكتابة	11.5×14.5سم
عدد الأبواب	/	ع.الفصول	/	التصحيحات	/	التهميش	/
التجليد	بجلد بني يحمل صنعة تلمسان			الزخرفة	/	التمليكات /	الحالة المادية للمخطوط جيدة
أول المخطوط							
– بسم الله الرحمان الرحيم–وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. –هذا أول ابتداء الجزء الثاني وحاشية الشيخ يس على الشيخ خالد الأزهر الذي هو حاشية على الموضح....							
مضمون المخطوط							
تضمن شرح عدة حواشي مؤلفين كعبد الله جلال الدين بن هشام.							
نهاية المخطوط							
– وأسئل الله حسن الخاتمة لي ولجميع الإخوان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.							
ملاحظات أخرى							
تكرار في أعلى الورقة يميناً ويساراً في بداية الورقتين الأولى والثانية: – بسم الله الرحمان الرحيم. – صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.							

مكان حفظ وعرض المخطوط: متحف الخط الإسلامي بتلمسان

المخطوط الثاني: حاشية خالد بن عبد الله على شرح توضيح العلامة ابن هشام للشيخ خالد الأزهري (جزء١)

(١) – -Aménagements muséographiques permanents Goppion, Projet de Michel-Ange pour les bancs de la Bibliothèque laurentienne (Florence, Casa Buonarroti), Milano, Italia, 2012, pp123-108.

اسم المتحف	متحف الخط الإسلامي بمدينة تلمسان		عنوان المخطوط	حاشية خالد بن عبد الله على شرح توضيح العلامة ابن هشام للشيخ خالد الأزهري ج1	رقم الجرد		/
الشارح	خالد بن عبد الله بن أبي بكر محمد بن أحمد الخزرجي الشافعي المعروف بالوقاد			المجال المعرفي	قواعد اللغة	ت.تأليف	1283هـ
اسم الناسخ	/		قول الناسخ	/		مكان النسخ	/
عدد الأجزاء	1	عدد اللوحات 262 لوحة	معدل الأسطر	18 سطر		معدل كلمات في السطر1	13 كلمة
قياس الورقة	21×26.5سم	البنط مغربي	نوعية الخط	رقيع	الألوان	أزرق أحمر أسود	
لون الحبر	أسود	لون الأوراق صفراء	إطار الورقة	/		حجم إطار الكتابة	11.5×14.5سم
عدد الأبواب	/	ع.الفصول /	التصحيحات	/		التهميش	/
التجليد	بالجلد لونه بني به صنعة تلمسان	الزخرفة /	التمليكات	/	الحالة المادية للمخطوط		جيدة
أول المخطوط				نهاية المخطوط			
– بسم الله الرحمان الرحيم–وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الذي شرف بحال ونصب نفسه لعبادته.....				– انتهى الجزء الأول وهذه الحاشية.			
مضمون المخطوط				ملاحظات أخرى			
تضمن ما كتب عن حواشي المشايخ الأعلام، والأئمة الكرام منهم: أحمد بن عبد الحق السنباطي، والشهاب أحمد الزرقاني، وغيرهم.				تكرار في أعلى الورقة يميناً ويساراً في بداية الورقة الأولى والثانية فقط: – بسم الله الرحمان الرحيم. – صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم			

مكان حفظ وعرض المخطوط: متحف الخط الإسلامي بتلمسان.

المخطوط الثالث (مخطوط جامع به أربع مخطوطات):

اسم المتحف	متحف الخط الإسلامي بمدينة تلمسان	عنوان المخطوط	مخطوط جامع (أربعة أجزاء) 1– التنوير في اسقاط التوبير. 2– اتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين. 3– الجواهر المنظومة في شرح المنظومة. 4– .....كرامات الأولياء	رقم الجرد	/
مؤلف المخطوط	1– تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري 2– أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي المصري. 3– أبو القاسم بن أحمد بن يامون التليلي. 4– بدون مؤلف.	المجال المعرفي	1– التصوف. 2– علم التوحيد. 3– العقيدة 4– التراجم	ت.تأليف	1– 1197هـ 2– 1198هـ 3– 1137هـ 4– 1281هـ
اسم الناسخ	/	قول الناسخ	/	مكان النسخ	/
عدد الأجزاء	4 في مخطوط واحد (260)لوحة	عدد اللوحات (260)لوحة	1– 26 2– 87 3– 50 4– 69	معدل الأسطر في كل ورقة	1– 11. 2– 22. 3– 22. 4– 22.
		معدل الكلمات في السطر	1– 09 2– 16 3– 15–16 4– 11		
قياس الورقة	16×21.5سم	البنط	مغربي	نوعية الخط	خليظة ورفيعة
الألوان	أحمر+أصفر+أخضر				
لون الحبر	أسود+أحمر	لون الأوراق	أصفر	اطار الورقة	/
حجم اطار الكتابة	1– 14×09سم 2– 16×10سم 3– 16×10سم 4– 16×10سم				
عدد الأبواب	/	ع.الفصول	/	التصحيحات	موجودة.
التهميش	به تمميشات				
التجليد	من الجلد ذو لون بني به عدة إطارات	الزخرفة	في بداية الأجزاء 3+4	التمليكات	/
الحالة المادية للمخطوط	حسنة				

أول المخطوط	نهاية المخطوط
1– الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير الواحد في الحكم والتقدير الملك الذي ليس له في الملك وزير..... 2– الحمد لله الواحد الأحد العبد الصمد، الذي كان قبل كل شيء..... 3–الحمد لله الذي جعل النكاح من أعظم أسباب الاعتصام..... 4–الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيئين.....	1– كمل الكتاب المبارك ذو الخير المتدارك محمد لله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده وصحبه وسلم تسليما كثيراً كثيراً. 2– الحمد لله رب العالمين، آمين آمين آمين. 3–انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل. 4– انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليمًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى.
مضمون المخطوط	ملاحظات أخرى
1– الفقه والعقيدة، الصبر. 2–في علم التوحيد، وعقائد الإمام السنوسي. 3–منظومات تفيد النكاح و أحكامه، والترغيب فيه وكذا في الخطبة والوليمة وشروطها. 4–ضم 40 بابًا في كل باب تضمن كرامات الأولياء الصالحين وسيرهم، ومناقب الأئمة الأربعة	توجد 20 ورقة فارغة في بداية المخطوط. – عدد كبير من الفراغات ألحت باللون الأحمر.

مكان حفظ وعرض المخطوط: متحف الخط الإسلامي بتلمسان

بعد الدراسة والمعالجة الميدانية للنماذج المذكورة أعلاه التي استطاع المتحف اقتنائها وحمايتها، وتسهيل عملية الاطلاع عليها،من أجل الدراسة والتحليل والفهرسة والتوثيق،ما تزال بحاجة ماسة إلى مختلف الباحثين والدارسين مجال المخطوط العربي من أجل التعمق أكثر في مضمونها والعمل بجد من أجل الانتفاع بمعارفها القيمة التي تحتاج ربما إلى مشاريع بحثية معمقة في تخصصات الأدب والفنون وغير ذلك من العلوم.

فالمتحف استطاع من خلال ذلك تأمين المادة الملموسة المتمثلة في المخطوط ووضعه أمام الزوار لزيارته والتعرف على أهم خصوصياته، وهو بذلك يقدم خدمة جليلة للتراث العربي المخطوط.

٦- التنمية المستدامة في التراث المخطوط:

تسهم التنمية الحقيقة في التراث المخطوط عبر تفعيل جسور التواصل المختلفة بين المؤسسات المكلفة بحماية وحفظ التراث، ومن بينها المتاحف،غير أن هذه الأخيرة تستطيع حل العديد من المشاكل التي تعترض الباحث أو المؤرخ الذي يمثل المؤسسة العلمية الجامعية،كربط العلاقات وتذليل الصعاب أمام كل من يريد دراسة المخطوط أو الخط العربي في حد ذاته.

فالمخطوط يحمل بين ثناياه مجموعة هامة ومهمة من المعارف والعلوم،ومن التقنيات الفنية الرائعة جسدت في عديد الأشكال والرسوم ومن تزويق للحروف، وكلها حلقة تتكامل مع بعضها البعض يحتاج إليها كل شخص عالم كان أو متمدرس يريد تعلم فن من الفنون العربية.

وباستطاعة المتاحف القيام بذلك من خلال فتح ورشات خاصة بتعليم فنون الخط العربي مثلاً،شريطة أن تكون دورية، يقوم بتأطيرها عدد من الباحثين المختصين في الخط العربي،وهذا النشاط لوحده كفيل بتكوين جيل من الخطاطين بإمكانهم المساهمة في العناية بالمخطوط العربي وخطه.

كما أن المؤسسة المتحفية بإمكانها اقتراح مجموعة من البحوث العلمية التي تكون بأمس الحاجة إليها، على المؤسسة الجامعية التي تستغل ذلك في إطارها العلمي،مشكلين بذلك حلقة تواصل بين المؤسستين خدمة للتراث المخطوط بمختلف ألوانه وأشكاله.

ضف إلى ذلك فإن إقامة الندوات والملتقيات العلمية التي تصب في مجملها داخل وعاء المخطوط،يمكن أن يساهم هو الآخر في لفت انتباه الرأي العام نحو الأهمية العلمية والفنية لهذا التراث،ومن العمل على نشر كل البحوث والدراسات التي أعدت أثناء مختلف المحافل العلمية.

وقد عمد المشرع الجزائري في وضع بنود تنظيمية سهل عملية استرجاع المكتشفات الأثرية المنقولة، مخطوطات أو غيرها، حيث في حالة اكتشاف أي شخص ما لممتلك ثقافي أثناء قيامه بأشغال مرخص بها أو عن طريق الصدفة، على المكتشف التصريح بما وجده للسلطات المحلية المختصة، والتي تقوم بدورها بإخبار وزارة الثقافة فوراً.[1]، وهذا الاجراء في حد ذاته يهدف إلى تنمية قطاع المتاحف التي تهتم بالتراث المخطوط.

كما وضع المشرع الجزائري نصاً تنظيميا خاصا بذلك، طبقا للمادة رقم٧٧ من قانون٩٨ ٠٤ ، ولأحكام المرسوم التنفيذي رقم ٠٧ ٣١٤)،لتحديد مبلغ المكافأة التي يمكن دفعها لمكتشف ممتلك ثقافي، وهذا بعد تحرير محضر خاص بذلك،بأمن من

(١) الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٤٤، قانون ٩٨-٠٤، المرجع السابق، المادة رقم ٧٧، ص١٥.

الوزير المكلف بالثقافة،يحدد فيه طبيعة وقيمة الممتلك المكتشف، والمعلومات المتعلقة بتشخيص مكتشف الممتلك الثقافي [1]،بعد أن تقوم السلطات المختصة إقليميا على اتخاذ جميع التدابير التحفظية اللازمة للحفاظ على الممتلك الثقافي المكتشف.

ثم تقوم لجنة اقتناء الممتلكات الثقافية بتحديد قيمة الممتلك المكتشف،وتحدد كذلك مبلغ المكافأة التي يجب ألا تتجاوز ثلث القيمة المقدرة للممتلك الموجه لإثراء المجموعات المتحفية الوطنية، وترفق هذه المكافأة بشهادة عرفان تقدير، يمنحها له الوزير المكلف بالثقافة.[2]' وكلها إجراءات تضمن حماية المخطوطات الجزائرية.

٧-أهمية المتاحف المتخصصة:

المتحف له عدة أدوار أساسية في مقدمتها المحافظة على التراث المخطوط في حدود ما ينص عليه قانونه الخاص به، ووفق الشروط المهنية المتاحة له،يقابله في ذلك مشاركة الملاك الأصليين للمخطوطات، وفتحهم المجال لعمال المتحف،تفقد مختلف الأعمال المخطوطة، لإبداء الرأي فيها، وعن شروط وكيفيات تخزينها لحمايتها من التلف والضياع.

ولا تقتصر المحافظة في سبيل خدمة لجيل اليوم وفقط،بل لأجل خدمة جيل الغد، وصيانة وترميم وتعقيم الكتاب المخطوط،وحمايته من مختلف عوامل التلف الطبيعية منها، والبشرية، مع ضمان دراسة أعمق،تشمل الفهرسة والتحقيق،لإخراجها من دائرة النسيان إلى الوجود، بالحث على تعلم أنواع الخط العربي وأحكامه،للإلمام بمعرفة جوانب المخطوط النية والتقنية، وبذلك تكون قد أسهمت في تنوير الفكر بالمعلومات وبمناهج وطرق ووسائل الكتابة.

فهي تجمع بين جدرانها بين مختلف الأدوات والأعمال الفنية المادية،وغير المادية، التي تعبر عن الوجود الإنساني في مختلف الحضارات[3].

فالمتاحف وسيلة تجذب المواطن للزيارة،وتعرفه بتاريخ وثقافة بلاده،وتشعره بالانتماء لها، وتعرفه بالقواسم المشتركة بينه وبين بقية المواطنين.

فكرة احتاجت فيها عديد الدول لعدة سنوات،كي ترسخها وتزرعها في مختلف شرائح جيلها الحالي، لأن القضية ليست أكبر من الذهاب إلى المتاحف وفقط، بل الكارثة في ألا يأبه الشعب لتاريخه، ولا يهتم به، وهو أمر بديهي ألا يذهب إلى المتاحف، لأننا لم نستطع إثارة انتباهه إلى أهمية هذا التاريخ،لنسهل عليه فهم محتويات المتحف[4].

وبإمكان المتحف إحياء كل ما له علاقة بالخط والكتابة والفن،من خلال العروض التي يقوم بها سواء أكانت كالتي تلك التي تقام في وسط المدينة،أو من خلال الأيام الدراسية والملتقيات التي تقام من أجل نشر الوعي الثقافي لإبراز أهمية المتاحف المختصة، وكذا أهمية الكتابة والخط العربي في الكتاب المخطوط.

---

(١) – الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٤١، الصادرة في ٢٠ يوليو ٢٠٠٨، المرسوم التنفيذي رقم ٠٨–٢٧٧ المؤرخ في ١٥ يوليو ٢٠٠٨، يحدد مبلغ المكافأة التي يمكن دفعها لمكتشف ممتلك ثقافي، المواد رقم ١، ٢، ص ٠٤.

(٢) – المرجع نفسه، المواد رقم ٣، ٤، ص٠٤.

٣ – أدامز فيليب وآخرون، دليل تنظيم المتاحف(إرشادات علمية)، ترجمة محمد حسن عبد الرحمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٣، ص١٦.

٤ – بشير زهيدي، المتاحف(دراسات ونصوص قديمة)٢، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٨، ص٧.

خاتمة:

تبرز قيمة المخطوطات في أصالتها الحقيقية،ومن خلال المعلومات التي تحملها،وعلى الرقي والتقدم الأدبي والفكري، لدى مؤلفي تلك المصادر،ناهيك عن المعالجة الدقيقة للمواضيع المخطوطة،ضف إلى ذلك نوع الخط العربي،المستعمل في عملية الكتابة،وهو خط مغربي الأصل، وهي ترمز بذلك إلى حقبة تاريخية للمنطقة وما جاورها.

ومثل هذه المخطوطات محفوظة،ومعروضة في أروقة متحف الخط الإسلامي، بمدينة تلمسان، لعدد من المؤلفات النادرة،والثمينة والنفيسة بما تحمله بين ثنايا لوحاتها، من مختلف فنون العلوم والمعارف.

ودور فعال تقوم به المؤسسة المتحفية في الجزائر،للمحافظة على التراث المخطوط،جراء ما تقوم به من إجراءات عمل ميدانية،وعلمية،تجمع بين البحث،والجمع والتعقيم، للوصول إلى الدراسة،والتحقيق والعرض المتحفي،لمختلف أنواع المؤلفات النادرة التي تعود بالفائدة، والنفع، على مختلف الشرائح،في ربوع الوطن،وهي بذلك تسهم في نشر الوعي الثقافي عامةًلتراثٍ مادي، بقي صامدًا،ولا يزال،رغم كل الصعاب التي اعترضته،من مخاطر طبيعية كانت،أو بشرية،ورغم عاديات الزمن المختلفة تؤدي دورها في المجتمع،تنتظر من يتصفحها، ويتحقق من صحتها، لإكمال وظيفتها،في حفظ تاريخ عريق،لكل الأجيال،جيلاً بعد جيل.

قائمة المصادر والمراجع:

١) - عبد العزيز بن محمد المسفر، **المخطوط العربي وشيء من قضاياه**، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ١٩٩٩.

٢) - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٦٥.

٣) - عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة ،٢٠٠٢.

٤) - روزنتال فرانتز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تر أنيس فريحه، مراجعة وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١.

٥) - ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب)، الفهرست، تح رضا تجدد، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، ١٩٧١.

٦) - سيد أيمن فؤاد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٩٩٧.

٧) - الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الأولى، بيروت، د ت، ج٥ .

٨) - عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قصاياه، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٩.

٩) - الجريدة الرسمية الجزائرية، الصادرة في يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ، تتضمن المرسوم التنفيذي رقم ٨١-٣٩١ المؤرخ في ٢٦ ديسمبر ١٩٨١، المتضمن تنظيم الإدارة المركزية لكتابة الدولة للثقافة والفنون الشعبية.

١٠) **- لعل المشرع يشير في هذه النقطة إلى اتفاقية اليونيسكو لاسترجاع الممتلكات الثقافية المسروقة.

١١) - الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد٤٤، الصادرة في ١٧ يونيو ١٩٩٨، تتضمن القانون رقم ٩٨-٠٤، المؤرخ في ١٥ يونيو ١٩٩٨، يتعلق بحماية التراث الثقافي.

١٢) - الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٥٦، الصادرة في ١٦ أكتوبر ٢٠١١، تتضمن المرسوم التنفيذي رقم ١١-٣٥٢، المؤرخ في ٥ أكتوبر ٢٠١١، يحدد القانون الأساسي النموذجي للمتاحف ومراكز التفسير ذات الطابع المتحفي.

١٣) - الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٥١، الصادرة في ١٣ أكتوبر ٢٠١٣، تتضمن القرار الوزاري المشترك الذي يحدد التنظيم الداخلي للمتحف العمومي للخط الإسلامي وملحقاته.

١٤) - الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٦٣، الصادرة في ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥،قرار مؤرخ في ٢٩ ماي ٢٠٠٥، يحدد شكل سجل الجرد العام للممتلكات الثقافية المحمية ومحتواه.

١٥) - الجريدة الرسمية الجزائرية، عدد ٤١، الصادرة في ٢٠ يوليو ٢٠٠٨،المرسوم التنفيذي رقم ٠٨-٢٧٧ المؤرخ في ١٥ يوليو ٢٠٠٨، يحدد مبلغ المكافأة التي يمكن دفعها لمكتشف ممتلك ثقافي.

١٦) - أدامز فيليب وآخرون، دليل تنظيم المتاحف(ارشادات علمية)، ترجمة محمد حسن عبد الرحمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٣.

١٧)- بشير زهيدي، المتاحف(دراسات ونصوص قديمة)٢ ، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق،١٩٨٨.

18)- L'organisation de la production Goppion, Projet de Michel-Ange pour les bancs de la Bibliothèque laurentienne (Florence, Casa Buonarroti), Milano, Italia, 2012.

19)-Aménagements muséographiques permanents Goppion, Projet de Michel-Ange pour les bancs de la Bibliothèque laurentienne (Florence, Casa Buonarroti), Milano, Italia, 2012 .

التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين
- دراسة ميدانية بجامعة بسكرة-

د.بومعراف نسيمة/جامعة بسكرة د.برغوتي توفيق/جامعة باتنة١

ملخص:

خلال السنوات الأخيرة عرفت الأمراض العقلية انتشارا واضحا في دول العالم حيث صنفتها المنظمة العالمية للصحة(OMS)كثاني مرض يهدد البشرية إلى سنة٢٠١٢ و الجزائر كغيرها من الدول عرفت زيادة واضحة و ملموسة في عدد المرضى، حيث قدرت بعض إحصائيات المختصين أن عدد المرضى العقليين في الجزائر يقارب المليون و نصف المليون مريض، و هو عدد مرشح للارتفاع بحكم توفر الجزائر على أرضية لانتشار ثاني أكبر مرض يهدد العالم، و أكدت إحصائية أخرى للصحة العقلية في الجزائر أن نسبة٣٠% من الأشخاص الذين لا مأوى لهم و المتواجدين عبر شوارع العاصمة مصابون بأمراض عقلية، و ذلك ما كشف عنه البروفيسور "تيجيزة" رئيس قسم الأمراض العقلية بمستشفى(دريد حسين) بالجزائر؛الذي قال أن١٠ على٣٠ أشخاص ممن اتخذوا من الشارع ملجأ لهم مصابون عقليا.

و هذا راجع إلى ما شهدته الجزائر خاصة في السنوات الأخيرة، من آثار الفيضانات و الزلازل ناهيك عن مخلفات العشرية السوداء التي عاث فيها الارهاب فسادا في البلاد كانت من أهم الأسباب التي ضاعفت من عدد المصابين بالأمراض العقلية، و إلى جانب هذا النوع من المرض الذي يبقى الشارع ملاذه الوحيد هناك نوع آخر من المصابين بأمراض عقلية وراثية، و هؤلاء كذلك عرضة للتواجد في الشوارع لأن معاناتهم من هذا المرض تتسبب في معاناة أخرى كعدم قدرتهم على العمل بسبب حالتهم الصحية بالتالي انعدام المورد المالي الذي يشبع حاجاتهم أو حتى يمكنهم من شراء الدواء فيجدون في الشارع ملجأهم الوحيد خاصة إذا كانت الأسرة فقيرة و تعيش في ظروف صعبة.

رغم هذا الانتشار الواضح يبقى مفهوم المرض العقلي يحمل نوعا من الغموض لدى الأفراد لأنه يتأثر نوعا ما بالثقافة السائدة سواء من الناحية السببية أو التفسيرية حيث يعبر عنها من خلال نمط تفكير الأفراد و سلوكاتهم أو ما يعرف بالتصورات الاجتماعية؛ و التي تعبر عن الحالة النفسية للفرد نحو موضوع ما في شكلها المعرفي و تتكون بناءا على ما يوجد لديه من معارف و أفكار و خبرات عن هذا الموضوع و تؤدي بالفرد للقيام ببعض الاستجابات في موقف معين، هذه السلوكات تفسر واقع الفرد لأنه مستمر في إطاره الاجتماعي. و بالتالي فهي تصبح إطاره المرجعي و لأنها تعد من الأساليب الهامة التي يعتمدها الباحثون في مختلف الدراسات النفسية و الاجتماعية و التربوية حيث تستمد من خلالها المعارف و المعلومات و الشيء المراد الوصول إليه.

فماهي العناصر المشكلة للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين؟

الكلمات المفتاحية:التصورات الاجتماعية،المرض العقلي،الطالب الجامعي.

مقدمة:

وجودنا في العالم المحيط بنا يجعلنا نحتاج دائما إلى معارف لفهمه، حيث أنه يزخر بالمواضيع و الأشخاص و الوضعيات المرتبطة ببعضها البعض، و لكل عنصر أهميته و دوره في المجتمع من بين تلك الوضعيات ما هو مجسد لحياتنا الشخصية، وماهو سجل لقيمنا و عاداتنا مهما كانت صلتنا بتلك المواضيع و الوضعيات؛فإن الفرد بحاجة دوما إلى ذلك التواصل،لأنها تشكل كينونته من خلال المعارف، الطقوس و مختلف العادات المشتركة بين أفراد المجتمع.

و يكتسب الفرد هذه العناصر من خلال احتكاكه الدائم و المتواصل بالمجتمع الذي نشأ فيه،فهي تتشكل لديه عن طريق عدة عمليات عقلية و فكرية،و التي منها عملية بناء التصورات الاجتماعية ،أو يدخل ضمنها التصور كصيرورة لبناء المعارف لدى الفرد.و في هذا السياق فهي تساعد الفرد على مواجهة العالم المحيط به من خلال معالجته و تعديل المواقف و حل المشاكل التي يواجهها الفرد.

تعتبر التصورات الاجتماعية لظاهرة من الظواهر جزءا من الثقافة باعتبارها الإطار المرجعي و المعرفي للسلوك لدى أي مجتمع،و يدخل في هذا الإطار كل السلوكات التي تتطلبها الحياة اليومية للفرد ذات العلاقة بالحاجات البيولوجية،النفسية،الاجتماعية و غيرها من العمليات التي تؤطرها الثقافة بما تحتويه من مجموعة عناصر تؤثر في توضيح طبيعة المرض،لأنها تحكم تصرفات الانسان من خلال الموجهات السلوكية التي تتضمنها فهي تتخلل معظم صور السلوك الانساني في العادات الاجتماعية،المعتقدات،المعارف،المفاهيم و التصورات،و هذه الأخيرة تلعب دورا هاما في تحديد مفاهيم المرض و دلالاته،و في أساليب التعامل معه و الوقاية و العلاج.و سنحاول في هذه المداخلة التعرف على التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين من خلال القيام بدراسة ميدانية مع طلبة السنة الثانية علم النفس بجامعة محمد خيضر بسكرة.

أولا: الإطار النظري:

١- تعريف التصورات الاجتماعية:

حسب معجم علم النفس؛التصور ليس مجرد استرجاع صورة بسيطة للواقع فقط بل تكوين أو بناء للنشاطات العقلية،فهو بالتالي بناء عقلي لنشاطنا[1].

يخلط الكثيرون بين مصطلح التصور و غيره من المفاهيم المشابهةله،كالرأي،و الاتجاه:

فالرأي يعد استجابة لفظية واضحة قابلة للقياس و الملاحظة؛ إذ يرى عبد الرحمان العيسوي أن الرأي" يعتنقه الفرد لفترة محددة،و غالبا ما يعبر الرأي عن الشعور القومي السائد لدى الأفراد، و الآراء قابلة للتغيير مثل الاتجاهات، إلا أنهما يختلفان في الدرجة فالاتجاه يتعرض للتغيير بدرجة أقل من الرأي[2].

[1]Sillamy, N. (1983). Dictionnaire de la psychologie. Paris: édition bordas, p 129.

[٢] عبد الرحمن العيسوي. (١٩٩٤). علم النفس العيادي. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص ١٦٣.

و التصور يختلف عن الرأي، إذ أن التصور أشمل،كون الرأي خاص بالفرد،يعتنقه لفترة محددة فقط ثم يمكن تغييره، أما التصور فيتميز بنوع من الثبات و يحمل الخصائص الجماعية،إذ أنه يتأثر بالآراء الشخصية،فحسب موسكوفيسي؛ التصور هو مجموعة من الآراء[1].

أما الاتجاه؛ فهو يمثل الحالة الوجدانية للفرد التي تتكون وفقا لما يحمله من معتقدات و تصوراتفيما يتعلق بموضوع ما أو لأشخاص معينين و تدفعه في معظم الأحيان إلى القيام بعدد من الاستجابات أو السلوكات حيالهافي موقف ما و يتحدد من خلال هذه الاستجابات مدى رفضه أو قبوله لهذا الموضوع أو هؤلاء الأشخاص[2].

أما التصورات الاجتماعية فتمثل أنظمة التفكير حول مواضيع معينة تختلف عن الآراء و الاتجاهات،يكون الفرد بواسطتها على اتصال بمجتمعه،و هي نوع من المعرفة العامية و المشتركة بين أفراد المجتمع حيث تكون مهيأة و مقسمة اجتماعيا بينهم باختلاف المعايير(الاجتماعية-الثقافية- الايديولوجية...)،تشكل حصيلة نشاط عقلي اعتمد على إعادة بناء الواقع و إعطائه معنا خاصا أو تصورا خاصا كما أنها مرنة و ليست ثابتة تختلف من عصر لآخر و من مجتمع لآخر تبعا لظروف المجتمع الحالية، و هي متداولة بين أطرافه كالتصورات الاجتماعية حول الصحة و المرض، أو المرض العقلي، فهي دائما تركز على هدف معين.

٢- تعريف المرض العقلي:عرفه **سيجموند فرويدS,Freud** بأنه أشد اضطرابات الشخصية خطورة و شمولا، و هو يبدو في صورة اختلال شديد في القوى العقلية و عجز عن إدراك الواقع أو تحقيق التوافق الاجتماعي في كافة صوره، و يشاهد في الذهان الانفصال عن الواقع و تشويه و اضطرابات الانفعال و القدرات العقلية،و تفكك الشخصية و الاضطراب الواضح في السلوك.و تتميز الشخصية الذهانية بالتفكك و فقدان التكامل و التغير الجذري،و تحطيم الدفاعات النفسية للذهاني،و تضعف عمليات الكبت و المقاومة، مع اضطراب الأنا.و الذهاني لا يشعر بمرضه و لا يعترف به،و لا يرغب في تغيير حالته، و لا يكون متعاونا لعدم استبصاره[3].

فالمرض العقلي إذا عبارة عن اختلال شامل في شخصية الفرد،بحيث يصبح غير قادر على أداء وظائفه بالشكل المطلوب و يكون هذا الاختلال على مستوى القدرات العقلية،فيبدو افتقار الفرد للاتصال بالواقع و غالبا ما يبدو غير قادر على التمييز بين الحقيقة و الخيال و تضطرب انفعالاته بحيث تتميز بالغرابة و العجز عن تحقيق التكيف الاجتماعي و الاستقرار الوظيفي أو العضوي الذي حدث على مستواها.

٣- التطور التاريخي للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي:

١.٣ - التصورات التقليدية للمرض العقلي:

كانت فئة المرضى العقليين مهمشة،و لا تزال إلى يومنا هذا رغم التطور العلمي و التكنولوجي،و إذا تحدثنا عن التاريخ القديم لهذه الفئة نجدها كانت تعامل معاملة وحشية، ففي بروسيا وجد قانون تم العمل به حتى سنة (١٢٣) كان يسمح

[1] Maach,Y& al.(2002).Les représentation sociales, un concept au carrefour de la psychologie sociales et de la sociologie. Constantine: les éditions de l'Université de Constantine, p 13.

[٢] عبد اللطيف محمد خليفة. (٢٠٠٠). دراسات في علم النفس الاجتماعي. (المجلد٢). القاهرة: دار قباء للنشر و التوزيع، ص ٧٣.

[٣] فيصل عباس. (١٩٩٤). الصحة النفسية. الاسكندرية: دار القلم، ص ٦٣.

للمرء بالتخلي عن عائلته إذا مرض أحد أفرادها و تحل عليه البركات إذا أحرقهم و أحرق نفسه معهم إذا كان مريضا هو أيضا[1].

فبالنسبة للعصور البدائية فقد كانت مشكلة المريض العقلي منذ القدم تلاحظ من خلال سلوكاته أو من خلال علاقاته، و لو لم يكن لديه ما يشكو منه صحيحا،إذ أنه في العادة إما يلوم نفسه أو غيره، و حينئذ يبدو مختلفا عما كان عليه، و كان هذا الاختلاف أو التغير يعزى إلى شيطان من الشياطين تجسده أما إذا كان طيبا قد تجسده فكان ينطقه بالحكمة، و حينئذ تسمو به القبيلة إلى مرتبة الأنبياء، و لا زالت بعض هذه المعتقدات سائدة بين الكثير من القبائل إلى يومنا هذا[2].

أما بالنسبة للعرب في الجاهلية فقد كانوا يعتقدون بوجود الجن و يخافونه و يرهبون منه و يظنون أن له مساكن في البوادي الجرداء و بطونالأودية المهجورة، حيث أنهم عبدوا الجن قبل الإسلام خوفا منه و كانوا يقدمون الذبائح له، و المجنون عندهم رجل صرعته جنية و المجنونة صرعها جني، عن طريق العشق و الهوى و شهوة النكاح. كما اعتقدوا أن الصرع نتيجة لمخالطة الجن للإنس،و كان لدى غيرهم من الشعوب طريقتان للعلاج؛ طريقة الكهنة و العرافين، و أسلوب العلاج بالعقاقير[3]

فيما اعتقد المصريون القدامى أن الأمراض عامة و النفسية و العقلية خاصة تنشأ من غضب تلك الظواهر-تأثير أرواح الموتى- و هكذا كان مفهوم تسلل المرض إلى الجسم و العقل،لذلك فمن المهم جدا لديهم معرفة السحر و الاستعانة بالتمائم القادرة على طرد الأرواح و إخراجها من الأعضاء هذا مع استعمال بعض الأعشاب و المواد و الأدوية التي لاحظوا أنها تساعد على طرد الأرواح و حصر ظهورها أو منعها من الدخول في الجسم بصورة مطلقة باستخدام حجاب حصين أو تميمة قادرة على منع المرض و الأرواح الشريرة من اختراق جسم الانسان و روحه[4].

و رغم أن المصريين استعملوا طرقا علاجية و تفسيرية خرافية للمرض العقلي؛إلا لأنهم كانوا أول من ميز المرض النفسي و وصفوه و كتبوه على أوراق البردي قبل الميلاد[5].

في حين كان اليونان يؤمنون بأن المرض من عمل الشيطان فالشياطين حسبهم تتجسد في البشر و خاصة الأمراض النفسية وفي حين كان اليونان يؤمنون بأن المرض من عمل الشيطان فالشياطين حسبهم تتجسد في البشر و خاصة الأمراض النفسية و تتفهم المعاملة الحسنة و لا ينفع معها إلا التعذيب و الضرب[6].

فيما عمل الرومان على التخلص من هذه الفئة من البشر (باعتبارها تشكل عبئا ثقيلا على المجتمع) بواسطة القتل و بأبشع من ذلك، ففي اسبرطة كان يتم التخلص منهم برميهم من أعالي الجبال للحيوانات المفترسة، أو يوضعون في ملاجئ مظلمة و يقيدون بالسلاسل و يضربون ضربا مبرحا للاعتقاد السائد بأن المرضى سوف يتحسنون[1].

---

[1] سلامة منصور محمد، نهى سعدي مغازي. (١٩٩٨). رعاية ذوي الأمراض العقلية و النفسية، (ط٣). الاسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر و النشر و التوزيع، ص ٢٤.

[2] – سلامة منصور محمد، نهى سعدي مغازي ، المرجع السابق،ص ٣٥.

[3] – سعد جلال. (١٩٨٥). في الصحة النفسية، الأمراض النفسية و العقلية و الانحرافات السلوكية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٢٢.

[4] – موفق هاشم.، صقرالحلب. (٢٠٠٠). الاضطرابات النفسية عند الأطفال و المراهقين. (ط٢). بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ٧٠.

[5] عبد السلام زهران. (١٩٩٧). الصحة النفسية و العلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب، ص ٢٥.

[6] – موفق هاشم.، صقرالحلب، مرجع سابق، ص ٧١.

فيما اعترض بعض فلاسفة الإغريق على هذا التصور فكانت لهم نظرة واعية للطب، على غرار أبي قراط الذي اعتبر أن المخ هو عضو العقل، و أن المرض العقلي ينتج عن مرض المخ، و لاحظ دور الوراثة و الاستعداد و علاقتها بالاضطرابات العقلية كالهوس، الهستيريا و الصرع الذي أسقط عنه تسمية المرض المقدس[2].

كما أشار أفلاطون إلى صراع الرغبات و عدم توازنها. فيما ركز أرسطو على الجانب الفيزيولوجي في ظهور المرض العقلي،و توالت الأبحاث فيما بعد ليميز إسكليبادوس بين هذيان الحمى و أشكال الاضطرابات العقلية المزمنة و فرق بين الأوهام و الأفكار غير الواقعية التي يتمسك بها أصحابها كما أبدع طرقا جديدة للعلاج و إشعار المريض بالراحة بدل جنه،و أكد من جاء بعده على ضرورة وضع المرضى العقليين في أماكن هادئة بعيدة عن الضوضاء و أزال الرسوم و الألوان عن الجدران و أكد على تهوية حجرات المرضى،و معاملتهم باللين.

فيما اعتبر "جالينوس" خلال القرن الثاني للميلاد أن الدماغ قاعدة العقل،و أتى بتجارب عديدة و عملية لإثبات فكرة أن المخ هو أساس الروح و ألح على الرفق بالمرضى و حسن معاملتهم[3].

رغم هذا التطور الذي توصل إليه العلماء و المفكرون، حدثت نكسة و عاد الفكر الخرافي و انتشرت الشعوذة و ساد الدجل مرة أخرى، و عادت فكرة تملك الأرواح الشريرة لجسم الانسان،أما العلاج فكان بربط المريض بالسلاسل و تجويعه و ضربه بالسياط بدعوى أن هذه الطريقة تعيد الذاكرة للمريض[4].

و بذلك كانت فترة العصور الوسطى بحق أظلم فترات التاريخ، إذ سمحت القوانين رسميا بتعذيب و قتل آلاف الأبرياء من المرضى، و ذوي الاضطرابات النفسية و العقلية و المعاقين بشكل عام.

ليعود فيما بعد البحث و تتكاثف الجهود لتفسير هذه الاضطرابات و إيجاد علاج لها،ففي مرحلة عصر النهضة ظهر التفسير الموضوعي مرتبطا باضطراب فيسيولوجي أو دماغي و تصنيف الأمراض العقلية و دراسات عديدة على المرضى العقلين دون أن يغير هذا شيئا في معاملتهم و بقوا يعيشون في ظروف صعبة رغم تطور مفهوم احترام الفرد في تلك الفترة.

حيث حاول العلماء الرفع من مستوى معاملة هذه الفئة و محو التصورات الخاطئة حول طبيعة المرض و طرق علاجه.

وازدهرت علوم الطب و العلاج في العالم العربي و الاسلامي؛حيث تأثر العلماء بروح الاسلام في رعايتهم للمرضى العقليين حيث أقاموا المستشفيات لهذه الفئة و تاريخ (البمارستانيات) في العالم الاسلامي يعطي صورة مشرقة للمعاملة التي كان يتلقاها المرضى،على عكس ما كان عليه الأمر سابقا (قبل الإسلام) كما في أروبا- التقييد بالأغلال، و وضعهم في زنزانات و يعالجون بالسحر و العزائم إلى أن جاء الاسلام، الذي طالب بمعاملة انسانية خاصة بهذه الفئة، إذ نص على مبادئ المساواة بين الناس و العدل بينهم.

---

[1] – تيسير كوافحة.(٢٠٠٤).علم النفس التربوي. (ط١). عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، ص ٤٠.

[2] حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٩٦.

[3] – موفق هاشم.، صقرالحلب، مرجع سابق، صص ٧١– ٧٢.

[4] – حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٩٧.

٢.٣- التصورات الحديثة للمرض العقلي:

كان المرض يفسر في العصور السابقة تفسيرات عضوية أو غيبية ميتافيزيقية ترتكز أساسا على نظرة المجتمع و تصور للعالم وفق القيم و المعتقدات التي نشأ عليها،لكن ظهور بعض العلوم و تطورها (علم النفس،علم الاجتماع و الطب...) و خاصة خلال القرن العشرين بدأ الانتقال من الإدراك السابق إلى صورة أكثر وضوحا، حيث أصبح ينظر إلى المرض العقلي من منظور بيو طبي-نفسي-اجتماعي.

أ- **النموذج البيولوجي:**الذي يفترض أن الأسباب الرئيسية و الأساليب الفعالة في علاج السلوك الشاذ تكون بيولوجية بالدرجة الأولى،و يقترح هذا النموذج على وجه التحديد أن الاختلالات الوظيفية الحيوية للجهاز العصبي عموما و للمخ على وجه الخصوص تكون مسؤولة عن الاضطرابات العقلية، و أن استخدام الأدوية و العقاقير سوف يعدل من الاختلالات الوظيفية و يعالج أو يزيل هذه الظروف[1].

و بالنظر إلى الافتراضات الضمنية لهذا النموذج للأمراض العقلية،نجد بعض أوجه التشابه بين ما ذكره اليونانيون القدامى منذ ٢٥٠ سنة مضت و ما ذكره الأطباء اليوم،و من هذه الافتراضات:

- أن ما يصيب المخ من تلف أو خلل وظيفي يعد مسؤولا عن الاضطراب العقلي.

- أن التشخيص الدقيق للاضطرابات العقلية يتطلب معرفة أوجه القصور في الوظائف البيولوجية للمخ المسببة لهذا الشذوذ.

- أن العلاج المناسب يتضمن بذل جهد بتعديل أو استبعاد الاختلالات الوظيفية للمخ و التي تتم حاليا باستخدام العقاقير.

و قد أدت الاكتشافات التي تمت في مجال العوامل البيولوجية إلى تطورات مثيرة في اكتشاف المرض خاصة ما تعلق منها بالتصور العصبي و الوراثة و بهذا أصبح النموذج البيولوجي ذو تأثير فعال في مجال علم النفس المرضي.

ب- **النموذج الطبي:**وضع هذا النموذج نسق التصنيف الذي أدى إلى بحث شامل في علم أسباب الأمراضأو مبحث اتيولوجيا المرض للتنبؤ و علاج أنواع متعددة من الاختلالات السيكولوجية و على أي حال فهذا الكم الهائل من الأبحاث قد أضاف القليل جدا لفهمنا لطبيعة الأمراض العقلية، و ربما كانت الإضافة الأكبر هو أن تلك الأمراض المختلفة وجدت مترابطة مع اضطرابات المخ، فهذه النتائج المبكرة أشار إليها من قبل رواد الطب النفسي في القرن الماضي من أن الأساس العضوي لكل المشكلات السيكولوجية ينبغي أن يكون قد اكتشف في وقتها و عند هذه المرحلة ينبغي أن يظهر هذا التفاؤل المبكر الذي لا أساس له من الصحة. لذلك يرى هذا النموذج بأن سواء كان جسميا أو نفسيا ينسب إلى أسباب عضوية مرتبطة بحادث وراثي سواء قبل خلال أو بعد الولادة،و بالتالي يجب البحث عن السبب و العلاج الكيماوي هو الأساس،و من هنا فكل الأبحاث في علم الجينات بالوراثة و دراسة الدماغ و الأسباب البيوكمياوية نرى هنا أن هذا النموذج يعطي الأولوية لأسباب العضوية[2].

ج- **النموذج النفسي:** ينظر البيولوجيون إلى الاضطرابات العقلية من زاوية الجزئيات فيما يرى المحللون النفسانيون خلف المرض العقلي اختلالا يطرأ على الجهاز النفسي،و يندرج في الدينامية النزوية وفق ما جاء به مؤسس هذه النظرية

[1] محمد السيدعبد الرحمان. (٢٠٠٠). علم الأمراض العقلية و النفسية. القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، ص ٥٦.

[2] بدرة ميموني. (٢٠٠٣). الاضطرابات النفسية و العقلية عند الأطفال و المراهقين.الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص ٣٢.

"سيجموند فرويد" الذي يفترض أن الجهاز النفسي يتكون من الأنا-**Le moi**،الأنا الأعلى -Le sur moi، الهو-Le ça،فالهو؛هو منبع الطاقة النفسية و مستودع الغرائز و الدوافع الفطرية التي تبحث عن الإشباع.

تجدر الإشارة إلى أن مدرسة التحليل النفسي ركزت على الصراع القائم بين مكونات الجهاز النفسي الذي يستمد جذوره من تاريخ الطفولة، لكن فرويد لم ينف وجود أسباب وراثية و تكوينية و بالتالي فإن هذا النموذج يعطي الأولوية للأسباب النفسية.

كما حاول هايH,Heyالجمع بين النظرية العضوية و النظرية النفس دينامية و أعطى توجها أسماه عضو دينامية انطلاقا من نظرية جاكسونJacksonالذي يرى أن الاضطرابات تؤدي إلى انحلال سلمي من المعقد إلى البسيط، و هذا ما يؤدي إلى اضطرابات نفسية هامة، لكن لم ينجح كثيرا لأن العضوية تبقى لها الأولوية في النظرية[1].

د- النموذج السلوكي: اهتم الروسي ايفان بتروفتش بافلوفPavlov .B .Iبدراسة العمليات المتعلقة بفسيولوجيا الهضم لدى الكلاب و عملية الإشراط،و تعتبر هذه المدرسة أن الأعراض العصبية هي سلوك متعلم عبر الاشراط[2] .

و بالتالي فالسلوك غير السوي ينتج على أساس خبرات تعليمية سابقة أو فشل في الاستفادة من الخبرات التعليمية المختلفة، و هذا التعلم يحدث عن طريق عنصرين أساسيين هما التعلم بالملاحظة و التعلم بالإشراط.

هـ- النمودج الاجتماعي:ينظر هذا النموذج للإنسان من حيث هو كائن اجتماعي في تفاعل دائم مع الوسط الذي يعيش فيه، و أنه لمن الواضح في سياق التفاعلات الاجتماعية أن المرض العقلي يتأثر لا في شكله فحسب بل في تطوره أيضا كما بينت ذلك الدراسات الأنثروبولوجية و السوسيولوجية العديدة[3] .

لابد أن نشير إلى أن تصور المرض وفق النموذج الاجتماعي غير كاف لتفسير المرض العقلي أو النفسي؛ حيث تتداخل في سلوك الفرد تشكيلة من عدة عوامل(نفسية -بيولوجية-اجتماعية ...) إذ نادى "**باندورا**" بالتفاعل المتبادل و المستمر بين السلوك و العوامل المعرفية و المثيرات البيئية، و أطلق تسمية الحتمية التبادلية، لأن السلوك هو نتيجة لعوامل تؤثر في بعضها البعض تشمل العوامل المعرفية في هذا الإطار المعتقدات،التصورات،التوقعات و الادراكات الذاتية.

كما يرى "**باندورا**" بأن العوامل التي تؤدي إلى السلوك بشكل تفاعل تبادلي مستمر بين الشخصية و المحددات الاجتماعية[4].

في الأخير نشير إلى أن تصور المرض العقلي ليس أكثر من حقيقة مؤكدة كونه امتلاك روحي أو مس شيطاني أو لعنة إلهية نتيجة غضبها و حسب،أو كما اعتبر في زمن آخر بأنه تعبير عن لطف الآلهة و رضاها، إن هذا فحسب حجر الزاوية للفروض العلمية التي شيدت لتحديد لأي مدى يمكن للنماذج (البيولوجية-الطبية-النفسية-السلوكية-الاجتماعية)أن تعلل و تضع الطرق المثلى لعلاج الاختلالات السيكولوجية في ظل التصورات الراهنة للمرض العقلي.

---

[1] بدرةميموني، المرجع السابق، ص ٣٢.

[2] محمد أحمد قاسم. (١٩٩٩). علم النفس التعلم. الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب، ص ٤٣.

[3] محمد شلبي. (١٩٩٨). "ثلاث نماذج تفسيرية للمرض العقلي". **مجلة العلوم الانسانية**، العدد: ٩. الجزائر: جامعة قسنطينة.

[4] محمد السيد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص ١١١.

ثانيا: الدراسة الميدانية:

١- **منهج الدراسة**: ككل البحوث النفسية و الاجتماعية يأخذ تحديد المنهج المستعمل في الدراسة أهمية قصوى قصد إبراز طريقة البحث،و عليه طبعا لطبيعة الموضوع و كذا فرضيات البحث فإننا اعتمدنا **المنهج الوصفي** كمنهج أساسي للدراسة،و الذي مكن من التعرف على العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين التي تحمل طابعا نفسيا و اجتماعيا متعلقا بفرد من أفراد المجتمع و هو الطالب الجامعي و من ثمة الإجابة على تساؤلات الدراسة،لذا كان المنهج الوصفي السبيل لوصف الظاهرة موضوع الدراسة، و تفسيرها للوصول إلى الأهداف التي بنيت عليها.

٢- **فرضيات الدراسة:** للإجابة على تساؤل الدراسة الرئيسي،ارتأينا تقسيمه إلى جزئين واضعين له فرضيتين للإجابة عنه:

١- تتشكل العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين من الثقافة الشعبية.

٢- تتشكل العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين من تكوينهم الأكاديمي.

٣- **عينة الدراسة:**على اعتبارها جزءا من المجتمع الكلي فإنه يشترط في عينة البحث أن تكون معبرة عنه تعبيرا حقيقيا، و ذلك تبعا لطبيعة الموضوع. و قد تمثلت عينة الدراسة في عينة من طلبة السنة الثانية علم النفس، و البالغ عددهم أربعين (٤٠) طالبا تم اختيارهم بشكل عشوائي.

٤- **أدوات الدراسة:** اعتمدت الدراسة على **استبيان** يحتوي٣١ بندا،و قد تم اختيار هاته الأداة باعتبارها الأنسب في جمع المعلومات، للتحقق من الفرضيات و معالجتها،للكشف عن التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة.

و قد احتوت الاستبانة على **محورين**،يحمل كل منهما بعد: التصور القديم و التصور الحديث في تفسير المرض العقلي؛ و قد قسمت المحاور على النحو التالي:

أ- محور التفسير القديم(الثقافة الشعبية) للمرض العقلي:يضم العبارات (١-٣-٧-٩، ١١ ٢١ ٣١ ٧١ ١١ ٢٢ ٣٢ ٤٢ ٥٢ ٦٢ ٩٢ ٢).

ب- محور التفسير العلمي(الحديث) للمرض العقلي:يضم العبارات (٤ ٥ ٦ ٨ ٤، ١ ٨١ ٦١ ٥١ ٤٨ ٦٥ ٤٢ ١، ٢٨٢ ٧٢ ٣١٣).

* **الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:**بعد تطبيق طريقة التجزئة النصفية بتقسيم بنود الاستبانة إلى فردية و زوجية، و حساب معامل الارتباط بين الجزئين حصلنا على معامل ثبات يساوي٠,٨١،أما الصدق الذاتي للاستبانة فقد مثل٠,٩٣،و نتيجة لذلك يمكننا اعتبار معامل ثبات بنود الاستبانة معاملا لصدق بنودها.

٥- عرض نتائج الدراسة:

١.٥ - عرض نتائج الفرضية الأولى: المتعلقة بالتفسير التقليدي للمرض العقلي

جدول رقم (١): يوضح العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي المشكلة من الثقافة الشعبية.

الرقم	العبارة	نعم		لا		المجموع
		التكرار	%	التكرار	%	
١٠	المرض العقلي جنون	38	%95	2	%5	40
٣٠	المرض العقلي هو غرابة في السلوك	40	%100	0	%0	40
٧٠	المرض العقلي نتيجة لضعف الإيمان	4	%10	36	%90	40
٩٠	المرض العقلي وصمة عار و إهانة للعائلة	36	%90	4	%10	40
10	المرض العقلي شكل من أشكال التخلف الذهني	37	%92,5	3	%7.5	40
11	المرض العقلي مس من الجن	0	%0	40	%100	40
12	المرض العقلي سببه السحر	2	%5	38	%95	40
13	الإصابة بالمرض العقلي قضاء و قدر	39	%97.5	1	%2.5	40
٧١	المرض العقلي هو ضعف في الذاكرة	20	%50	20	%50	40
21	علاج المرض العقلي يتطلب حضور الجن	0	%0	40	%100	40
22	المرض العقلي معضلة اجتماعية	40	%100	0	%0	40
23	المصاب بالمرض العقلي منبوذ من طرف عائلته	37	%92.5	3	%7.5	40
24	قراءة الأدعية و الابتهالات تشفي من المرض العقلي	2	%5	38	%95	40
25	المرض العقلي ميؤوس من الشفاء	35	%87.5	5	%12.5	40
٢٦	يمكن علاج المرض العقلي بالصدمة الكهربائية	38	%95	2	%5	40
٢٩	علاج المرض العقلي بالأحجبة و التمائم	0	%0	40	%100	40

من خلال الجدول رقم (٠) نلاحظ أن أفراد العينة يتفقون على أن المرض العقلي معضلة اجتماعية لأنه غرابة في السلوك، و قد أخذ كلا البندان المتضمنين للعبارتين أعلى نسبة استجابة بنسبة١٠٠% ،و هو ما يشير إلى تأثير الثقافة الشعبية التي تمثل النموذج التقليدي في تفسير المرض العقلي لدى الطلبة رغم مستواهم العلمي،كما نلمس أيضا ارتفاعا في درجات العبارة رقم(٠٩) و المتضمنة أن المرض العقلي وصمة عار و إهانة للمجتمع حيث قدرت نسبة الإجابة بنعم (97.5%)، و هذه الفكرة نابعة من الوسط الاجتماعي و الثقافة المحلية و بالتالي تمثل التصور الاجتماعي للمرض العقلي.

ثم تتوالى باقي العبارات بنسب أقل فبالنسبة لعبارة:أن المرض العقلي جنون فقد قدرت نسبة إجابة أفراد العينة بنعم بـ (95%) و هذا نابع من الأفكار و المعتقدات السابقة للمرض،و هي مصطلح قانوني حيث أن كلمة جنون ليس لها مدلول طبي و لا يوجد في الطب النفسي مرض بهذا الاسم(الجنون).

و من بين الأفكار التقليدية التي يعتقدها أفراد العينة حول المرض العقلي، هي أن علاجه يتم بالصدمة الكهربائية و قد مثلت نسبة الإجابة٩٥ %،و الكثير من الطلبة و المقدرين بنسبة٩٠% يعتقدون أن المرض العقلي شكل من أشكال التخلف العقلي،هنا نجد أن الطلبة يخلطون بين المصطلحات كما هو الحال عند عامة الناس،و أغلب اعتقاداتهم نابعة من المجتمع،حيث أنه نفس النسبة السابقة من الطلبة يرون أن المرض العقلي وصمة عار و إهانة للأهل، و هذه الفكرة كانت

سائدة قديما من خلال سوء معاملة المريض العقلي من أهله و من المجتمع على السواء حسب ما سبق ذكره، حيث سمحت القوانين رسميا في سابق الأزمنة بتعذيب و قتل آلاف الأبرياء من المرضى،و ذوي الاضطرابات النفسية و العقلية و المعاقين بشكل عام،إذ كان يتم تقييدهم و وضعهم في سجون منفردة،و عزلهم عن المجتمع الذي كان ينبذهم.و قد بقيت بعض هذه الممارسات ضد المرضى العقليين رغم التطور الذي حققه العلم، بحيث أصبح من الممكن التحكم في تطور المرض و تفاقمه من خلال التكفل النفسي و الاجتماعي بالمريض خاصة إذا تم الكشف عن المرض مبكرا مما يساعد على التقليل من حدته و تقدمه للمراحل المتطورة.

كما نلاحظ من خلال الجدول أن استجابات الطلبة لباقي بنود التصورات الاجتماعية للمرض العقلي وفق الثقافة الشعبية المحلية، فقد تراوحت بين (٠ % ٥٠ %) ما يدل على أن التصورات الاجتماعية للطلبة الجامعيين للمرض العقلي هو نفسه تصور عامة أفراد المجتمع المحلي المستمدة من الثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري بشكل عام.

٢٥- عرض نتائج الفرضية الثانية: المتعلقة بمحور التفسير العلمي للمرض العقلي:

جدول رقم (٢): يوضح العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي وفقا للتكوين العلمي

الرقم	العبارة	نعم		لا		المجموع
		التكرار	%	التكرار	%	
.2	المرض العقلي هو فقدان التوافق	٢٢	% 55	18	% 45	40
.4	المرض العقلي هو اضطراب في المخ	٤٠	١٠٠%	.	.%	40
.5	المرض العقلي هو الإعفاء من المسؤولية	40	%100	0	% 0	40
.6	المرض العقلي هو خفة في العقل	40	%100	0	% 0	40
.8	المصاب بالمرض العقلي لديه استعداد مسبق للإصابة	35	%87,5	5	%12.5	40
١٤	المرض العقلي مرض وراثي	40	%100	0	% 0	40
15	المرض العقلي يعيش في عالم خاص به	40	%100	0	% 0	40
16	المصاب بالمرض العقلي يتخيل أصوات تكلمه	37	%92.5	3	%7.5	40
18	يعرف المصاب بالمرض العقلي بالسلوك العدواني	40	%100	0	% 0	40
١٩	يعرف المصاب بالمرض العقلي بالانطواء	40	%100	0	% 0	40
٢٠	يعرف المصاب بالمرض العقلي بحدة الانفعال	38	%95	2	% 5	40
27	المصاب بالمرض العقلي يهمل مظهره الخارجي	40	%100	0	% 0	40
٢٨	المرض العقلي هو انفصام في الشخصية	37	%92.5	3	%7.5	40
٣٠	يمكن علاج المرض العقلي بالأدوية و العقاقير	٤٠	١٠٠%	.	.%	40
31	يتم علاج المرض العقلي عن طريق التحليل النفسي	٢٨	.% 7	٢١	٣٠%	40

من خلال الجدول رقم (٢٠) نلاحظ ارتفاعا في أغلب البنود الدالة على التفسير العلمي للهرض العقلي؛ حيث أن تسعبارات من هذا المحور تمثلت نسبة إجابة الطلبة فيها بـ ١٠٠% للتفسيرات العلمية للمرض العقلي، حيث يرى الطلبة بأن المرض

العقلي هو اضطراب في المخ و خفة في العقل ما ينجم عنهإعفاء المصاب من كامل المسؤولية لأنه غير قادر على تحملها، إذ يعيش المريض العقلي في عالم خاص به بعيدا عن العالم الحقيقي و عن المحيطين به، ما يجعله انطوائيا،من جهة و مهملا لمظهره الخارجي من جهة أخرى،كما أن سلوك المريض العقلي حسب عينة الدراسة يتسم بالعدوانية اتجاه الآخرين،كما يعتقد الطلبة المستجوبون بأن المرض العقلي مرض وراثي،و يرون أن علاج المرض العقلي يتم باستخدام الأدوية و العقاقير.

أما باقي البنود فقد نالت الاجابة بنعم بنسب أقل تراوحت بين ٥٩ % - 95 %). و من خلال هذا نستقريء وجود التفسير العلمي للمرض العقلي، حيث يبرز هنا دور التكوين الأكاديمي للعينة،لأنها تعبر على التفسير العلمي الحديث للمرض العقلي الذي يستمد من النموذج البيولوجي في تفسيره لهذا المرض إذ يفترض أن الاختلالات الوظيفية الحيوية للجهاز العصبي عموما و للمخ على وجه الخصوص تكون مسؤولة عن الاضطرابات العقلية، و أن استخدام الأدوية و العقاقير سوف يعدل من الاختلالات الوظيفية و يعالج أو يزيل هذه الظروف.

خاتمة:

من خلال دراستنا هاته و التي تهدف إلى الكشف عن التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين، و من خلال ماسبق عرضه من نتائج كمية،نستنتج ما يلي:

- يحمل الطلبة الجامعيون تصورات اجتماعية للمرض العقلي تتمثل في:تفسير الثقافة الشعبية للمرض العقلي،و هذا راجع لتأثر أفراد العينة بالمجتمع الذي ينتمونإليه و بالثقافة السائدة فيه.

- يحمل الطلبة الجامعيون تصورات اجتماعية أكاديمية للمرض العقلي من خلال إجابتهم الايجابية على بنود محور التفسير العلمي للمرض العقلي،و هذا تبعا لتكوينهم العلمي و الأكاديمي.

- و في الأخير نخلص إلى أن العناصر الضمنية للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الطلبة الجامعيين تتشكل من الثقافة الشعبية و كذا من تكوينهم الأكاديمي.

و على كل لا يمكننا حصر العناصر الضمنية المشكلة للتصورات الاجتماعية للمرض العقلي سواء لدى الطلبة الجامعيين أو لدى فئة أخرى غيرهم،لأن هذه العناصر تختلف من فئة لأخرى و من مجتمع لآخر تبعًا لتغير المجال الثقافي و العلمي و الاجتماعي لكل فئة.

قائمة المراجع:

١- جلال، سعد. (١٩٨٥). في الصحة النفسية، الأمراض النفسية و العقلية و الانحرافات السلوكية. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢- خليفة، عبد اللطيف محمد. (٢٠٠٠). دراسات في علم النفس الاجتماعي. (المجلد٢). القاهرة: دار قباء للنشر و التوزيع.

٣- زهران، حامد عبد السلام. (١٩٩٧). الصحة النفسية و العلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب.

٤- شلبي، محمد. (١٩٩٨). "ثلاث نماذج تفسيرية للمرض العقلي". مجلة العلوم الانسانية، العدد: ٩. الجزائر: جامعة قسنطينة.

٥- عباس، فيصل. (١٩٩٤). الصحة النفسية. الاسكندرية: دار القلم.

٦- عبد الرحمان، محمد السيد. (٢٠٠٠). علم الأمراض العقلية و النفسية. القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع.

٧- العيسوي، عبد الرحمن. (١٩٩٤). علم النفس العيادي. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٨- قاسم، محمد أحمد ، (١٩٩٩). علم النفس التعلم. الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب.

٩- كوافحة، تيسير.(٢٠٠٤).علم الرفس التربوي. (ط١). عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع.

١٠- محمد، سلامة منصور.، مغازي، نهى سعدي. (١٩٩٨). رعاية ذوي الأمراض العقلية و النفسية، (ط٣). الاسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر و النشر و التوزيع.

١١- ميموني، بدرة . (٢٠٠٣). الاضطرابات النفسية و العقلية عند الأطفال و المراهقين.الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

١٢- هاشم، موفق.،الحلب، صقر. (٢٠٠٠).الاضطرابات النفسية عند الأطفال و المراهقين. (ط٢). بيروت: مؤسسة الرسالة.

13- Maach,Y&al.(2002).Les représentation sociales, un concept au carrefour de la psychologie sociales et de la sociologie. Constantine:les éditions de l'Université de Constantine.
14- Sillamy, N. (1983). Dictionnaire de la psychologie. Paris: édition bordas.

اللغة والهوية عند المراهق

أ.د.كحلولة رحاوي سعاد/جامعة وهران ٢ أ.توهامي سفيان/جامعة سعيدة

ملخص:

تعد اللغة من أهم الأنماط السلوكية التي يعتمد عليها الفرد بشكل لافت في حياته اليومية وذلك نظرا لأهميتها الكبيرة،وقد أكد ذلك العديد من العلماء باختلاف تخصصاتهم أمثال ديسوسير ،بياجيه وجاك لاكان.

وتقتصر أهمية اللغة في مجموع وظائفها التي تتلخص في الوظيفة الإخبارية والتفاعلية زيادة على الرمزية هذه الوظائف إن استطاع الإنسان استعمالها بشكل جيد ساهمت في بناء هوية لغوية خاصة ونفسية اجتماعية عامة،وبالتالي تجنب ما يعرف بأزمة الهوية خصوصا في مرحلة المراهقة.

الكلمات المفتاحية:اللغة-الدال-المدلول-الكلام– التمثلات-الهوية- أزمة الهوية-اللاشعور-الخطاب.

١/تعريف اللغة:

من أهم التعاريف الشاملة للغة،ذاك الذي يعرفها على أنها أحد أنماط السلوك الذي يتميز باستعمال الرموز اللفظية من أجل التعبير عن كل ما هو فكري،محسوس أو مدرك،باستعمال جهاز التصويت بالنسبة للغة المنطوقة أو عن طريق القيام ببعض الإشارات و استعمال بعض الأدوات من أجل اللغة المكتوبة.و هذا كله في تناسق مع بيان معجمي و قواعد تركيبية ممثلة من قبل أنظمة لفظية و صوتية.

يعرفها "لالاند" بقوله: هي نسق رمزي من الإشارات،يمكن أن يستعمل للتواصل.

وقد أكد ديسوسير(**F. De Saussure**) في النظرية اللغوية على أن الكلام هو مجموعة من الإشارات، و في كل إشارة نميز عنصرين مهمين:الدال و المدلول.

و يبين **بيار ليجندر**(**Pierre Legendre**) في تحليله للقائمة التكوينية للكلام،أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة ارتباطية،كما أكد على ضرورة وجود ما يعرف بالوتيرة الثلاثية من أجل اعتماد مصداقية العلاقة بين الدال و المدلول[1].

[1] - flarin Agnès ;(1999) ; le développement du langage; édition Dunod ; paris,p125.

١.١/ المدلول:(le signifié):

يقصد به المفهوم أي التصور العقلي للشيء،على عكس الفكرة المنتشرة فلا يمكن دائما اعتبار اللغة على أنها فهرس من الكلمات التي تعكس الأشياء أو المفاهيم السابقة الوجود بعناوين،فإذا كان هذا هو الحال فكل كلمات اللغة و أصنافها النحوية يكون لها نفس المعنى الدقيق في لغة أخرى.هذه الملاحظة قادت **ديسوسير** إلى التمييز بين الدلالة و القيمة ،حيث هناك بعض الكلمات لها نفس المعنى و لكن ليس لها نفس القيمة اللغوية.

١.٢/الدال:(le signifiant):

فالدال يعني الصورة الصوتية للكلمة والمهم فيها ليس الصوت في حد ذاته و إنما الاختلافات الصوتمية التي تميزه عن باقي الكلمات،فالقيمة تكمن في الاختلافات.وكل لغة يتشكل لها قاموس خاص بها من خلال عدد محدد من الصواتم.

٢/ المبادئ الأوّلية لعلم اللغة:حسب دي سوسير:

إن محاولة تلخيص ما جاء به"**دي سوسير**"في بضعة سطور لأمر جدّ صعب،و هذا لكونه مؤسس هذا العلم بداية بتحديد موضوعه و منهجه إلى تحديد فروعه التي تسمح بدراسة اللغة من الناحية البيئية.

فأوّل ما قام به" **دي سوسير**"هو تحديد موضوع الدراسة،الذي أهمله علماء اللغة من قبله.لذا فهو يفرّق بين **ثلاث** مصطلحات:

Langage:المعنى المطلق للغة أي الأسلوب اللغوي:و هو يقوم على "ميزة نستمدها من الطبيعة" فنحن مؤهلين للاتصال لغويا من الناحية الجسدية(مخ،لسان،فم،سمع،بصر...) و من الناحية الذهنية.

Langue:المعنى الضيق للغة أو اللسان:و هذا ما يمثل الموضوع الأساسي لعلم اللغة حسب"**ديسوسير**"و يعرّفها بأنها "شيء متفق عليه و مكتسب"و هي تمثل الوجه الاجتماعي للأسلوب اللغوي،أي أن هذا الأخير،عند استعماله في الاتصال اليومي بين الأفراد يأخذ هذا الطابع الاجتماعي.

La parole:الكلام:وهو الجانب الفردي للأسلوب اللغوي "فعل فردي ناتج عن الإرادة والذكاء".

هذا التحديد للأشكال الثلاثة هو تحديد اصطلاحي منهجي،فالعلاقة التي تربط الثلاث هي علاقة احتواء:فاللغة تحتوي الكلام،و يحتويهما الأسلوب اللغوي بدوره، **فدي سوسير**"يوضح أن للغة شكلين،شكل ظاهري (الكتابة)، و آخر باطني لفظي ***(la parole)*** هما مرتبطين ارتباطا وطيدا يصعب التفريق بينهما،إذ الأول يمثل الصورة الدالة **(signifiant)** عن الثاني لأي المدلول ***(signifiant)*** والذي يتشكل ذهنيا و لفظيا قبل أن يتحول إلى كلمة مكتوبة .هذه الكلمة التي تشكل اللغة **(langue)** هي موضوع علم اللغة .[1]

٣/وظائف اللغة:

يتفق جمهور علماء اللغة المحدثين على أن وظيفة اللغة هي "التعبير أو التواصل أو التفاهم"مع أن بعضهم يرفض تقييد وظيفة اللغة بالتعبير أو التواصل؛ فالتواصل إحدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسية.

وقد حاول "هاليداي Halliday "تقديم حصر لأهم وظائف اللغة، فأسفرت محاولاته عن الوظائف التالية:

[1] - F.de Saussure ;(1913) ; cours de linguistique générale ; édition Payot ; paris,p24,25.

٣.١- الوظيفة النفعية :

وغالبا ما يعبر عن هذه الوظيفة بـ"أنا أريد"،فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم.

٣.٢- الوظيفة التنظيمية :

تعرف هذه الوظيفة باسم وظيفة "افعل كذا،ولا تفعل كذا" من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين لتنفيذ المطالب أو النهي،وكذا اللافتات التي نقرؤها،وما تحمله من توجيهات وإرشادات.

٣.٣-الوظيفة التفاعلية:

تعرف بوظيفة "أنا وأنت"حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي،باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين .

٣.٤- الوظيفة الشخصية:

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي، ويقدِّم أفكاره للآخرين.

٣.٥- الوظيفة الاستكشافية:

و تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى أن الفرد يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة[1].

٣.٦- الوظيفة التخيلية:

تتمثل فيما ينسجه الفرد من أشعار في قوالب لغوية،كما يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة،كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

٣.٧- الوظيفة الإخبارية (الإعلامية):

عن طريق اللغة، يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل و ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية، لحث الأفراد على الاقبال على شيء معين ،أو العدول عن نمط سلوكي غير محبب.

٣.٨- الوظيفة الرمزية :

يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزًا تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وبالتالي فتستعمل اللغة كوظيفة رمزية.

الأساس الرمزي للتمثلات اللغوية :

[1]- جمعة سيد يوسف ،(١٩٩٠)،سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ،سلسلة علم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للفنون و الآداب ،الكويت،ص١٢.

يتمكن الطفل حسب بياجي(١٩٩٥) من بناء الصورة الرمزية انطلاقا من نشاطه الحركي.و يعتبر كل من التقليد و اللعب الرمزي ، من بين الأنشطة المعرفية التي تساعده على التحكم في عملياته الإدراكية.فحينما يحاكي الطفل الموضوع أو الحدث أو الحركة التي أنجزت أمامه ،فهو يكون بصدد إنشاء إشارات تعبر عن فهمه لهذه الموضوعات و الوضعيات التي تأخذ صورة ما،كأن يقوم بتمثيل الوسادة بقطعة من القماش.[1]

في البداية لا يستطيع الطفل التعبير عن الموضوعات و الأشياء بواسطة اللغة،لكن فيما يتمكن من استعمال التمثلات التي تشكل اجتماع الدال signifiant الذي يساعد على الوقائع الغائبة بالمدلول signifié والذي يشير إلى الفكر.فإذا كان التمثل يتيح للطفل استحضار الموضوعات والوقائع،فإنه يتشكل نتيجة اتحاد الدوال بالمدلولات.ومن خلال هذه الوظيفة الرمزية تتأسس اللغة وتستمد بعدها الاجتماعي.وفي البداية تكون لغة الطفل متمركزة حول الذات،أي عبارة عن رموز ذات طابع فردي،ثم بعد ذلك من خلال إنتقاله إلى مرحلة اللاتمركز ،تصبح لغته كأداة للتواصل و الاندماج الاجتماعي ووسيلة للتعبير عن تصوراته الذهنية و تمثلاته بطريقة موضوعية.

و الجدير بالتذكير،أن دي سوسير هو أول من قام بتحديد العلامة اللسانية (signe) باعتبارها تجمع بين تصور (concept) وصورة سمعية (image acoustique) وهذه الأخيرة ليست صوتا ماديا،و إنما تعتبر الأثر النفسي الناتج عن الصوت،أي التمثل.أما التصور فهو شيء مجرد.

على العموم،يركز دي سوسير على خاصية أساسية للعلامة اللسانية و هي اعتباطية العلاقة بين دالها و مدلولها ،ذلك انه ليست للفكرة أية علاقة طبيعية مع المتوالية الصوتية،في حين أن الرمز تعترضه أسبابا تمنعه من تحقيق هذه العلاقة ، لأن بين داله و مدلوله بقية من العلاقة الطبيعية مثلا (رمز العدالة هو الميزان).[1]

من الواضح إذن أن بياجي يوظف مفهوم الرمز، ما دام أن الدال يشكل بصورة ما الجوهر الحقيقي والواقعي للمدلول و يتوافر على بعض خاصيات الموضوع أوشيمات الفعل، و هذا ما يفسر منح بياجي الأولوية للسياق الفردي في تأسيس التمثل الدلالي عوض السياق الاجتماعي،ما دام انه ناتج عن النمو الحسي-حركي بفعل توسط السلوكات الخاصة بالتقليد و اللعب الرمزي. لكن رغم اعترافه بأهمية التمثل و دوره في التعبير عن ميكانيزمات إنشاء اللغة و ظهورها عند الطفل ،إلا انه لم يفلح مع ذلك في تقديم التفسير الواضح و الدقيق لانتقال الطفل من مستوى اعتماده اللغة الرمزية إلى مستوى استعماله العلامات المتفق عليها اجتماعيا (كوهن١٩٨٤).ففي دراسة له حول (تمثل العالم عند الطفل)،لاحظ بياجي(١٩٢٩) أن الأطفال صغار السن يعتقدون أن الكلمة قد تتضمن خاصيات الموضوع التي تحيل إليه (اللون،الشكل،القامة...) وقد وجه للأطفال ما بين٥ و١١ سنة ستة أسئلة تتعلق بأسماء الكلمات و موضوعات العالم:كالشمس،والسماء...

و كانت النتائج على الشكل التالي:

*يعتقد أطفال سن الخامسة و السادسة أن الكلمة تتوافر على خاصية تميزها ،مثلا الشمس تسمى بهذا الاسم لأننا نراها أو لأنها ساخنة.

*أما أطفال سن السابعة و الثامنة فأجابوا بأن الله أو الإنسان الأول هو الذي جاء بالكلمات.

[1] - Gineste, marie Dominique ; (2002) ; psychologie cognitive du langage, édition Dunod, paris, p201.

١- أحرشاو الغالي ،(١٩٩٣)،الطفل و اللغة،نمو التمثلات الدلالية لبعض الأفعال في اللغة العربية عند الطفل ،الكتاب الثاني ،المركز الثقافي العربي،ص٩٨.

* وأخيرا،ينبغي انتظار بلوغ الطفل السن العاشرة و الحادية عشرة لتصبح الكلمة كعلامة لسانية.كما أن ملاحظات فيكو تسكي٤(١٩٣) انتهت إلى نفس النتيجة مادام أن الأطفال غير المتمدرسين يفسرون الكلمات بالخاصيات التي تميز الموضوعات،التي تحيل إليها فكلمة بقرة مثلا تسمى كذلك لأنها تتوافر على القرون كما أنه لا يمكن بالنسبة لهم أن نسمي البقرة حبرا،لأن الأولى تعطينا الحليب،أما الثاني فنستعمله للكتابة.

وعلى الرغم من النتائج التي توصل إليها بياجي٩(١٩٢) في هذا البحث،إلا أنه لم يستطع تحديد شروط و عوامل إنتقال الطفل إلى مرحلة الوعي بالعلاقة التي تجمع بين الكلمة و مرجعها الفيزيقي كما أنه لم ينتبه إلى تأثيرات الوسط المدرسي و دورها في إدراك الطفل للعلامة اللسانية واكتسابه الوعي بالقواعد اللغوية الأساسية(زمن الفعل ،الجمع ،المذكر ،المؤنث...) .

إن رغبة بياجي في دراسة تطور البنيات المعرفية و نمو الذكاء عند الطفل، جعله يبالغ في تحديد مراحل كونية كبرى و يغفل عن الكفاءات المبكرة التي قد يتوافر الطفل عليها.

و هذا ما تأكد من خلال الأبحاث و الدراسات التي أنجزت،ابتدءا من سنوات السبعينات،حول الوعي اللساني و الكفاءة المبكرة عند الطفل.

وإذا كان بياجي قد جعل من الفعل و الحركة المنطلق الفعلي لنمو وبناء المعارف عند الطفل،فالأمر ذاته ينطبق على عملية ظهور الوعي و سيرورة انتقاله من مستوى الوعي الخاطئ والجزئي الضعيف إلى مستوى الوعي الناضج و الكامل.[1]

٤/اللغة في علم النفس التحليلي:

كلنا نعلم الجواب المتعلق بصراعاتنا النفسية،فالأوديب و النرجسية هما المسؤولان مع أننا لا نعلم كيف يحدث ذلك ،إلا عن طريق التحليل النفسي بطريقة التداعي الحر و التي تعرف بكلام اللاشعور.

فمع اللاشعور الأنا هو الآخر،فأنا لست أنا و الأشياء ليست كما هي و الكلمات لا تعني ما تقول.فهنا نحن بصدد الحديث عن البعد الآخر و البعد التحولي ولهذا نقول انه كلام يصعب فهمه ككل.مع العلم أنه في هذا البعد تحدث التغيرات في الأشكال و الكلمات،كما أنه يمكن أن تتصل فيما بينها و تشكل حلقات صعبة الفهم و التي تتجلى لنا على شكل أعراض أو على شكل معاناة.

فكل أبواب العلم أغلقت في وجه اللاشعور سوى التحليل النفسي و خصوصا هؤلاء الذين يمارسون هذا النوع من علم النفس،فهم القادرون على دق أبواب اللامعقول و الجنون و ذلك لأن في اللاشعور يمكن أن نموت عدد من المرات.و هذا ما يبقى غير مفهوم بالنسبة للعديد من الأشخاص و الباحثين الذين لا يولون أهمية لهذا هذا النوع من الكلام .

فالكلام اللاشعوري غير معترف به فهو ما يمكن اعتباره فقاعات سريعة الزوال أو كضرب من الخيال،أو ككلام فارغ وتداعيات مزورة.

٥/ معنى الكلام اللاشعوري؟:

هو نوع من الكلام أين الصوت الذي يكون الكلمات هو مهم جدا وذو قرار محدد و غني و بنائي أكثر مما تدل عليه الكلمات.

[1] - Frago, France ; (1999) ; le langage; édition Armand colin; paris,p39.

فالكلام اللاشعوري ليس له أي علاقة مع معنى الكلمات و لكن علاقته مع الأصوات المكونة له فهذا النوع من الكلام قاطع الرابط التعاقدي بين الدال و المدلول.

فاللغة العامية أو المعروفة تعطي شأن ورفعة للدال،فكلنا نعلم القاعدة العامة للعالم اللغوي ديسوسير و التي تقول أن الدال يدل على المدلول.أما لاكان فقد قام بعكس هذه القاعدة ليفضل المدلول على الدال.فخطاب اللاشعور هو خطاب الآخر فنحن هنا بصدد الحديث عن الآخر،ذلك البعد الذي لا يمكن شخصنته بصفة نهائية.كما أن من ميزاته أنه غير دائم و هذا ما يعطي عدم القدرة على فهمه ككلام ذو كيان مغلق.[1]

٥.١- معنى الدال في التحليل النفسي:

الصوتم (**phonème**) هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (**phoné**) أي الصوت الناتج عن الحلق و كما قلنا سابقا هو أصغر وحدة في الكلام المنطوق ، و هذه الوحدة الدالة و التي إذا اتحدت مع بعضها البعض و حسب مواضعها و مواقعها تشكل لنا الكلمات و تميزها.إذن نقول أن الصوتم قد يحتوي على الصوامت والصوائت.

فكل لغات العالم تحتوي على رابط تعاقدي (**lien conventionnel**)بين الدال (الصوت)و المدلول (المعنى)،فمثلا الصوت (بقرة) بالعربية له نفس المعنى في الصوت بالفرنسية (**vache**)،فكل لغات الأصوات تتغير من أجل مدلول واحد أي الحفاظ على نفس المعنى.

فمن خلال التعريف نلتمس أن الصواتم هي محرومة من الدلالات، أي من خلالها نستطيع فك شفرة دلالة الحروف التي شكلت من خلال التحامها من أجل الوصول إلى معاني أخرى، فهنا بالضبط نحن بصدد الحديث عن النشاط التفسيري المحض لعلم النفس التحليلي و الذي يتجاوز الرمزية التقليدية.

لاحظ دي سوسير(**F. de Saussure**) أن المعطيات الصوتية و السمعية هي موجودة مسبقا و لكن لاشعوريا، و ذلك حين نتكلم عن الوحدات الصوتمية(**les unités phonologiques**).فالاستمرارية الصوتية و التقارب الموسيقي و الإيقاعي للصواتم يشكلان بنية اللغة اللاشعورية.

و في هذا الصدد يقول الفيلسوف لالاند أن البنية هي مجموع الظواهر المشكلة و المترابطة فيما بينها حيث لا يمكن فهم الواحدة إلا في علاقتها مع الأخرى، ويؤكد ذلك لاكان (**J. Lacan**) عندما قال أن الدال يمثل الفرد من أجل دال آخر.[1] .

٥.٢- الكناية و الاستعارة:

في الكناية نفس الكلمة أي نفس الدال نعني به عدة معاني أي مدلولات مختلفة.فعلى سبيل المثال فيما يخص الكناية نقول هذا بيكاسو**Picasso** على كل رسم مشوه.

فاسم العلم بيكاسو و الذي يعني السيد بيكاسو، ينتقل ليدل على لوحة لهذا الرسام أو كل الرسومات التي تحتوي على صفة التشويه. وهنا نقول أن اسم العلم ينتقل للشيء(الموضوع).

---

[1] - Didier Anzieu, (2003) ; psychanalyse et langage du corps à la parole; édition Dunod; Paris, p123.

[1] - Jacques Lacan ; (1966) ; écrits ; édition seuil ; paris, p426.

كما أن الحاوي (**le contenant**) يمكن أن ينتقل للمحتوى (**le contenu**) كما في العبارة التالية شربت كأس **j'ai bu un verre** ،ففي كل الحالات فلا يمكن للشخص أن يشرب الكأس. ومصطلح الشيء (**chose**)يمكن أن ينتقل للدلالة على كل الموجودات.

أما فيما يخص الاستعارة (**métaphore**) نستعمل كلمات (مدلول) مختلفة للدلالة على معنى (دال) واحد.

فعلى سبيل المثال الكاتب **Gorgias** لا يقول أن الناس سيموتون و إنما يقول القبور الحية (**des tombeaux vivants**) و هذا يعني أن الإنسان هو شخص فان.

فكلمة ميتا (**méta**) أو ميتو(**méto**) في الاستعارة و الكناية تعني التغيير و لكن في الاستعارة لابد من إضافة (فور) phore أي تغيير الدال أما في الكناية فنقصد تغيير المعنى.

فالتكثيف**la condensation** في الكلمات على نفس المعنى نقصد به الاستعارة أما نقل نفس الكلمة على عدة معاني نقصد به الكناية.و بالاعتماد على هذه الإمكانية أي (الاستعارة والكناية) بمعنى التبديل في الكلمات و المعاني تنتج لنا وظائف اللغة.[1]

٦/خصائص الكلام الإنساني:

يتميز الكلام عند الأفراد ببعض **الخصائص** و من جملتها نذكر :

*القدرة على التناوب و هذا ما يسمح بالأخذ و الرد بين المتكلمين في اتصال من نوع ذو اتجاهين وما يميز و يفرق كلام الإنسان عن كلام الحيوان بمعنى أن الإشارات تنبثق من طرف واحد،وهذا ما يعطي رد فعل من الطرف الأخر و ليس الدخول في علاقة كلامية.

* القدرة على تعبير المستطاع و ليس فقط الحقيقي و الحاضر. وهذه القدرة تعتبر واجبة و لازمة لقدرة التجريد.

* القدرة على تعبير الروابط المنطقية:فهي تسمح بتحقيق القدرة على البرهنة.

* القدرة على تعبير الذاكرة:فالنتاج الهام لهذه القدرة هي الكتابة و لكن الانتقال الشفهي يكون موجود سابقا.

* الإنسان قادر على ترتيب مجموعة مختلفة من الكلمات و يركب بها ما يعرف بالخطاب و هذا ما أسماه **martinet** بالنطق الثنائي(**double articulation**) فبمجموعة من الكلمات يستطيع الفرد تركيب خطاب لا متناهي.

* الكلام عند الإنسان مكتسب.

* يبدأ الإنسان في تعلم الكلام:ففي حوالي أربع إلى خمسة أشهر يبدأ في الأنين وفي حوالي العشرة أشهر يتعلم أربع أو خمس كلمات و في ثلاث سنوات يستعمل أكثر من ثلاثة ألاف كلمة.

* القدرة على تجريد الكلمات،هذا ما يميزنا عن الحيوان. لأن التجريد هو مبدأ أساسي لوظيفة التكلم كذلك تعدد المعاني و المرادفية يمكن اعتبارهم مميزات مستمرة أثناء وظيفة الكلام .فعن طريق وظيفة التجريد يمكن أن نصف الحقيقة بطرق مختلفة.

[1] - Jacques Lacan ; (1975) ; les écrits techniques de Freud ; édition seuil paris,p 273.

من خلال كل ما سبق نستخلص انه ليس فقط عن طريق الكلام نتمكن من التواصل ولكن القدرة المنطقية هي التي تجعل من أفكارنا أفكارا ذات بناء معنوي.[1]

٧/الفرق بين الكلام اللغة و الخطاب:

الكلام هو تلك الوحدة التي تسمح للإنسان باستعمال اللغة،فالكلام هو نظام اتصالات خاص بالكائن الإنساني أين المعنى يصدر من جزيئات صوتية تنتج عن طريق جهاز التصويت.

أما اللغة فهي عكس ذلك أي تمثل تلك التظاهرة عند عملية الكلام بمعنى أنها أداة ووسيلة للاتصال و التي تعتمد على إشارات صوتية التي تفهم غالبا بطريقة واحدة من طرف جميع أعضاء الجماعة الإنسانية.

زد على ذلك في بعض اللغات كالانجليزية هنالك كلمة واحدة تجمع كلا المصطلحين و لكن الكلام واللغة لا يمكن اعتبارهما مرادفين لبعضهما البعض.كما أنه في بعض الحالات، الكلام يعني القدرة على الاتصال بمساعدة اللغة في حين أن اللغة هي عبارة عن وسيلة التي تسمح بوضع هذه القدرة الكلامية قيد التطبيق.

٧.١- اللغة و الخطاب:

لقد تمكن ديسوسير من وضع فرق بين اللغة و الخطاب،فحسب هذا العالم اللغة هي منتوج إجتماعي الذي يمثل المجتمع أو النظام في حين أن الكلمة هي ذلك الفعل الفردي الذي يستغل في اللغة،فحسب النظرية المثالية،فإن التصميم الخاص بديسوسير يسمح لنا بالتفريق بوضوح بين العامل الاجتماعي و هو المهم في اللغة من جهة و العامل الفردي في الخطاب من جهة أخرى.

فاللغة هي مؤسسة اجتماعية أين الكلمة أو الخطاب تعتبر التحقيق المادي.

وفي كل الحالات هناك تداخل بين هاذين المفهومين فاللغة تقع في الحالة الافتراضية أما الخطاب في الحالة الحقيقية. والخطاب كفعل فردي أما اللغة كمجموع تعاقدات اجتماعية ثابتة تعتبر خارجية بالنسبة للفرد و الذي بمفرده لا يمكنه ابتكارها و لا تغييرها.

كما أن اللغة تتمثل في مجموع المخططات الافتراضية و التي تكمن في الحالة الضمنية في شعور ووعي أفراد الجماعة و التي تحتاج إلى تعلم.فالأفراد عند تكلم اللغة لا يملكون في ذاكرتهم كل الجمل و إنما يملكون الأطر،على شكل ميكانيزمات لاشعورية التي تسمح لهم بتكوين جمل. فاللغة قوام اجتماعي أين الوجود هو افتراضي حيث تتميزبه عن الخطاب.

و لكي نضع تمييز لغوي فالخطاب هو الرسالة المشفرة والتي تفهم إلا عن طريق رموز و هي اللغة.

٧.٢- إدراك الخطاب:

يقصد بإدراك الخطاب،تلك السيرورة التي بفضلها يتمكن الإنسان من ترجمة و فهم الأصوات المستعملة في اللغة .فدراسة الإدراك الخاص بالخطاب مرتبط بالمجال الفونولوجي في علم اللغة و علم النفس المعرفي فكل البحوث في هذا المجال تحاول أن تفهم كيف أن الشخص الذي يسمع يتعرف على أصوات الخطاب و يستعمل هذه المعلومة لفهم الكلام المنطوق.[1]

[1] - Ronda l, jean-adolphe, (2000) ; le langage : de l'animal aux origines de langage humain; édition mardaga; liège (Belgique), p75.

٨/تصنيف حالات الهوية:

يشير مارشيا في دراساته عن هوية الأنا كمحاولة لاختبار صدق افتراضات إريكسون عن النمو النفسي الاجتماعي في المراهقة،أن هناك أربعة رتب أساسية للهوية ذات الطبيعة الديناميكية، وتتحدد وفقا لظهور أو غياب متغيرين أساسيين هما(خبرة الفرد أو عدم خبرة الفرد) من جانب(والتزام الفرد أو عدم التزامه بما يصل إليه من قرارات) سواء كان ذلك من خلال قراراته الحقيقية أو كانت نتاج الصدفة، وعلى هذا الأساس فان الفرد يمكن أن يقع في إحدى الرتب التالية :

٨.١-إنجاز أو(تحقيق) الهوية:

يتم تحقيق الهوية إذا اختبر الأفراد أزمة الهوية في مجال أو أكثر من مجالات حياتهم، وتوصلوا إلى قرار معين والتزموا بذلك القرار وهذا مؤشر لنمو الأنا بطريقة سوية ونتيجة لذلك فان محققي الهوية يتمتعون بدرجات أعلى من التوافق ، وتقدير الذات،والإنتاجية، ويعانون من درجات اقل من القلق والاضطرابات النفسية والسلوكية[1].

٨.٢- تأجيل أو(تعليق)الهوية:

يشير تعليق الهوية إلى خبرة الأفراد الآنية اللازمة للهوية دون الوصول لقرارات معينة،وعادة فإن الأفراد الذين يحققون هوياتهم يمرون بهذه الفترة من التعليق المؤقت،إلا أن الوقوع في هذه الرتبة تعني ديمومة مرور الفرد في أزمة الهوية، فهو في رحلة مستمرة للبحث عن هويته وأهدافه،إلا أنه لا يظهر التزاما بها، وعادة ما يستمر في تغيير هذه الأهداف. ومثالا على ذلك استمرارية الفرد في تغيير تخصصه الدراسي بشكل مستمر.وبالرغم من تدني مستوى هذه الرتبة كمؤشر للنضج النفس اجتماعي، فإنها تمثل رتبة متقدمة مقارنة بالرتبتين التاليتين،ذلك وأن الأفراد يظهرون اهتماما بالوصول إلى أهداف ثابتة.ونتيجة لديناميكية الرتب فان احتمالات تحولهم إلى رتبة التحقيق تبقى قائمة مع التوجيه السليم.

٨.٣- انغلاق أو (تعويق) الهوية:

يقع الأفراد في رتبة الانغلاق كنتيجة لعدم خبرتهم اللازمة للهوية،حيث يواجهون بقوى خارجية تختار لهم أهدافهم،ومن ذلك اختيار الآباء لنوع الدراسة أو العمل أو غير ذلك لأبنائهم.إلا أنهم مع ذلك لا يظهرون رفضا بل على العكس فأنهم يظهرون تقبلا ورضا بما يحققون،ولسوء الحظ فان هذه الرتبة عادة ما تنال الرضا والدعم الاجتماعي من قبل الآباء.والحقيقة أن الأفراد فيها يعانون من ضعف في نمو الأنا ودرجة عالية من الاعتمادية والقلق، وقد يظهر ذلك جليا في حالة فقدان مصدر الدعم.[1]

٨.٤- تفكك أو(تشتت) الهوية:

وتمثل أسوأ رتب الهوية حيث يعاني فيها الأفراد من ضعف نمو الأنا بدرجة كبيرة،وأيضا من المشكلات السلوكية والنفسية التابعة لذلك،ونتيجة لهذا الضعف فان الأفراد يصنفون في هذه الرتبة نتيجة لغياب أزمة الهوية التي لا يختبرونها أصلا ولا يظهرون اهتماما بذلك، إلا أنهم يختلفون أيضا عن المنغلقين في أنهم لا يظهرون أي التزام بما تشاء الصدف أن يقوموا به

---

1 - E. bautier ; (1995) ; pratiques langagières; pratiques sociales de la sociolinguistique a la sociologie du langage; édition l'harmattan ; paris, p155.

[1]- شريم رغدة ،(٢٠٠٩)، سيكولوجية المراهقة ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن،ص١٩١.

١- عسيري عبير(٢٠٠٢)، علاقة تشكل هوية الانا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف ،جامعة أم القرى،ص٢٦.

من أدوار، ولذا فقد يتركون هذه الأهداف لأسباب مختلفة،وحتى لو لم يتركوها فإنها لا تمثل لهم أكثر من أدوار فرضت عليهم،وفي الغالب فإنهم يظهرون اضطرابات تختلف في حدتها،وقد تصل ببعضهم إلى العدوان والانحراف والجريمة.

٩- استراتيجيات الهوية:

تعرف الإستراتيجية على أنها مجموعة من الأفعال المتناسقة فيما بينها و العمليات التي تحقق النجاح وذلك بالاعتماد دائما على المستوى التفاعلي والديناميكي.

كما أنها تعرف على أساس الوضعية الضاغطة التي نحن بصدد حلها بطريقة ايجابية وذلك بالولوج إلى المكافأة.

إن الحديث عن استراتيجيات الهوية وبالقياس مع التعريف السابق من اجل توضيح ما يعرف بتحقيقات الهوية ،بمعنى ما هي الأغراض التي يسعى من خلالها الأشخاص للمواصلة وذلك برهن استراتيجيات الهوية الحالية ومحاولة قبول و التعرف ثم التقييم من اجل وضع بنية.كما تجدر الإشارة إلى ماهية السلوكات الفردية أو الجماعية ،الشعورية أو اللاشعورية،المكيفة أو الغير مكيفة من اجل بلوغ هذه التحقيقات ضد منافس الذي يمكن أن يكون الشخص في حد ذاته،أو الأشخاص الذين تربطهم علاقة تفاعلية كالعائلة،الأصحاب...،أو النسق الاجتماعي.

تحتاج هذه الصيرورة التفاعلية إلى تكييف ثابت من طرف الأشخاص وهذا ما يمكن تسميته بالخطة ، حيث في هذا المستوى تمركزت جل الدراسات النفسية والاجتماعية وبينت أن معظم السلوكات الاستجابية منها يمكن أن تكون غير مكيفة ومناقضة تماما للإغراض والأهداف المسطرة (كالانحراف،الإقصاء،الارتباك).

من الناحية التكتيكية ،فالأشخاص يستجيبون حسب التمثل الذي يملكونه،زيادة على الرهانات والأغراض المرئية ولكن في الأخير يبقى كل شيء مرتبط بحالة النسق الذي يضمهم والذي يضع على عاتقهم نوع من الضغط الثابت ويدفع بهم للاستجابة الآنية.[1]

١٠-أزمة الهوية لدى المراهق:

تعد المراهقة من أكثر مراحل النمو إثارة للدارسين والباحثين في مجال العلوم النفسية والاجتماعية،لما لها من طبيعة خاصة من حيث اتساع مساحتها التي تحوي جملة من التغيرات البدنية والنفسية والانفعالية تكون بمثابة مؤشر على بناء جديدا قد بدأ يتفتح.ولا شك أن فشل المراهق في تحقيق مطالب وتحديات مرحلته يجعله يشعر بالاغتراب الذي هو تشتت الأنا أو الشعور بعدم تعيين الهوية،وما يتمخض عن ذلك من زملة أعراض.

وهذا يعني أن البحث في الهوية يتضمن البحث في الاغتراب،ذلك أن المراهق حينما يغترب إنما يغترب عن هويته وأن عودته من اغترابه تعني عودته إلى هويته،وقدرته على حل أزمات النمو التي تتكون على إثر التحققات الماضية التي استدمجتها آنية الفرد بداية من المرحلة الأولى و النمو النفسي الاجتماعي حيث الثقة مقابل عدم الثقة،والاستقلال مقابل الشعور بالخجل ،وأزمة المبادرة في مقابل الشعور بالذنب،ثم أزمة الكفاية مقابل الشعور بالنقص، والاجتهاد في مقابل النقص وصولا لأزمة الهوية مقابل اضطراب الدور الخاص بهذه المرحلة العمرية التي نحن بصدد دراستها . ويعتبر أريكسون من أوائل الذين تحدثوا عن نمو واكتساب الهوية عند المراهق. والإحساس بالهوية أو الكينونة،يعني أن يرى

١- نجوى شعبان خليل (١٩٩٦)، أساليب مواجهة أزمة الهوية وعلاقته ا بالاستقلال النفسي عن الوالدين في مرحلة المراهقة المتأخرة ،مجلة كلية التربية ،جامعة الزقازيق،مصر،ص٨٥.

الإنسان نفسه فردا مستقلا عن الآخرين له ميوله وقيمته واهتماماته وأدواره في الحياة وطموحاته واختياراته التي قد تختلف أو تتفق مع الآخرين ولها قدر نسبي من الثبات والاستقرار.

إن المراهق في سعيه إلى تنمية الإحساس بهويته يقضي جل سنوات المراهقة في التفكير والمراجعة والتأمل في الأفكار والقيم السائدة وكذلك الخيارات المهنية والتعليمية المتاحة وكيفية النجاح في الصداقات مع أقرانه وتبني قيما معينة وأدوارا اجتماعية وأفكارا وخيارات متعددة تمنحه الإحساس بوجوده المستقل والمتميز الذي يساعده في بناء المستقبل لهذا يتعرض المراهقون إلى ما يعرف بأزمة الهوية[1].

وتعد أزمة الهوية المشكلة الرئيسية في مرحلة المراهقة عندما يبدأ المراهق يسأل نفسه:من أنا؟من أكون؟ ما دوري في المجتمع؟ كيف أثبت وجودي؟ كيف أحقق النجاح ؟،ويجد نفسه أمام مطالب متعددة،وأفكار متناقضة،مما يجعله يعيش صراعات متعددة أغلبها(إقدام،إحجام) وخاصة في ظل التغيرات الجسمية والعقلية والنفسية والانفعالية.وإذا فشل المراهق في تحقيق هويته يكون رهن اضطراب الهوية واضطراب الدور أو خلط الهوية أو تبني هوية سالبة وينتج عن ذلك عدد من الاضطرابات التي تؤدي بدورها إلى ظهور أعراض مرضية قد تعصف بالمراهق وتلقي بظلالها على مستقبله[2].

قائمة المراجع:

١-أحرشاو الغالي ،(١٩٩٣)،الطفل و اللغة،نمو التمثلات الدلالية لبعض الأفعال في اللغة العربية عند الطفل ،الكتاب الثاني ،المركز الثقافي العربي.

٢-جمعة سيد يوسف ،(١٩٩٠)،سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ،سلسلة علم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للفنون و الآداب ،الكويت.

حامد عبد السلام زهران ،(١٩٨٦)،علم النفس النمو ،دار المعارف ،مصر.

٣-شريم رغدة ،(٢٠٠٩)، سيكولوجية المراهقة ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن.

٤-عسيري عبير(٢٠٠٢)، علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف ،جامعة أم القرى.

٥-منى محمد قاسم،(٢٠٠٠)، تواصل المراهق مع والديه وعلاقته بحالات الهوية،رسالة دكتوراه،معهد الدراسات والبحوث التربوية،جامعة القاهرة، مصر.

٦-نجوى شعبان خليل(١٩٩٦)، أساليب مواجهة أزمة الهوية وعلاقتها بالاستقلال النفسي عن الوالدين في مرحلة المراهقة المتأخرة،مجلة كلية التربية ،جامعة الزقازيق،مصر.

7-Didier Anzieu, (2003) ; psychanalyse et langage du corps à la parole; édition Dunod; Paris.

١- منى محمد قاسم،(٢٠٠٠)، تواصل المراهق مع والديه وعلاقته بحالات الهوية،رسالة دكتوراه،معهد الدراسات والبحوث التربوية،جامعة القاهرة، مصر ، ص٥5.

٢- حامد عبد السلام زهران ،(١٩٨٦)،علم النفس النمو ،دار المعارف ،مصر،ص٨٧.

8-E. bautier ; (1995) ; pratiques langagières; pratiques sociales de la sociolinguistique a la sociologie du langage; édition l'harmattan ; paris.

9-F.de Saussure ;(1913) ; cours de linguistique générale ; édition Payot ; paris.

10-flarin Agnès ;(1999) ; le développement du langage ; édition Dunod ; paris.

11-Frago, France ; (1999) ; le langage; édition Armand colin; paris.

12-Gineste, marie Dominique ; (2002) ; psychologie cognitive du langage, édition Dunod, paris.

13-Jacques Lacan ; (1966) ; écrits ; édition seuil ; paris.

14-Jacques Lacan ; (1975) ; les écrits techniques de Freud ; édition seuil paris.

15- Ronda l, jean-adolphe, (2000) ; le langage : de l'animal aux origines de langage humain; édition mardaga; liège (Belgique).

مستوى الطموح وعلاقته بالقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج (ماستر،ماجستير،دكتوراه)

د.العياشي بن زروق/جامعة الجزائر٢ أ.حميدة بودالي/جامعة الجزائر٢

ملخص:

تتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن طبيعة العلاقة بين مستوى الطموح والتفكير الإبداعي وكذا علاقته بـ(الطلاقة، المرونة، الأصالة)،كما تهدف إلى التعرف على دلالة الفروق الجنسين في كل من مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي.

اجريت الدراسة على٠(١٢) طالبا وطالبة بقسم علم النفس بجامعة الجزائر٢ وجامعة البليدة٢ بتطبيق مقياس مستوى الطموح لكاميليا عبد الفتاح٠(١٩٧٧)واختبار القدرة على التفكير الإبداعي لسيد خير الله(١٩٨١) بعد التأكد من صلاحيتهما،ولمعالجة البيانات استخدمنا معامل الارتباط بيرسون، واختبار(ت) لدلالة الفروق.

أسفرت **النتائج** على ما يلي:

_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي.

_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة الطلاقة.

_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة المرونة.

_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة الأصالة.

_ توجد فروق ذات دلالة بين الجنسين في مستوى الطموح لصالح الإناث.

_ لا توجد فروق ذات دلالة بين الجنسين في القدرة على التفكير الإبداعي.

الكلمات المفتاحية: مستوى الطموح، بالقدرة على التفكير الإبداعي.

إشكالية الدراسة:

تعتبر الجامعة أرقى مؤسسة في السلم التعليمي،حيث تهدف إلى تحقيق وضمان مستوى عال من المهارات والكفاءات للطلبة الجامعيين،الأمر الذي يفرض بالضرورة أن يكون التعليم العالي أجود نوعية وأكثر جدية ومصداقية،

وبهذه المواصفات والمعايير يستدعي ذلك تخريج عناصر ذات كفاءة وقدرة في شتى ميادين ومناحي الحياة سواء كانت أكاديمية أو مهنية.[1]

وحيث أنَّ العالم اليوم يشهد عدة تغيرات في ميدان التفكير الإبداعي، إلا أنه أصبحت تقاس الأمم والدول ليس بعدد أفرادها بل بإنجازات مفكريها ومبدعيها وعلمائها، ولعل[2] هذه القفزات الواسعة في ميدان الركب العلمي والتكنولوجي مردها الإنجازات التي يقوم بها المبدعون داخل أواسط المجتمع،حيث قامت الدول بالسير نحو التقدم والتطور، وذلك بالاهتمام بهؤلاء الأفراد المبدعين والعناية بهم، وفي هذا يقول **عايش زيتون** (1987):"إن الإبداع أصبح اليوم أهم الأهداف التربوية التي تسعى المجتمعات إلى تحقيقها لدى أفرادها"[3].

وبالموازاة فقد أصبح الاهتمام بالتفكير الإبداعي حاجة ملحة وضرورة قصوى في كل المجتمعات سواء كانت مجتمعات متقدمة أو نامية،ولأنَّ الأُمم اليوم ترقى وتزدهر بما لديها من عقول مبتكرة، فقد أصبحت المؤسسات التربوية بما فيها الجامعة تصب كل الاهتمام على كيفية إكساب الطلبة الجامعيين القدرة على التفكير الإبداعي وتنميته على رأس أولوياتها التربوية،من أجل تنمية رأس المال البشري.

فالجزائر كباقي الدول لا تزال تسعى إلى إيلاء فئة المبدعين عظيم الاهتمام بقدراتهم وطاقاتهم الإبداعية والنقدية وحل المشكلات وتنميتها لديهم قصد استثمارها،لأنَّنا بحاجة ماسة إلى إستثمار الرأس المال البشري في سبيل التقدم والرقي والإزدهار، وبالتالي الخروج من قوقعة وبوتقة التقليد والمألوف، إلى القدرة على الإبداع والإبتكار في شتَّى مناحي الحياة.

كما أن التعليم العالي ميدان تستثمر فيه أهم الجهود والطاقات البشرية، وهي مرحلة يبلغ فيها النضج العقلي لدى الطلبة درجة تمكنهم من التحكم في مفاتيح المعرفة العلمية، عن طريق قيامهم بالبحث العلمي باعتباره حصيلة نهائية لأداء الطالب،آخذين في الاعتبار أن المستوى المطلوب للبحوث العلمية يتطور تبعا لمعيار التخصص – المستوى - إلى ثلاثة أنواع،ففي بداية التكوين يتم تدريب الطالب الجامعي على إعداد البحوث، ومن ثم تنمية مواهبه وتوسيع مداركه، وتنظيم أفكاره،ثم تأتي مرحلة الدراسات العليا،يقوم فيها الباحث بإعداد بحوث أعلى درجة، حيث يمكن الباحث من الحصول على تجارب أوسع نطاقا وأكثر دقة في الإعداد، فبحوث الماجستير والماستر تعد إمتحان لذكاء الطالب وموهبته وإستعداداته وقدراته على مواصلة البحث والتأليف، والمثابرة، تمهيدا لبحث الدكتوراه، بعد ذلك تأتي مرحلة إضافة الجديد للمعرفة العلمية في إطار بحث الدكتوراه، وهذه المرحلة تتطلب من الباحث التعامل الإيجابي مع المشكلات الواقعية، أو حتى مع قضايا العالم سواء كان هذا التعامل في صورة أعمال إبتكارية، أم في تكوين وجهة نظر شخصية في هذه القضايا،ولا شكّ أن الأشخاص الذين تزداد حساسيتهم لإدراك أوجه القصور، والمشكلات في المواقف المختلفة،تزداد فرصتهم لخوض البحث والتأليف فيها، الأمر الذي سيزيد من إتاحة الفرص أمامهم نحو الإبداع والتجديد،من خلال سد الثغرات والفجوات في ظل إمكانياتهم، وقدراتهم الإبداعية والناقدة.[4]

و مع تزايد الإهتمام بالتفكير الإبداعي، فقد تم تناوله من طرف العديد من العلماء والباحثين لإثراء والإلمام بكل تفاصيل هذا الموضوع، والإستفادة منه في كافة مناحي الحياة، ولعل أبرز المحاولات الأولى،كانت على يد جيلفورد (**Guilford**

[1]– عبد المجيد بوقرة: الأستاذ وممارسة القيادة الإدارية في الجامعة، دراسة ميدانية في جامعة البليدة، علم الاجتماع، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧.

[3]– عايش زيتون: **تنميةالإبداع والتفكير في تدريس العلوم**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان الأردن، ١٩٨٧، ص ٠٥.

[4]– سامية سعدي: القدرة على التفكير الإبداعي وعلاقتها بدافع الإنجاز وفعالية الذات، دراسة على طلبة الماجستير، رسالة ماجستير،2001، ص ٠٢.

من خلال دراساته التي خلصت إلى وضع نموذج البناء العقلي للإنسان،حيث أقر من خلالها أنه هناك ما يسمى بالتفكير التقاربي، وفيه يتم إنتاج معلومات واحدة صحيحة محددة مسبقا ومتفق عليها، والنوع الثاني هو التفكير التباعدي أي الإبتكاري وهو حسب جيلفورد هو "تفكير في نسق مفتوح يتميز الإنتاج فيه بخاصية فريدة، وهي تنوع الإجابات المنتجة والتي لا تحددها المعطيات السابقة" أي انه تفكير مرن، لاتحدده القوالب الموضوعة أوالقيود الذاتية،ودون أن يكون هناك إتفاق مسبق على محكات الصواب أو الخطأ، وهو إنتاج هادف يتسم بالتنوع والجدة والأصالة،ومن هنا إنطلقت دراسات أخرى حول التفكير الإبداعي من وجهات نظر مختلفة، كدراسة تورانس (**Torrance**,1962) الذي يرى أنه "عملية إدراك الثغرات والإختلال في المعلومات والعناصر المفقودة، وعدم الإتساق الذي لا يوجد له حل متعلم،والبحث عن دلائل ومؤشرات في الموقف، وفي ما لدى الفرد من معلومات،ووضع الفروض حولها وإختبار صحة هذه الفروض، والربط بين النتائج، وربما إجراء التعديلات وإعادة اختبار الفروض"[1]،فالتفكير الإبداعي ما هو إلا عملية التحسس للمشكلات والنقائص والثغرات في المعرفة والعناصر المفقودة وعدم التناسق، ولا شكّ أن الفضل يرجع إلى كل من جيلفورد وبول تورانس في وضع اللبنات الأولى والأساسية لمفهوم التفكير الإبداعي،ثم تلت ذلك العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع،من بينها دراسة اوباجي٦ (٢٠٠)،سامية سعدي (٢٠٠)،رودريجوس وسوريانو [2](**Rodrigues,Soriano**,1983)،وسام سعيد رضوان٤ (٢٠٠)،التي تناولت التفكير الإبداعي من خلال بحث الأثر والعلاقة بينه وبين مختلف المتغيرات كالدافعية للإنجاز، فعالية الذات،عمليات حل المشكلات،الرضا،التنافس، إلى غير ذلك من المتغيرات الأخرى ذات الصلة.

وقد أولت بعض الدراسات الأخرى متغير الجنس أهمية كبيرة جدا في القدرة على التفكير الإبداعي،حيث إنقسمت بين مؤيد ومعارض،ففي الوقت الذي أشارت فيه بعض الدراسات إلى وجود فروق تعزى لمتغير الجنس في التفكير الإبداعي،مثل دراسة نور الهادي(١٩٨) التي توصل من خلالها إلى أن الذكور يتميزون بأنهم أعلى من الإناث في القدرة على التفكير الإبداعي،وهذا ما خلص إليه أيضا خالد محمود أبو نديء (٢٠٠) وفي المقابل أظهرت نتائج دراسة رودريجوس وسوريانو (**Rodrigues, Soriano,1983**) إلى أن الإناث يتميزن بتفوقهن على الذكور في القدرات الإبداعية الثلاث، أشارت دراسات أخرى لحجازي ١٩٨٥) أن القدرة على التفكير الإبداعي لا تتغير بتغير الجنس.

وزيادة على ذلك فإن الطموح يعد الإطار المرجعي الذي يؤثر على سلوك الأفراد في بعض المواقف في تحقيق أهدافهم وإتخاذ قراراتهم وحل مشكلاتهم[3]،وبعبارة أخرى فهو ينعش وينشط القوى الإبداعية في الإنسان ليصبح المعزز والمقوي الذي يدفع به لتخطي ذاته برفع مستوى طموحه (**Norbert Sillamy** ,1999)، وبذلك يعرف ايزنك (1945) مستوى الطموح على أنه: "الميل إلى تذليل العقبات أو المجاهدة في عمل شيء ما بصورة سريعة وجيدة لتحقيق مستوى عال مع التفوق على النفس"، كما تعرفه أيضا كاميليا عبد الفتاح (1961) على أنه: "سمة ثابتة ثباتا نسبيا تفرق بين الأفراد في الوصول إلى مستوى معين يتفق والتكوين النفسي للفرد وإطاره المرجعي ويتحدد حسب خبرات النجاح والفشل التي مر بها".[4]

---

[1]- سيد خير الله: **بحوث نفسية وتربوية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون طبعة، الأردن،1990، ص ٠٦.

[2] - Rodrigues, Soriano : Astudy of the creativitythought of middle schoolstudents, Arquiresbrasilieros de psychologia,vol135,1983.

[3]- كاميليا عبد الفتاح: **مستوى الطموح والشخصية**، دار النهضة العربية بيروت، 1984 .

[4]- حمزة بوزرزور : **دور التداخل بين مركز التحكم ومستوى الطموح في إدراك الضغط النفسي لدى الطلبة الجامعيين** ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011، ص ٥٢ .

وفي نفس السياق تؤكد **سهير أحمد كامل** (1999) على أن النجاح يؤدي عادة إلى الرفع من مستوى الطموح، بينما الفشل يؤدي إلى خفض ذلك المستوى،وأن إحتمالات إرتفاع مستوى الطموح يزداد تبعا لإزدياد حجم النجاح، وإحتمالات إنخفاضه تزداد تبعا لإزدياد حجم الفشل،كما أن المبدعين أغلبهم من ذوي مستوى الطموح المرتفع.[1]

ولقد تعددت الدراسات التي تناولت متغير مستوى الطموح بالدراسة والتحليل أهمها دراسة كاميليا عبد الفتاح(1971) التي بعنوان "الفروق بين الجنسين في مستوى الطموح"، التي توصلت من خلالها إلى أن مستوى طموح الطلبة الذكور أعلى من مستوى طموح الإناث، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة حمادي(١٩٩٣)، إبراهيم(١٩٩٧)، البشلاوي(١٩٩٨).

وفي المقابل فقد إنتهت دراسات أخرى إلى وجود فروق في مستوى الطموح تعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث كنتائج دراسة محمد بوفاتح(٢٠٠٩)،سراية الهادي(٢٠١٠)، أما الدراسة التي قام بها خالد محمود أبو نديع(٢٠١٠) فلم تظهر أي فروق بين الجنسين في متغير مستوى الطموح، وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة زياد بركات(٢٠٠٩).

ومن خلال ما تقدم يتبين مقدار تأثير مستوى الطموح على سلوك الأفراد سواء كان ذلك بالإيجاب أو بالسلب، ولكن ما يهمنا أكثر في هذه الدراسة هو التعرف على طبيعة العلاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج (ماستر،ماجستير،دكتوراه).

حيث يعتبر الطموح من أهم العوامل التي تتدخل في ظهور وإبراز وإستثمار قدرات التفكير الإبداعي، فالطالب ذا المستوى العالي من الطموح سيستغل ويجند كافة إمكاناته وطاقاته بما فيها قدراته الإبداعية، في سبيل تحقيق طموحه وبلوغ أهدافه والعكس صحيح، وفي هذا الصدد ترى سعادة جودت(١٩٩٦) في تعريفها للإبداع بأنه: "التفكير الذي يؤدي إلى التغيير نحو الأفضل،وينفي الأفكار المقبولة سابقا، وبأنه يتضمن الدافعية، والطموح، والمثابرة والإستمرارية في العمل والقدرة العالية على تحقيق أمر ما، وهو الذي يعمل على تكوين مشكلة ما تكوينا جديدا".[2]

فإذا كان من يتميز بمستوى الطموح العالي،فإن إحتمالات التفكير الإبداعي تكون أكثر توافرا لديه[3]، وهذا يعني أن توظيف الطالب لقدراته الإبداعية تتحدد بأهمية الهدف بالنسبة له، وهذا يدل على أن العلاقة بين أهداف ورغبات وطموحات الفرد وقدراته الإبداعية هي علاقة إرتباطية تفاعلية، حيث يعتبر الإبداع بحد ذاته وسيلة تقود إلى تحقيق الذات،في الوقت الذي يعتبر تحقيق الذات غاية من غايات الطموح.

فالطالب الجامعي في مرحلة ما بعد التدرج تظهر لديه استعدادات جديدة، وأهداف مستقبلية قد لم يعرفها من قبل،حيث تفتح له أبواب ومنافذ على عالم الشغل وبالتالي اكتسابه لمكانة اجتماعية واقتصادية مُغرية، وهذا ما يجعله في هذه المرحلة يتميز بشحنة نفسية عالية تمكنه من تنشيط قدراته الإبداعية، ما يؤكد وجود علاقة إرتباطية تفاعلية بين سعي الفرد لتحقيق أهدافه واستغلاله لقدراته الإبداعية.

---

[1]- سهير كامل أحمد: **أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق**، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية، 1999، ص ١٨٦.

[2]- سعادة جودت أحمد وقطامي يوسف : قدرة التفكير الإبداعي لدى طلبة جامعة السلطان قابوس،دراسة ميدانية، مجلة سلسلة الدراسات النفسية والتربوية، جامعة عين السلطان قابوس، المجلد الأول، العدد الأول، ١٩٩٦.

[3]- سامية سعدي: **القدرة على التفكير الإبداعي وعلاقتها بدافع الإنجاز وفعالية الذات** ، دراسة على طلبة الماجستير، رسالة ماجستير، 2001، ص ٠٥.

وفي سياق الدراسات التي تطرقت إلى العلاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي، أثبتت بعضها وجود علاقة موجبة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي،مثل دراسة سهير احمد كامل (1977)، عبد المولى(١٩٧٨)،أبو مسلم (1980)،نور الهادي (1981)،خليل الشرقاوي (1999)،لكن في المقابل توصلت بعض الدراسات الأخرى إلى عدم وجود علاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي مثل دراسة لانداوهافسا (**Landa,Havsa**,1975)،وروات وجورج(**Rawat,Garg**,1977)...الخ، وقد يرجع هذا الاختلاف في النتائج إلى إختلاف المقاييس التي استخدمت في قياس مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي، ولإختلاف طبيعة العينات.

وأمام نقص الدراسات في هذا المجال في المجتمع الجزائري التي تناولت العلاقة بين مستوى الطموح والتفكير الإبداعي، تحاول الدراسة الحالية التطرق إليها لدى طلبة ما بعد التدرج، فنحن لا نكاد نلمس إهتماما يفي بالمطلوب بفئة الطلبة الجامعيين وخاصة في مستويات ما بعد التدرج التي تعتبر أخصب سنوات العمر إبداعا وإنتاجا، لتحرر المبدع في هذا السن من كثير من القيود التي قد تحجز وتعيق إبداعاته وتؤثر على طموحاته، وهذا ما يدفعنا لمحاولة الإجابة على **التساؤلات** التالية:

1_ هل توجد علاقة إرتباطية بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج؟

2_ هل توجد علاقة إرتباطية بين مستوى الطموح وقدرة الطلاقة لدى طلبة ما بعد التدرج؟

3_ هل توجد علاقة إرتباطية بين مستوى الطموح وقدرة المرونة؟

4_هل توجد علاقة إرتباطية بين مستوى الطموح وقدرة الأصالة؟

5_ هل توجد فروق بين الجنسين في مستوى الطموح لدى طلبة ما بعد التدرج؟

6_ هل توجد فروق بين الجنسين في القدرة على التفكير الإبداعي؟

فرضيات الدراسة:

1_ توجد علاقة إرتباطية بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج.

2_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة الطلاقة.

3_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة المرونة.

4_ توجد علاقة إرتباطية موجبة بين مستوى الطموح وقدرة الأصالة.

5_ توجد فروق بين الجنسين في مستوى الطموح لدى طلبة ما بعد التدرج.

6_ توجد فروق بين الجنسين في القدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج.

أهداف الدراسة:

١_الكشف عن طبيعة العلاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج.

٢_التعرف على طبيعة الفروق بين الجنسين في متغيري الدراسة لدى طلبة ما بعد التدرج.

أهمية الدراسة:

١-إنها تسلط الضوء على موضوع بالغ في الأهمية، وهو التعرف على طبيعة العلاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي، فالمعرفة الدقيقة للعلاقة بين هذين المتغيرين تقود إلى دقة التنبؤ بحدوثها مستقبلا، بمعنى أنه إذا كانت القدرة على التفكير الإبداعي عالية، كان مستوى الطموح عال، أو العكس.

٢-تعد هذه الدراسة الأولى في الجزائر على حد علم الباحثة خاصة كونها أجريت على فئة مهمة من فئات المجتمع، وهي طلبة ما بعد التدرج (ماستر، ماجستير، دكتوراه)، التي يتوقع منها أن تمتاز بخصوصيات كثيرة كالقدرة العالية على التفكير الإبداعي ومستوى طموح عال كونهم يمثلون أساتذة وباحثي وإطارات المستقبل والنخبة في المجتمع،وما يتوقع منهم إنجازه وتحقيقه وإضافته للمادة العلمية.

٣-التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي بتغير الجنس.

٤-معرفة ما إذا كان مستوى الطموح لدى أفراد العينة يتلاءم ويتوافق وقدراتهم على الإبداع.

٥-التعرف على مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى طلبة ما بعد التدرج.

تحديد مفاهيم الدراسة:

1_مستوى الطموح (Level of Aspiration):

مستوى الطموح إصطلاحا:

_تعريف عبد ربه علي(٢٠١):"هو مستوى الأداء المتوقع من الشخص أن يقوم به، والقدرة على وضع الأهداف والعمل والمجاهدة على تحقيقها في ضوء ما لديه من قدرات وطاقات وإمكانات وخبرات، والقدرة على المواجهة وعدم اليأس".[1]

ويختلف مستوى الطموح من فرد لآخر بإختلاف النمط الحياتي والتكوين النفسي لكل فرد، ويتحدد مستوى الهدف (الطموح) في ضوء صورة الفرد عن ذاته أو إمكاناته وقدراته، وخبرات النجاح والفشل التي مر بها[2]، كما يتضمن سبع أبعاد رئيسية، وهي: (النظرة الإيجابية للحياة، السعي نحو التفوق، تحديد الأهداف والخطة، الميل إلى الكفاح ، تحمل المسؤولية والإعتماد على النفس، المثابرة وتحمل الصعاب، الرضا بالوضع الحاضر والإيمان بالحظ).

مستوى الطموح إجرائيا:

هو تلك الأهداف المستقبلية التي يحددها الطالب لنفسه ويفكر فيها بإستمرار، ويجاهد ويسعى لتحقيقها بغية تحسين حاله إلى حال أفضل،ويتميز هذا الطالب بالمميزات التالية:

-**نظرته الإيجابية للحياة** :أي إقبال الطالب وإقدامه على الحياة وتفاؤله بالمستقبل، وتوقعه للنتائج الإيجابية لمختلف الظروف والأحداث المستقبلية.

---

[1]- عبد ربه علي شعبان : **الخجل وعلاقته بتقدير الذات ومستوى الطموح لدى المعاقين بصريا** ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2010، ص ٠٨.

[2]- كاميليا عبد الفتاح: **مستوى الطموح والشخصية**، دار النهضة العربية بيروت، 1984 .

-**سعيه نحو التفوق:** وهو سعي الطالب للوصول إلى مستوى يفوق أقرانه وزملائه من خلال إستثمار قدراته وإمكانياته في أداء المهام وإتقانها والإبداع فيها.

_**تحديده للأهداف والخطة:**ويعني قدرة الطالب على تحديد أهدافه الخاصة في الحياة، والذي يأخذ بالسعي على تحقيقها وبلوغها على المدى البعيد،واهتمامه بالبعد التخطيطي لمستقبله من خلال الإعداد المسبق لما ينوي القيام به من أعمال.

-**ميال إلى الكفاح:**سعيه لاكتساب المزيد من الخبرات والقدرة على حل المشكلات.

-**يتحمل المسؤولية ويعتمد على نفسه:**استيعابه لدوره الإجتماعي ولمسؤولياته.

-**مثابر ويتحمل الصعاب :** أي قيام الطالب ببذل المزيد من الجهد للتغلب على العقبات التي تصادفه في أدائه لأعماله المختلفة وإصراره على بلوغ أهدافه بالصبر.

-**الرضا بالوضع الحاضر والإيمان بالحظ :** تفهم الطالب لذاته وإعترافه بقدراته وتوظيفها بشكل مناسب للعمل والجهد بدون إرجاع النتائج للحظ.

ويقاس هذا المستوى بالدرجة التي يحصل عليها الطالب من خلال إجابته على جميع عبارات مقياس مستوى الطموح للراشدين الموجه للطلبة الجامعيين لكاميليا عبد الفتاح.

2-التفكير الإبداعي(CreativeThinking):

التفكير الإبداعي إصطلاحا:

هو نشاط عقلي مركب وهادف يوجه رغبة قوية في البحث عن حلول أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقا إعتمادا على التفاعل الذهني والخبرات والمعلومات السابقة، ويتكون من عدة قدرات أهمها: الطلاقة، المرونة والأصالة.[1]

التفكير الإبداعي إجرائيا:

هو العملية الذهنية التي يقوم بها طالب الماستر، الماجستير والدكتوراه ، بهدف التفرد بأفكاره الجديدة وغير الشائعة في مجتمعه، ويتضمن ثلاث قدرات أساسية، هي:

_**الطلاقة:** هي قدرة الطالب على سرعة إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار التي تنتمي إلى نوع معين من الأفكار ترتبط بالموقف الإختباري، وتستوفي الشروط التي يحددها هذا الموقف.

_**المرونة:**هي قدرة الطالب على تغيير حالته الذهنية وتنويع أفكاره بتغير موقف الاختبار، أي مرونة التفكير.

_**الأصالة:** وهي قدرة الطالب على توليد وإنتاج أفكار جديدة، لم تكن معروفة من قبل، أي إنتاج أفكار خارجة عن المألوف، وتزيد درجة الأصالة كلما قلّ تكرارها الإحصائي في إجابات أفراد العينة.

وهو مجموع درجات الطلاقة، المرونة والأصالة التي يتحصل عليها الفرد بإجابته على عبارات اختبار القدرة على التفكير الإبداعي لـ **سيد خير الله**.

[1] – محمد خليفة الشريدي، وموفق سليم بشارة: **التفكير المركب وعلاقته ببعض المتغيرات**، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٦)، العدد الثالث، الاردن، ٢٠١٠، ص ٥٢٥.

المنهج المتبع في الدراسة:

تم إتباع في هذه الدراسة المنهج الوصفي الإرتباطي، وهذا لأنه الأكثر ملائمة ومناسبة لموضوع الدراسة، أي تحديد ما إذا كانت هناك علاقة بين مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي لدى أفراد العينة، حيث يوفر فهما جيدا عن متغيرات الدراسة كما هي دون إدخال أي تغيير من طرف الباحث،كما يحدد لنا الفروق بين الجنسين(الذكور والإناث) في كل من مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الماستر،الماجستير والدكتوراه المسجلين بقسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا ، للسنة الجامعية (2012 - 2013) بجامعات الجزائر.

عينة الدراسة:

أجريت هذه الدراسة على عينة متكونة من(١٢٠) طالبا جامعيا من المسجلين في قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا بجامعة الجزائر2، وجامعة البليدة٢ للسنة الجامعية (2012-2013)،حيث تم الحصول على أفراد العينة بأسلوب المعاينة غير العشوائية بالطريقة العرضية، وذلك بتطبيق أداتي الدراسة على الطلبة الذين صادفتهم الباحثة في الحرم الجامعي (قاعات الدراسة والمكتبات الجامعية) بعد التأكد من أنهم ينتمون لمجتمع الدراسة، وكانت كالتالي:

جدول (٠١): يبين توزيع أفراد العينة حسب الجنس والمستوى الجامعي.

المستوى الجامعي	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
ماستر	17	23	40
ماجستير	25	15	40
دكتوراه	16	24	40
المجموع	58	62	120

الأدوات المستخدمة في الدراسة:

تم الإعتماد في جمع البيانات من أفراد العينة على الأداتين التاليتين:

١ _ مقياس مستوى الطموح:

إستخدم في هذه الدراسة مقياس مستوى الطموح لكاميليا إبراهيم عبد الفتاح(1970)،يتكون من(79) بند موزعة على سبعة أبعاد رئيسية لمستوى الطموح، وهي:(النظرة للحياة،الإتجاه نحو التفوق،تحديد الأهداف والخطة، الميل إلى الكفاح، تحمل المسؤولية والإعتماد على النفس،المثابرة،الرضا بالوضع الحاضر والإيمان بأن هناك عدة أمور مردها إلى الحظ)، وتتنوع

عباراته بين إيجابية وسلبية، وقد قامت الباحثة بإستخراج صدق المقياس بتطبيقه على عينة إستطلاعية، وتم التوصل الى ان هذا المقياس يتميز بصدق تمييزي،وبهدف التأكد من ثبات المقياس تم حساب ثبات الإتساق الداخلي بإستعمال معادلة جتمان (**Guttmann**) وقد بلغت (0,86)،ايضا بمعادلة كيودر ريتشاردسون (**Kuder Richard Son**) وقد بلغت قيمة معامل الثبات (0,84) وهذا يدل على معامل ثبات عال، مما يدل على صلاحية المقياس.

٢ _ اختبار القدرة على التفكير الإبداعي:

هذا الإختبار يتكون من قسمين: القسم الأول مأخوذ من إحدى بطاريات تورانس(**Torrance**) للتفكير الابتكاري(1967) يتكون من(٠٤) وحدات فرعية وزمن كل وحدة٠٩) دقائق، هي: (الإستعمالات، المترتبات، المواقف، التطوير والتحسين)، والقسم الثاني هو إختبار بارون وفيه يطلب من المفحوص أن يكون من حروف الكلمات المعطاة له كلمات جديدة، ويتكون من كلمتين، لكل واحدة منها٠٩) دقائق.

وقد قام الباحث سيد خير الله بترجمته وتكييفه مع البيئة العربية عام (1981)[1].

وبهدف تطبيقه على عينة الدراسة ينتمون للبيئة الجزائرية بكافة خصائصها المميزة كان لابد من اللجوء إلى تعديل وتكييف بعض عباراته لتتناسب وعينة لدراسة، وسيتم توضيح العبارات التي تم تعديلها.

جدول٠٧): يبين العبارات التي تم تعديلها في إختبار القدرة على التفكير الإبداعي.

رقم العبارة	الجزء	العبارة قبل التعديل	العبارة بعد التعديل
٠١	الجزء الأول	علب الصفيح	الورق المقوى
٠١	الجزء الثالث	إذا عينت مسؤولا عن صرف النقود في النادي الذي أنت عضو فيه، ويحاول احد الأعضاء أن يدخل في تفكير الزملاء انك غير أمين، ماذا تفعل؟	إذا عينت مسؤولا عن صرف النقود في رحلة علمية، واتهمت بأنك غير أمين، فماذا تفعل؟
٠٢	الجزء الخامس	بنها	ميلة

عرض على مجموعة من الأساتذة الجامعيين المختصين في القياس والمنهجية وعلم النفس عددهم٠٦) للتحكيم عليه وقد اجمع كلهم على انه صادق، كما تبين انه يتميز بالصدق التمييزي، كما عمدت الباحثة في هذه الدراسة للتأكد من ثبات الإتساق الداخلي للإختبار ككل وللعوامل الثلاثة المكونة له بتطبيق معادلة جتمان (**Guttmann**) فكانت الطلاقة٠٦)،عامل المرونة٠٩)،عامل الأصالة٠٩)الاختبار ككل٠٩)،وهذه المعاملات جميعها عالية وهي نتيجة تشير إلى وجود اتساق داخلي بين بنود الإختبار،أي أن هذا المقياس لم يفقد خصائصه السيكومترية مما يؤكد صلاحيته.

[1]- سيد خير الله: بحوث نفسية وتربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون طبعة، الأردن،1990.

التقنيات الإحصائية المطبقة:

إن الهدف من تطبيق التقنيات الإحصائية هو التوصل إلى مؤشرات كمية تساعد على التحليل والتفسير والحكم، وفي هذه الدراسة تم إستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الإجتماعية (spss) في معالجة البيانات،وأهم هذه التقنيات المستعملة،هي:المتوسط الحسابي،النسبة المئوية،التباين،معادلة جتمان (Guttmann)،معادلة كيودر ريتشاردسون (Kuder Richard Son)،معامل الإرتباط بيرسون (Pearson)،إختبار (ت) لدلالة الفرق بين المتوسطات (T - test).

عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة:

_الفرضية الأولى:

الجدول(١٤): يبين العلاقة بين مستوى طموح أفراد العينة وقدرتهم على التفكير الإبداعي.

المتغير	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
مستوى الطموح – القدرة على التفكير الابداعي	١٢٠	٠.٦٢	٠.٠١	دالة

من خلال النتائج في الجدول(١٤)، يظهر أن قيمة معامل الإرتباط بيرسون (r) بين درجات أفراد العينة في مستوى الطموح والقدرة على التفكير الإبداعي(٠.٦٢)، وهي قيمة عالية تدل على علاقة إرتباطية موجبة طردية وقوية، وهذه النتيجة متوافقة مع الفرضية الأولى في الدراسة،أي كلما إرتفع "مستوى الطموح" إرتفع معه "التفكير الإبداعي"،وكلما إنخفض "مستوى الطموح" انخفض معه "التفكير الإبداعي".

وهذه النتيجة تتفق والأدب التربوي حيث أنه من سمات المبدع أن له أهداف كبيرة (مستوى طموح عال) تشكل دافعا كبيرا له نحو المثابرة والسعي جاهدا واستغلال جل قدراته للوصول إلى هذه الأهداف التي تتطلب سقف طموح مرتفع، والمبدع كونه يعرف جيدا قدراته فإنه يضع لنفسه طموحا عاليا يتلاءم وهذه القدرات، ويعني أن ذوي المستوى المرتفع من الطموح أقدر من غيرهم على التمتع بالتفكير الإبداعي، وأقرب من غيرهم على استثمار هذه القدرة، فلا شك بأن الطموح يعد بمثابة الوقود الفعال للعملية الإبداعية الذي يضمن المحافظة على استمرار عملية الإبداع إلى أن يصل إلى تحقيق الأهداف التي يطمح إليها المبدع والوصول إلى مستويات عليا من الإنتاج يرضى فيها المبدع عن نفسه،فإذا ما وصل إلى ذلك المستوى وضع لنفسه أهدافا أخرى يطمح ويثابر للوصول إليها، فهي عملية مستمرة لا تتوقف،تعمل على خلق أهداف كبيرة نحو الإبداع وتطويره، وهذا يتفق مع سعادة(١٩٩٦) حين عرفت الإبداع على أنه:"تفكير يؤدي إلى التغيير نحو الأفضل، وينفي الأفكار المقبولة سابقا وبأنه يتضمن الدافعية والطموح والمثابرة والاستمرارية في العمل والقدرة العالية على تحقيق أمر ما، وهو الذي يعمل على تكوين مشكلة ما تكوينا جيدا".[1]

وإذا حدث وفقد المبدع هذا المستوى من الطموح فإنه يكون قد فقد جزءا كبيرا من دافعيته نحو الإبداع، وإذا حدث الأسوأ وتحول المبدع إلى شخص غير طموح تحت ظرف من الظروف فإنه يكون قد فقد المبرر الذي يدفعه نحو الإبداع، وهذا يدل على أن الطموح بمثابة المحرك للسلوك والمثير للنشاط العقلي والحركي، والمسؤول عن استمرار النشاط المؤدي إلى تخطي

[1]- سعادة جودت احمد وقطامي يوسف : قدرة التفكير الإبداعي لدى طلبة جامعة السلطان قابوس، دراسة ميدانية، مجلة سلسلة الدراسات النفسية والتربوية، جامعة عين السلطان قابوس، المجلد الأول، العدد الأول، ١٩٩٦.

العقبات وحل المشكلات مهما عظمت في سبيل تحقيقه لأهدافه، وبالتالي تحقيقه لذاته ، ففقدان الدافع للتعلم لدى الطالب بصرف النظر عن قدراته هو أحد أهم أسباب فشله.[1]

كذلك تتفق هذه النتيجة مع الأدب التربوي حيث أنه من بين العوامل التي لها الدور الأساسي في عملية الإنتاج الإبداعي العوامل الدافعية ومستوى الطموح العال، لأن هذه العوامل تدفع بالمبدع إلى السيطرة على ما لديه من معلومات ومهارات في مجاله، وهي التي تدفعه الى التفكير والاكتشاف ومن ثم التفكير في الجديد والتعبير عنه، وكما يعتبر مستوى الطموح هو المحرك والموجه لطاقات الطالب وسلوكه.

وتظهر هذه العلاقة أيضا في أن الطموح يؤثر على نشاط الطالب وإبداعه كما وكيفا، فالطموح يمد الفرد بالطاقات التي تعمل على زيادة إستثارته ليسلك سلوكا معين،ويتم ذلك عن طريق إختيار الإستجابة المفيدة لعملية توافقه والمواقف والمشكلات التي تطرأ عليه، فالطالب الذي يملك مستوى طموح عال لديه رغبة قوية ومستمرة في الفهم والمعرفة، ويزاول أنشطة إستطلاعية وإستكشافية من خلال قيامه البحث العلمي للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات وللتوصل إلى حلول للمشكلات التي تواجهه، ومن ثم ستزداد حصيلته الفكرية والمهاراتية، ويصبح قادرا على إنتاج حلول كثيرة ومتنوعة للمشاكل التي تواجهه، وقادرا على تقديم الأصيل والنادر،وغير الشائع منها،وفي هذا السياق يقول **الإمام علي**-رضي الله عليه- : "قدر الرجل على قدر همته،وعمله على قدر نيته"،أي أن الهمة العالية تجر الشخص إلى أن يعمل أكثر من غيره، كما يمتاز الطالب ذو مستوى الطموح المرتفع بالإستمتاع بالعمل والجد والتفكير في حلول للمشكلات، وهذا يتفق مع ما يمتاز به ذو القدرة العالية على الإبتكار من إخضاعه لكل شيء للتفكير والمحاكمة العقلية حتى يقبله ويلتزم به، فالطالب ذو القدرة الإبتكارية العالية يكون مشحونا بدافع التنافس والرغبة في التفوق والمثابرة، وذو مستوى طموح عال حيث يرغب دائما أن يكون في المرتبة الأولى، وهذا ما يتميز به إختبار القدرة على التفكير الإبداعي فهو يحتاج إلى تقديم إستجابات عديدة متنوعة وفي نفس الوقت تمتاز بالجدة والتفرد وتحتاج أيضا لشدة المنافسة والرغبة في التفوق، وتقديم الأفضل والأندر.

_الفرضية الثانية:

الجدول(١٦): يبين العلاقة بين مستوى الطموح وقدرة "الطلاقة" لدى أفراد العينة.

المتغير	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
مستوى الطموح – قدرة الطلاقة	١٢٠	٠.٦٠	٠.٠١	دالة

من خلال النتائج المبينة في الجدول أعلاه، يظهر أن قيمة معامل الإرتباط بيرسون (r) بين درجات أفراد العينة في مستوى لطموح وقدرة الطلاقة (0.60) وهي قيمة عالية تدل على علاقة إرتباطية موجبة طردية وقوية، ومنه نقبل الفرضية الثانية المقترحة في الدراسة،فكلما إرتفع "مستوى الطموح " ارتفعت معه "قدرة الطلاقة "، وكلما إنخفض "مستوى الطموح " إنخفضت معه "قدرة الطلاقة".

وهذه النتيجة تتفق والأدب التربوي حيث أنه من خصائص الطالب الطموح أنه يتمتع بقدرات إبداعية عالية فعالة، كقدرة الطلاقة، وتشير الطلاقة إلى عدد الإستجابات المناسبة للمواقف التي تواجهه، ويستدل عليها بتعدد أفكار وسلوكات الطالب

[1] - سامية سعدي: القدرة على التفكير الإبداعي وعلاقتها بدافع الإنجاز وفعالية الذات، دراسة على طلبة الماجستير، رسالة ماجستير،2001.

ومحاولاته المتكررة التي يقوم بها بغية الوصول إلى هدف معين أو لحل مشكلة ما، وبما أن طلاقة الفرد تتأثر بالظروف الإنفعالية[1] كالطموح،فإنه هذا الأخير يبرز وينشط هذه القدرة بشكل كبير، ويظهر ذلك بسعي وجد وكفاح الفرد الطموح للوصول إلى التفوق،وبالتالي تحقيقه لأهدافه وطموحاته، كما يتميز الطالب الطموح بأنه مثابر ويبذل أقصى ما عنده من قدرات وطاقات إبداعية للتغلب على العقبات التي تصادفه في أدائه لأعماله وقيامه بالبحث العلمي،وإصراره على بلوغه بالصبر،وهذا يتفق مع تعريف ايزنك (Eysenck,1945) حيث يرى أن الشخص الطموح يميل إلى تذليل العقبات ويجاهد في عمل شيء ما بصورة سريعة وجيدة لتحقيق مستوى عالي من التفوق، فهو لا يثنيه الفشل عن معاودة الكرة والمحاولة، وهذا ما يؤهله لإكتساب الخبرات العلمية والتمكن منها.[2]

أما إذا انتقص هذا الطموح وإنخفض فإن دافعية الفرد تنخفض معه، ويظهر لنا ذلك جليا في تكاسل الطالب وفي قلة إستجاباته وإنتاجاته مما يؤثر سلبا على قدراته الإبداعية، وهذا ما يؤكد العلاقة الموجبة بين مستوى الطموح وقدرة الطلاقة.

_الفرضية الثالثة :

الجدول(١٦): يبين العلاقة بين مستوى الطموح وقدرة "المرونة" لدى أفراد العينة.

المتغير	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
مستوى الطموح – قدرة المرونة	١٢٠	٠.٥٨	٠.٠١	دالة

من خلال النتائج المبينة في الجدول أعلاه، يظهر أن قيمة معامل الإرتباط بيرسون (r) بين درجات أفراد العينة في مستوى لطموح وقدرة المرونة تساوي(٠.٥٨) وهي قيمة عالية تدل على علاقة إرتباطية موجبة طردية وقوية، فهذه النتيجة جاءت متوافقة مع الفرضية الثالثة المقترحة في الدراسة، اي كلما إرتفع "مستوى الطموح" إرتفعت معه "قدرة المرونة"، وكلما إنخفض "مستوى الطموح" إنخفضت معه "قدرة المرونة"، إذن فالعلاقة بينهما طردية موجبة.

حيث تظهر المرونة في تنوع الأفكار والإستجابات التي يقوم بها طلبة الدراسات العليا، وقد تعود هذه المرونة وعدم الجمود إلى بلوغ الطلبة في هذه المرحلة درجة من النضج تمكنهم من التعامل الايجابي مع التنامي الهائل في المعرفة والمعلومات لمواكبة التغير والتكيف معه حسب الموقف أو المشكلة للوصول إلى حلول مبدعة غير جامدة وغير تقليدية، وقدرة المرونة تعبر عن نشاط عقلي تغييري يتميز بالبحث والإنطلاق بحرية في إتجاهات متعددة، وهذا ما يتميز به الطالب الطموح فهو شخص حيوي يميل إلى التجديد والتنويع في أفكاره وسلوكياته، فهو يجرب كل الطرق بغية تحقيق طموحاته وأهدافه ولا يثبت على حال واحد، كما ينفر من الجمود والثبات.

والمرونة ضرورية لتحقيق الأهداف بنجاح، وهنا يقول براين تراسي(Brai Tracy):" كن واضحا عندما تحدد أهدافك وطموحاتك في الحياة، لكن كن مرنا عندما تطبق الخطوات الضرورية لتحقيق هذه الطموحات، فكلما كنت مرنا في إستخدام الخطوات الضرورية لإنجاز هذه الأهداف كلما زادت فرصتك لتحقيقها، فالمرونة تمنحك القدرة على التكيف

[1] - سيد خير الله، عبد المنعم كناني: **الأسس النفسية للإبتكار وأساليب تنميته**، مكتبة الفلاح، ط١، الكويت،١٩٩٠.

[2] - وسام سعيد رضوان: **الدافع المعرفي والبيئة الصفية وعلاقتهما بالتفكير الإبتكاري لدى طلاب الصف الرابع**، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، فلسطين،2004، ص ٨١.

والتأقلم مع الظروف المتغيرة، عندها يمكنك أن تغير المهام والخطوات غير الواقعية أو غير القابلة للتنفيذ وإستبدالها بخطوات فعالة أكثر"[1]، كما ترتبط المرونة العقلية بتصوراتنا السابقة، مفاهيمنا إنفعالاتنا ودوافعنا، وعادة ما يؤثر تغير البيئة والموقف والسلوك على طريقتنا في التفكير.

_الفرضية الرابعة :

الجدول(١٧): يبين العلاقة بين مستوى الطموح وقدرة "الأصالة" لدى أفراد العينة.

المتغير	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
مستوى الطموح – قدرة الاصالة	١٢٠	٠.٥٢	٠.٠١	دالة

من خلال نتائج الجدول أعلاه، يظهر أن قيمة معامل الإرتباط بيرسون (r) بين درجات أفراد العينة في مستوى لطموح وقدرة الأصالة تساوي(٠.٥٢) وهي قيمة عالية تدل على علاقة إرتباطية موجبة طردية وقوية، وهذه النتيجة متوافقة مع الفرضية الرابعة المقترحة في الدراسة، فكلما إرتفع "مستوى الطموح" إرتفعت معه "قدرة الأصالة"، والعكس، إذن فالعلاقة بينهما طردية موجبة.

إن الأصالة كقدرة إبداعية تتطلب إيجاد حلول نادرة وغير مألوفة للمشاكل والمسائل التي تواجه الطالب، وتتطلب منه أن يكون خلاقا مبدعا مقدما إنجازا فريدا نادرا، وهي أصعب قدرات التفكير الإبداعي.

وقد يرجع السبب في أن الطالب ذو مستوى الطموح العالي يكون مشحونا بدافع التنافس والرغبة في التفوق حيث يرغب دائما في أن يكون في المراتب الأولى، وهذا ما يجعله يقدم إنتاجا أصيلا يتميز بالجدة والتفرد والندرة.

كما أنه من أهم صفات المبتكر الإستقلالية أي إستقلالية تفكيره، وعدم خضوعه إلى ما هو مألوف ومعروف، فالإبداع يظهر من خلال إيجاد إرتباطات بين مواضيع جديدة، وإدراك الفرد لما لا يدركه الآخرون في مجال ما، ومثل هذا العمل العقلي يحتاج إلى الإستقلالية أي إعتماد الفرد على نفسه، ووضعه لخطط مسبقة ومثابرته وكفاحه في تحقيقها، وتحمله لمسؤولية أعماله، ثم ينتهي بتقديم ناتجا لا يتفق ولا يتماثل مع ما هو كائن، ومثل هذا العمل يحتاج أيضا إلى شخصية مستقلة مؤمنة بالعمل الذي تقوم به، واثقة بنفسها، لا تخضع فيما تقدمه إلى ما هو معروف ومتفق عليه.[2]

[1]- فريد تراسي، ووينديبيتريني: المرونة لماذا نختارها في الحياة؟، ترجمة سماح عموش، وسعاد حمودي، مجلة الجميلة، ماي، ٢٠١١، ص ١٠٤.

[2]- وسام سعيد رضوان : **الدافع المعرفي والبيئة الصفية وعلاقتهما بالتفكير الإبتكاري لدى طلاب الصف الرابع** ، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، فلسطين،2004.

_الفرضية الخامسة:

الجدول(١١): يبين الفروق بين الذكور والإناث في مستوى الطموح.

الإحصاءات / الجنس	حجم العينة (ن)	المتوسط الحسابي (م)	الإنحراف	(ت) المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية (α)	درجة الحرية (df)	(ت) المجدولة
الإناث	62	65.45	5.85	2.330	0.05	118	1.98
الذكور	58	62.34	8.57				

نلاحظ من خلال النتائج الموضحة في الجدول أعلاه انه بتطبيق إختبار (ت)لدلالة الفرق بين المتوسطات، جاءت النتائج لتبين أن قيمة (ت) المحسوبة(٢.٣٣) وهي أكبر من قيمة (ت) المجدولة التي (1.98) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة(٠.٠٥) ودرجة الحرية(١١٨)، بمعنى أن هذه النتيجة تدل على وجود فروق بين مجموعتي الذكور والإناث لصالح الاناث في مستوى الطموح، وهذه النتيجة تاكد الفرضية الخامسة المقترحة في الدراسة، ولعل السبب في هذا يعود إلى العوامل التالية:

إن الإناث في هذا المستوى وهن طلبة الدراسات العليا يتميزن بنضج عقلي وقوة نفسية ومعرفية تمكنهن من مواجهة العادات والتقاليد التي تعتبر المرأة عضو سلبي في المجتمع، وتفرض عليها المكوث في البيت وتربية الأولاد وخدمة أفراد العائلة والزوج وأنها عالة على الآخرين، "إنها مخلوق ناقص عاجز لا يستطيع أن يفعل شيء"[1]، وذلك بأن يتفوقن في دراستهن وعملهن وليُثْبتنَ قدرتهن على مجارات الرجال دراسيا ومهنيا، وليتمثلن بزميلاتهن العاملات، ويعتمدن على أنفسهن فلا يُتَّهَمْنَ بالفشل والتبعية.

والواقع يثبت أن المرأة قد فازت بالرهان فنحن اليوم نجدها تحتل مناصب عليا ومرموقة في شتى الميادين، حتى تلك التي كان يعرف عليها أنها مهن خاصة بالرجال فقط، وذلك لم يكن ليحصل لولا طموحها المرتفع ومثابرتها ونظرتها الإيجابية للحياة، وتخطيطها الجيد، وإعتمادها على النفس، مما جعلها تحظى بمكانة مميزة في المجتمع، كما إستطاعت أن تغير نظرة الآخرين لها بنجاحاتها المتكررة سواء في تعلمها أو عملها، وبتمسكها بأصالتها وعاداتها في نفس الوقت، فاليوم ومع التغيرات والتحولات التكنولوجية والإقتصادية والثقافية التي تعرفها المجتمعات العربية خاصة المجتمع الجزائري، فقد أصبح ينظر للفتاة نظرة إيجابية على أنها إنسان له حقوق وواجبات وعليها مسؤوليات وتكليفات، وأصبح التفريق بين الذكور والإناث نادر الحدوث، فالفتاة من حقها أن تتعلم ومن حقها أن تعمل، فهذه النظرة الإيجابية نحو الفتاة من قبل الآخرين أدى إلى رفعها لمستوى طموحها، أضف إلى ذلك وسائل الإعلام والتطور العلمي ووسائل الإتصال الحديثة، كل ذلك سهل مهمة الفتيات على التعلم، كما أصبح ينظر إليهن على أنهن شقائق الرجال، ولاسيما أن المجتمع يحتاج إليهن في ميدان العمل، فهو يحتاج إلى الطبيبة والممرضة والمعلمة، كما تولت أعلى المناصب في الشركات والوزارات والمجالس، كل هذه العوامل أدت إلى فتح الطريق للأخريات كي تتعلمن وتثابرن وتعملن وهذا في النهاية أدى إلى رفع مستوى طموحاتهن أكثر فأكثر.

[1] – رشاد علي عبد العزيز: **سيكولوجية الفروق بين الجنسين**، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة، ص ٢٠٢.

وكما سلف ذكره فإن للعامل الإقتصادي دور كبير في إشراك المرأة في سوق العمل حيث أن الأوضاع الإقتصادية والمادية الصعبة والمزرية التي كان يتحملها رب الأسرة، أصبحت تثقل كاهله خاصة مع تدهور القدرة الشرائية، وذلك جعله لا يمانع أن تشاركت معه زوجته أو ابنته في دفع نفقات الأسرة، فأصبح يسمح لها بمواصلة تعلمها لعلها تحظى بمهنة مرموقة ومحترمة.

ولعل بعض العوامل الأخرى التي ساهمت في الرفع من طموحات الإناث تعدد الجامعات وقرب مقراتها من التجمعات السكنية، ذلك حفز الوالدين على السماح لبناتهن بمواصلة دراستهن الجامعية، إضافة إلى توفر الإقامات الجامعية ووسائل الإتصال التي سهلت تنقلاتهن للتعلم أو العمل، وقد يرجع تفوقهن أيضا إلى التشجيع والدعم الذي تلقاه من أهلها، وبسبب ما أكتسبته بعض الفتيات من إحترام المجتمع لهن بمحافظتهن على عملهن وأخلاقهن طيلة فترة تعلمهن، مما جعلهن مثالا يقتدى به، كما يلاحظ أن أغلب طموحات الإناث المهنية تتمركز حول مهن معينة كالصحة والتعليم لما توفره هذه المهن من تسهيلات للمرأة العاملة بها من عدم الإختلاط، وقت فراغ وعطل تسمح لها بأداء واجباتها الأسرية، فضلا عن ذلك فان هذه المهن تحظى بتأييد معظم أفراد المجتمع الجزائري لها.[1]

وللعائلة أيضا دور في إرتفاع مستوى طموح بناتهن وذلك بدفعهن إلى النجاح، وتوفير لهن كل التسهيلات والإمكانيات إلى غير ذلك، فالأب مثلا يعمل ويتعب طيلة اليوم ليفور لإبنته من إمكانيات مادية ومالية، والأم بدورها تنهك نفسها في أعمال البيت لراحة إبنتها عند عودتها للبيت ولكي تتفرغ لدراستها،كما أن بعض الأسر تتباهى بنجاحات بناتها وأبنائها وتحب أن تظهر بمظهر الأسرة المتعلمة المثقفة ذات المستوى الإجتماعي العالي، وهذا ما يعزز ويحفز ويدفع بالفتاة إلى تحقيق طموحاتها وطموحات أهلها.

كما أنه قد يعود السبب إلى المنافسة العالية بين الطلاب والطالبات في البحث بجدية عن أسباب النجاح لمواصلة وتطوير النجاح، وربما يستطيع أن يلاحظ ذلك كل من مارس مهنة التعليم، حيث يلاحظ حالة من التنافس بين الطالبات أنفسهن وبينهن وبين الطلبة الذكور.

ويمكن تلخيص كل ما سبق في مقولة لمحمد عبد المؤمن حسين حين قال: "فلم تعد أنثى القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين أنثى مسكينة راضية بالقليل،أو كما يقال راضية بنصيبها، ولكنها أنثى طموحة عاملة، لديها أهداف ضخمة وبعيدة المدى،تسعى لتحقيقها،أصبحت أنثى الآن ذات واقع مرتفع الإنجاز، في معظم المجالات وعلى كافة المستويات".

[1] - الهادي سراية: **مستوى الطموح وعلاقته بتقدير الذات والتكيف الإجتماعي لدى طلاب السنة الثالثة ثانوي** دراسة ميدانية بولاية ورقلة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2010.

_الفرضية السادسة:

الجدول(١٠): يبين الفروق بين الذكور والإناث في القدرة على التفكير الإبداعي.

الإحصاءات / الجنس	حجم العينة (ن)	المتوسط الحسابي (م)	الإنحراف	(ت) المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية (α)	درجة الحرية (df)	(ت) المجدولة
الإناث	62	237.11	86.86	0.387	0.05	118	1.98
الذكور	58	231.15	81.39				

نلاحظ من خلال النتائج الموضحة في الجدول أعلاه انه بتطبيق إختبار (ت) لدلالة الفرق بين المتوسطات، جاءت النتائج لتبين أن قيمة (ت) المحسوبة(٠.٣٨٧) وهي أصغر من قيمة (ت) المجدولة التي (1.98) عند مستوى الدلالة(٠.٠٥) ودرجة الحرية(١١٨)،بمعنى أن هذه النتيجة تدل على أن الفروق بين مجموعتي الذكور والإناث التفكير الإبداعي ليست دالة إحصائيا، وهذه النتيجة لا تتفق مع الفرضية السادسة،و تدل على عدم تحققها.

وقد يعود السبب في هذا إلى أن التفكير الإبداعي يقوم به كل من الذكر والأنثى،وكلاهما نتاج المجتمع نفسه، الذي تلقى التعليم وأنهم يتعرضون للبيئة الجامعية نفسها من حيث المناخات والأنشطة العلمية،إضافة إلى التقارب الواضح في الثقافة والبيئة الإجتماعية، وعليه فلا مبرر لإفتراض أن الإناث يمتلكن هذه القدرات والمهارات قدرا أكبر أو أقل مما يمتلكه الذكور، ولقد أجمع العديد من العلماء على أن جميع الأفراد يملكون إلى درجة ما كل القدرات.[1]

وترى النظرية الإنسانية أن الإبداع كامن في النفس البشرية (نجده عند جميع الأفراد) يمكن أن يتحقق إذا ما توافرت الشروط النفسية والإجتماعية لأن الأفراد مدفوعين نحو تحقيق ذواتهم وحاجياتهم وبلوغ سلامتهم النفسية.

كما يعتبر جيلفورد وتورانس أن التفكير الإبداعي يعتبر قدرة فطرية كامنة موجودة لدى كل إنسان،ولكن بمستويات مختلفة، فهو إمتلاك القدرة على الإبتكار، وهي موجودة في حالة فعالة عند جميع الأشخاص،وفي جميع الأعمار،وهي مرتبطة بشكل متين مع البيئة الإجتماعية والإقتصادية[2]،والإبداع هو عطاء عقلي حر خال من التعصب والتصلب الفكري،قادر على الإنطلاق في إتجاهات متشعبة تضاعف أمامه فرص الإستكشاف وإجلاء الغموض،يتحقق عند الجميع سواء كان ذكرا أو أنثى، ولكن بشرط أن ينزع عن نفسه عقدة الخوف، وإذا ما وتوفرت له بيئة مناسبة خاصة أن الجامعة تقوم على إقامة علاقات مبنية على الإحترام والمحبة والثقة والحرية وتنشيط وإستغلال قدرات الطلبة من خلال قيامهم بالبحث العلمي والإبداع.

[1] - فاخر عاقل: **الإبداع وتربيته**، دار الملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٠.

[2] - Norbert Sillamy : Dictionnaire de la psychologie, larousse ,Edition Janine Faure, paris , France,1999, p 69.

خاتمة:

وما يمكن استخلاصه في نهاية هذه الدراسة هو أنها بينت وأكّدت على أن القدرة على التفكير الإبداعي ككل ومكوناتها (كقدرة الطلاقة،وقدرة المرونة،وقدرة الأصالة) ترتبط وتتعلق بمستوى الطموح وما يمثله من مثابرة وكفاح والسعي نحو التفوق،وتحديد الأهداف وتحمل المسؤولية.

وفي الأخير، نرى أن النتائج التي كشفت عنها هذه الدراسة تبقى في الحدود الزمانية والمكانية والبشرية،وفي حدود الأدوات المستخدمة في القياس،وكذا الظروف النفسية والإجتماعية والمادية التي أجريت فيها،وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع في حياة الأفراد والجماعات، نأمل أن تخصص له مستقبلا دراسة أوفى وأشمل،وذلك للوصول إلى نتائج أقرب إلى الموضوعية.

قائمة المراجع:

١٠- الهادي سراية: مستوى الطموح وعلاقته بتقدير الذات والتكيف الإجتماعي لدى طلاب السنة الثالثة ثانوي، دراسة ميدانية بولاية ورقلة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2010.

٢٠- حمزة بوزرزور: دور التداخل بين مركز التحكم ومستوى الطموح في إدراك الضغط النفسي لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، الجزائر،2011 .

٣٠- رشاد علي عبد العزيز:سيكولوجية الفروق بين الجنسين، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة.

٤٠- سامية سعدي:القدرة على التفكير الإبداعي وعلاقتها بدافع الإنجاز وفعالية الذات، دراسة على طلبة الماجستير، رسالة ماجستير،2001.

٥٠- سامية سعدي:القدرة على التفكير الإبداعي وعلاقتها بدافع الإنجاز وفعالية الذات، دراسة على طلبة الماجستير، رسالة ماجستير،2001.

٦٠- سعادة جودت أحمد،قطامي يوسف: قدرة التفكير الإبداعي لدى طلبة جامعة السلطان قابوس، دراسة ميدانية، مجلة سلسلة الدراسات النفسية والتربوية، جامعة عين السلطان قابوس، المجلد الأول، العدد الأول،١٩٩٦.

٧٠- سهير كامل أحمد: أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية، 1999.

٨٠- سيد خير الله: بحوث نفسية وتربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون طبعة، الأردن،1990.

٩٠- سيد خير الله، عبد المنعم كناني: الأسس النفسية للإبتكار وأساليب تنميته، مكتبة الفلاح، ط١، الكويت،١٩٩٠.

١٠- عايش زيتون: تنميةالإبداع والتفكير في تدريس العلوم، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان الأردن، ١٩٨٧.

١١- عبد المجيد بوقرة:الأستاذ وممارسة القيادة الإدارية في الجامعة، دراسة ميدانية في جامعة البليدة، علم الاجتماع، رسالة ماجستير،٢٠٠٧ .

١٢- فاخر عاقل: الإبداع وتربيته، دار الملايين، ط٢، بيروت،١٩٧٩.

١٣- فريد تراسي، ووينديبيتريني: المرونة لماذا نختارها في الحياة؟، ترجمة سماح عموش، وسعاد حمودي، مجلة الجميلة، ماي،٢٠١١.

١٤- كاميليا عبد الفتاح: دراسات سيكولوجية في مستوى الطموح، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1990.

١٥- كاميليا عبد الفتاح: مستوى الطموح والشخصية، دار النهضة العربية بيروت،1984 .

١٦- محمد خليفة الشريدي، وموفق سليم بشارة: التفكير المركب وعلاقته ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٦)، العدد الثالث، الاردن، ٢٠١٠.

١٧- وسام سعيد رضوان: الدافع المعرفي والبيئة الصفية وعلاقتهما بالتفكير الإبتكاري لدى طلاب الصف الرابع، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، فلسطين،2004.

١٨_Norbert Sillamy : Dictionnaire de la psychologie, larousse ,Edition Janine Faure, paris, France,1999.

١٩ _Rodrigues, Soriano : Astudy of the creativitythought of middle schoolstudents, Arquiresbrasilieros de psychologia,vol135,1983.

آراء الطلبة تجاه حقوق المواطنة و واجباتها

- دراسة ميدانية بمعهد التربية البدنية و الرياضية بجامعة قاصدي مرباح،ورقلة -

أ.بومهراس الزهرة/جامعة قاصدي مرباح ورقلة أ.عميرات فاطمة/جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص :

تتطرق الدراسة الحالية إلى مفهوم المواطنة و عناصر المواطنة المتمثلة في الانتماء و الولاء و الديمقراطية،ثم آراء الطلبة حول المواطنة فيما يخص الجنس و المستوى الدراسي حيث توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في الاتجاه نحو حقوق المواطنة بين الجنسين من طلاب الجامعة حيث كانت الفروق لصالح الإناث،و أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء الطلبة نحو حقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى الدراسي،حيث تكونت عينة الدراسة من٦٠ طالبا من الطور الجامعي.

الكلمات المفتاحية:المواطنة،حقوق المواطنة وواجباتها،اتجاه نحو المواطنة.

١-الإشكالية:

أصبحت المواطنة من القضايا التي تفرض نفسها بقوة عند معالجة أي بعد من أبعاد التنمية الإنسانية ومشاريع الإصلاح والتطوير الشاملة بصفة عامة،والمواطنة بمفهومها الواسع تعني الصلة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت،ويرتبط بها جغرافياً وتاريخياً وثقافيا.

إنّ وظيفة الجامعات في الوقت الحاضر هي التعليم الجامعي،والبحث العلمي،وخدمة المجتمع،وهذه الأهداف وجدت أساساً لتنمية الشخصية الإنسانية و الوطنية وبلورتها وتطورها من خلال إعادة صياغة ألإنسان وتعميق شعوره الوطني وتوعية أفراد المجتمع بشكل عام،وإشاعة روح العلم،و المنهج العلمي،وتكوين مفاهيم علمية تسعى لتكريس التعددية الفكرية والديمقراطية،والعدل ألاجتماعي والحريات العامة في ظل المتغيرات،إنّ بناء الإنسان المواطن الصالح الذي تقع عليه أعباء التنمية.وبناء الوطن يُعد من أهم الأهداف التي يجب أنْ يعمل على تحقيقها كل مجتمع فلا بد من اضطلاع المؤسسات التربوية من خلال الجامعات بدورها الصحيح،بطريقة خلاّقة تمكّنها من تحمل مسئولياتها حيث إنّ غياب ثقافة المواطنة الصالحة تُضعف من عاطفة الولاء والانتماء مما يجعل الأفراد يشعرون بحالة من ألإحباط ويثبط ذلك من عزيمتهم في النهوض بقدرات مجتمعهم.وبمعنى أدق فالمواطنة هي علاقة أو التزام بين طرفين الأول وهو الفرد أو المواطن نفسه الذي يجب أن يقوم بالواجبات مثل الولاء والانتماء والحب والعاطفة الوطنية والخدمة ألفعلية والثاني هو الدولة التي يجب أن

تضمن للمواطن الحماية وتقدم له الخدمات المختلفة (الحقوق)،أي إن المواطنة هي عملية التوازن بالنسبة للفرد لأن يقوم بما عليه (الواجبات) ويأخذ ما له.[1]

والمواطنة هي جملة من القيم الإنسانية نشأت منذ القدم بغية خلق الانتماء لدى الفرد نحو كيان معين،وهي أداء واجبات محددة،و التي متع بحقوق معينة،و هي مفتاح لكل من الحرية الشخصية،والمسئولية تجاه الدولة وغيرها من المؤسسات والمواطنين.يعتبر موضوع المواطنة من الموضوعات الهامة التي شغلت وما تزال تشغل العديد من علماء الاجتماع و السياسة ومما ساعد على المزيد من الاهتمام بهذا الأمر وهو ما دفعنا للقيام بالبحث التالي الذي تتجسد أهم عناصره في الإجابة على **التساؤلات** التالية :

١- ما المقصود من مفهوم المواطنة ؟

٢- فيما تتجسد عناصر المواطنة ؟

٣- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف الجنس ؟

٤- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى الجامعي (ليسانس،ماستر) ؟

٢ - فرضيات الدراسة:

١ -لا توجد فروق ذات دلالة في آراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف الجنس.

٢ -لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى الجامعي(لسانس،ماستر).

٣ - أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تحاول معرفة حقوق المواطنة وواجباتها ألاجتماعية كما تجسد مفاهيم المواطنة ضمن مساق التربية الوطنية الذي أصبح متطلبا إجباريا لكل الطلبة ، بحيث يتم التركيز في هذا المساق على الحقوق والواجبات،كما تتبين أهمية هذه الدراسة من خلال التعرف على مفاهيم المواطنة وعملهم على غرسها وتنمية قيمها واتجاهاتها في نفوس الطلبة حيث أنها أصبحت ضرورة لبناء الدولة العصرية القوية سياسيا و اقتصاديا ، و ثقافيا إضافة إلى تعزيز الولاء والانتماء للوطن.

٤ -أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم المواطنة كدالك عناصر المواطنة بالإضافة إلى التعرف على الفروق في اراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف الجنس،و التعرف على الفروق في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى الجامعي (ليسانس،ماستر).

[1] أبو حلو يعقوب،و مرعي توفيق،و خريشة علي،و كايد سليم ، **مناهج وطرق تدريس الدراسات الاجتماعية** ، منشورات الجامعة العربية المفتوحة ، الصفاء الكويت، ٢٠٠٤،ص ١٦٨.

١ -**المفاهيم الإجرائية:**

٢ -**المواطنة:**هي انتماء الطالب الجامعي إلى دولة ما حيث يحمل جنسيتها،و يخضع لقوانينها،ويتمتع بشكل متساوي مع بقية المواطنين فيها بمجموعة من الحقوق،ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه هذه الدولة.

٣ -**حقوق المواطنة وواجباتها:**هي نقيض الباطل،هي المزايا التي يشعر الطالب الجامعي أن من حقهم أن يحصلوا عليها"أما الواجبات فهي أفعال تفرضها قواعد مقبولة تحكم أي ناحية هامة من نواحي الحياة الاجتماعية عليها منا المجتمع وهذه الواجبات تتمثل في الواجبات الخلقية،و القانونية،و الوطنية،والاجتماعية والعائلية والعقائدية ونتحقق من ذلك من خلال إجابة الطالب على المقياس المدرج لهذه الدراسة.

٤ -**اتجاه نحو المواطنة:**ونقصد بالاتجاه نحو الموطنة إجرائيا بمجموع الدرجات التي يحصل عليها المبحوث في استبيان الاتجاهات نحو المواطنة من حيث الالتزام وأداء الواجبات،والحصول على الحقوق،حيث صمم هذا الاستبيان من طرف الباحثين.وتعبر الدرجات المرتفعة عن تأييد إيجابي للقيام بالواجبات واعتراف بالحصول على الحقوق، أما الدرجات المنخفضة فتعبر عن اتجاه سلبي نحو المواطنة من حيث الالتزام بالواجبات ونيل الحقوق.

٥ -**حدود الدراسة :**

الحدود البشرية:طلبة الجامعة تخصص التربية البدنية و الرياضة.

الحدود الزمنية:ماي٢٠١٦

الحدود المكانية:جامعة ورقلة.

الجانب النظري:

لقد شهد مفهوم المواطنة تطورا كبيرا منذ النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين،في ظل ارتباط المفهوم بالعديد من الأبعاد العالمية والإقليمية،وفي ظل توجه العالم نحو الديمقراطية،فلم يعد الصراع ما بين الدول صراعا مسلحاً بقدر ما أصبح صاعا حضارياً وثقافياً،واستقطاباً فكرياً في محاولة لاجتذاب الشباب إلى مغريات كثيرة في ظل الواقع الذي يعيشونه لذلك تهتم الدول بالعمل على تحصين شبابها وحقنهم سياسياً و توعيتهم،تأكيداً للهوية الوطنية وتعميقاً للانتماء والولاء للوطن بعد أن أضحى التركيز على خيارات الفرد المطلقة مرجعاً للخيارات الحياتية والسياسية اليومية، وسيطرة النزعة الذاتية على الإفراد واللامبالاة و التجاهل،وبوادر الانفصام بين المواطن و الدولة، وذوبان الهوية الثقافية،و إضعاف قيم الانتماء والولاء للوطن،ومن ثم زعزعة قيم المواطنة لدى الشباب.

فقد ظهر مفهوم المواطنة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر،من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال الإنتاج الفكري للإنسان، وتراكم منجزات الحضارية،حيث برز من خلال التناقضات التي مرت بها أوروبا على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي غيرت الكثير من معالم الحياة الأوروبية.

فمنذ ظهور الدولة بمفهومها الحديث في العصور الحديثة، درجت دول العالم على اختلاف توجهاتها السياسية ونظم الحكم فيها،على تحديد شروط المواطنة وملامحها وحقوقها و واجباتها، في ضوء منطلقات تستوعب مشاربها الثقافية،وذاتيتها التاريخية،وتصوراتها للعلاقة بين الفرد و الدولة، وأدى ذلك على مر التاريخ إلى التعدد والتباين في الوثائق الدستورية المحددة لمبادئ المواطنة، وفي الاستراتيجيات المتبعة التي تسعى لتكريس قيم المواطنة لتجعل النشء أكثر تفاعلاً مع سياق مفهوم المواطنة وأكثر انخراطا في ممارسات معينة لمبادئها.

والمواطنة كلمة تتسع للعديد من المفاهيم و التعريفات ،فالمواطنة في اللغة مأخوذة من الوطن وهو محل الإقامة والحماية، ومن حيث مفهومها السياسي فالمواطنة هي (صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى الوطن.[1]

إن مفهوم المواطنة يحمل تحت طياته مشاعر الحب والولاء و الانتماء، بما يعني حب الوطن والأرض والفخر بالتراث والحضارة،تتجلى مظاهرها في الالتزام بالحقوق و الواجبات، واحترام القوانين والمعايير السائدة في الوطن، والتوحد معه والعمل على حمايته، والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غال ونفيس حرصاً على تماسكه ووحدته واستمرارية بقائه وسلامته.

وتعبر المواطنة عن حب الفرد وإخلاصه لوطنه بما فيها الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والاعتزاز بتاريخ مجتمعه وأمته و التفاني في خدمة وطنه.[2]

وبذلك فان المواطنة تحدد علاقة الفرد بدولته وفق الدستور السائد فيها والقوانين التي تنظم العلاقة(بينهما من حيث الحقوق والواجبات.[3]

وبالنظر إلى العوامل المؤثرة في المواطنة وتأثيرها في البناء الاجتماعي والثقافي والتربوي وتعزيز منظومة القيم الاجتماعية بغية الوصول إلى بناء اجتماعي متماسك يقوم على الاعتزاز بالمجتمع وقيمه وتاريخه والجديد والتطلع إلى مواكبة التغيير العالمي من حوله خاصة في ظل الانفجار المعرفي وثورة الاتصالات فان دراسة الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة تشكل ضرورة ملحة لما لها من أثر في تحديد أولويات المجتمع نحو تربية معاصرة للمواطن بما يكفل تربية ومواطنة سليمة وواعده ويوظف التقنيات المتاحة للارتقاء بها.[4]

ويرى الصبيح(٢٠٠٥) أن المواطنة تتمثل بحقوق وواجبات تتحقق من خلال قدر من الوعي والمعرفة من خلال سعي الفرد لتحقيق حقوق المواطنة والوفاء بالتزاماتها وذلك باستخدام وسائل مشروعة يحددها النظام الاجتماعي ويتعلمها الفرد وبذلك فإن المواطنة تتحدد بالمسؤولية الاجتماعية والوعي السياسي.

من الناحية النفسية والاجتماعية:وتعني التصرف بمسؤولية تجاه أفراد مجتمعهم، والتحلي بنماذج سلوكية مرغوبة اجتماعيا وقبول نفسي والتزام أساسي بمبدأ المواطنة، تتطلب المشاركة القائمة على الفهم الواعي، والتفاهم،وقبول الحقوق والمسؤوليات الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة،والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعًا عنهما .هذه البنية النفسية والاجتماعية ذات ثلاثة عناصر:

أ – العنصر المعرفي الذي يقوم على أساس معرفتي بالوطن ومعرفتي بحقوق الوطن تجاهي ومعرفتي بحقوقي تجاه الوطن.

ب – العنصر الوجداني الذي يتجلى في حب الوطن وفي المشاعر تجاه الأرض وهذا ما يسمى بالوطنية فالجانب

الوجداني للمواطنة يتجلى في مفهوم الوطنية.

---

[1] عبد الحافظ ، **المواطنة حقوق و واجبات** ، مركز ماعت للد راسات الحقوقية و الدستورية، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٠٩ .

[2] **الموسوعة العربية**، السعودية ar.awikipedia .org /wiki، ١٩٩٦،ص ١١٠.

[3] الكواري علي خليفة ، **المواطنة الديمقراطية في البلدان العربية**،مشروعات دراسات الديمقراطية في البلدان العربية ،ط١ ، بيروت ، ٢٠٠١ ص ١١٨

[4] القاري سميحة بنت عبد الله عباس، **توظيف التقنية في الارتقاء بالمواطنة** – دراسة مقدمة في اللقاء الثالث عشر لقادة العملي التربوي السعودية ،٢٠٠٥، ص ١٢٠.

ج - العنصر السلوكي الذي يتجلى في التعبير العملي عن حقوق الوطن على أبنائه كالدفاع عن الوطن والدفاع عن المواطنين والدفاع عن حقوقهم والدفاع عن حقوق الدولة فهذه جوانب سلوكية.

إن المواطنة علاقة والتزام له صبغة قانونية وسياسية وصبغة اجتماعية ونفسية وهي صفة ينالها الفرد ليتمتع بالمشاركة الفاعلة في المجتمع الذي يعيش فيه .وللمواطنة مكونات أساسية منها، الانتماء والوجبات الحقوق، المشاركة الاجتماعية، القيم العامة [1].

ومن خلال ما تم ذكره يتضح لنا جليا معنى المواطنة مشاعر الحب والولاء و الانتماء،بما يعني حب الوطن و الأرض والفخر بالتراث والحضارة،تعبر المواطنة عن حب الفرد وإخلاصه لوطنه بما فيها الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والاعتزاز بتاريخ مجتمعه وأمته،تتجلى مظاهرها في الالتزام بالحقوق و الواجبات، واحترام القوانين والمعايير السائدة في الوطن والتوحد معه،والعمل على حمايته، والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غال ونفيس حرصاً على تماسكه ووحدته واستمرارية بقائه وسلامته.

عناصر المواطنة :

أولاً:الانتماء

يمثل الانتماء شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه وللدفاع عنه ومن مقتضياته أن يفتخر الفرد بوطنه فالانتماء هو إحساس إيجابي تجاه الوطن.

ويرتبط الانتماء بالانتساب إلى الجماعة والوطن ومؤسسات المجتمع المدني. كما ويحقق الانتماء السعادة للفرد فهو ضرورة لحياة الفرد والمجتمع،فالانتماء تحكمه الشروط العقلانية والتفكير المستنير وبذلك فهو لا يتعارض مع مصالح الفرد والجماعة والمجتمع.

ثانياً: الولاء: يعتبر الولاء اشمل وأوسع من الانتماء، إذ يتضمن الولاء في مفهومه الواسع الانتماء، فالانتماء لا يتضمن بالضرورة الولاء وقد يمتزج الولاء والانتماء حتى يصعب الفصل بينهما، فالولاء هو صدق الانتماء ولا يولد مع الإنسان وإنما يكتسبه بالتنشئة الاجتماعية والتربوية من مجتمعه. [2]

ويقصد بالولاء مجموعة المشاعر التي يحملها الفرد تجاه الكيان الذي ينتمي إليه، فعندما يشعر الفرد بأنه جزء من نظام اجتماعي ما، فإنه يدين بالولاء لهذا النظام حتى يصبح هذا الولاء مشاعر وجدانية عميقة قوية.

ثالثاً: الديمقراطية:

وتكون الديمقراطية من خلال احترام المواطنين حقوق الآخرين، والدفاع عن حقوقهم وحقوق الآخرين، وأن يمارس المواطنين حقوقهم بحرية، ويرى باتريك أن ممارسة هذه الحقوق تتمثل في ثلاثة أنواع، مهارات تفاعلية وتشمل:مهارات الاتصال والتعاون التي يحتاجها الفرد لممارسة العمل المدني والسياسي، ومهارة المراقبة (بما فيها المهارات التي يحتاجها الفرد

[1] فوزي ميهوبي،سعد الدين بوطبال، **اتجاهات الشباب الجزائري نحو المواطنة في الجزائر** ،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد ١٤ ، المركز الجامعي غليزان الجزائر، ٢٠١٤.

[2] الحبيب فهد ابراهيم ، **تربية المواطنة الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة**،جامعة الملك سعود، الرياض السعودية،٢٠٠٥،ص ٢٠١.

لمتابعة أعمال القادة السياسيين)، وأخيراً مهارات التأثير والتي تتضمن في المهارات التي يحتاجها الفرد للتأثير في نتائج الحياة السياسية والمدنية.[1]

المنهج المتبع:

إن كل دراسة أو بحث في جميع المجلات الطبيعية،الإنسانية،الاجتماعية،تستلزم تتبع منهج معين، إذ أن البحث لا يقتصر على المعلومات والبيانات فقط،بل يتعدى ذلك إلى تصنيف وتحليل وتفسير هذه المعلومات والبيانات، كتوضيح أكثر إن أي دراسة علمية تتضمن بالضرورة جانبا حول المنهج،الذي يستخدم فيه توضيح الطريقة المعتمدة في عرض النتائج المتوصل إليها،والتي سيتم الحكم عليها انطلاقا من مدى ملائمة المنهج و وسائل تطبيقه على موضوع الدراسة.[2]

فالمنهج هو مجموعة من القواعد العامة المسوغة من أجل الوصول إلى حقيقة علمية، الطريق المؤدي إلى الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد حتى يصل إلى نتيجة،وكذلك يعرف المنهج بأنه هو الطريق الذي يسلكه الباحث للإجابة عن تساؤلات مشكلة البحث.[3]

ووفقا لطبيعة موضوع هذه الدراسة اعتمد على **المنهج الوصفي**،الذي يهدف إلى معرفة أراء الطلبة حول حقوق المواطنة وواجباتها- دراسة ميدانية بجامعة ورقلة،معهد التربية البدنية و الرياضية.

العينة:

لقد تم إجراء الدراسة على عينة استطلاعية قوامها٦٠ طالباً(ذكوراوإناث) من الطور التعليمي الجامعي تخصص التربية البدنية و الرياضية بجامعة قاصدي مرباح بورقلة يوم٧/٥/٢٠١٦،و قد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية،مع ضمان تمثيل المجتمع الاصلي،حسب **الجدول** التالي:

جدول رقم (١): توزيع العينة حسب الجنس و المستوى:

العينة	العدد	التخصص	
		ليسانس	ماستر
ذكور	٤٥	٣٠	١٥
إناث	١٥	٠٩	٠٦

[1] خالد قرواني،**اتجاهات المعاصرة للتربية على المواطنة**،جامعة القدس،٢٠٠١،ص ١٣.

[2] موريس أنجرس:،**منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر،٢٠٠٤ ،ص ٠٧.

[3] –فوزي غرايبية، **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، ط3 ، دار وائل، الأردن، 2002 ،ص ٣٠.

أدوات جمع البيانات :

إذا أردنا دراسة ظاهرة ما أو معالجتها بالطريقة الإحصائية،فلابد لنا من جمع المعلومات أو البيانات الرقمية الضرورية عن هذه الظاهرة،وفي دراستنا هذه تم تصميم استبيان أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة و واجباتها الاستبيان تضمن الأبعاد التالية:المعرفي،السلوكي،الوجداني.

الأساليب الإحصائية:

بعد قيامنا بتجميع البيانات بطريقة الاستبانة تأتي الخطوة التالية،وهي عملية تجهيز البيانات و إعدادها لغايات التحليل الإحصائي ليتم الوصول إلى نتائج البحث، لقد تطرقنا إلى استخدام معامل الاختلاف t.test لحساب التساؤلات الجزئية في ظل متغيري(الجنس،المستوى الدراسي) بالإضافة إلى استخدام برنامج الحزمة الإحصائية . spss نسخة ١٩.

عرض و تحليل و مناقشة و تفسير نتائج الفرضيات:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف الجنس.

الجدول (٠٢) يوضح نتائج الفرضية الأولى

	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الفرق	درجة الحرية	ت المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة الإحصائية
الذكور	٤٥	٤١.٢٥٠	٥.٥٧٨	-.٣٥٠٠	٥٨	.٢٥٦	.٠٠٥	غير دال
الإناث	١٥	٤١.٦٠٠	٣.٥٣٠					

يشير الجدول رقم (٠٢) إلى أن عدد الطلبة الذكور هم (٤٥) طالب و المتوسط الحسابي في أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة وواجباتها هو(٤١.٢٥)،و الانحراف المعياري الذي يقدر بـ(٥.٥٧٨) أما فيما يخص عدد الطلبة الإناث(١٥) طالبة و المتوسط الحسابي يساوي(٤١.٦٠) و الانحراف المعياري يقدر بـ(٣.٥٣٠) حيث أن الفروق بين المتوسطات يساوي(-٠.٣٥) و قدرت "ت" المحسوبة بـ(٠.٢٥٦) عند درجة الحرية(٥٨) عند مستوى الدلالة(٠.٠٥) ، وهي اكبر من ت المجدولة عند ٠.٠٥ و بالتالي فهي غير دالة عند ٠.٠٥ و منه الفرضية الأولى غير محققة أي انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة وواجباتها باختلاف الجنس.

و تتفق نتيجة دراستنا مع دراسة (فوزي مهوبي،٢٠١) و التي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا في الاتجاه نحو حقوق المواطنة بين الجنسين من طلاب الجامعي حيث كانت الفروق لصالح الإناث، وبالتحديد كان الطلبة الطور أكثير تأكيدا على ضعف العدل والمساواة في الحياة الاجتماعية، زيادة على الحق في العمل والسكن، هذه تمثل هذه الأخيرة مشكلات معقدة ومتشعبة في حياتنا الاجتماعية نتيجة عدة تراكمات اقتصادية وأمنية، ويفسر شعور الطلاب الذكور أكثر من الإناث بهذه المشكلات كونهم ولاعتبارات ثقافية اجتماعية أنهم مسؤولون عن تحقيق الاستقلالية الاقتصادية وبناء الأسرة وتحقيق كل متطلباتها.

الفرضية الثانية:لا توجد فروق ذات دلالة في أراء الطلبة لحقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى (ليسانس ماستر).

الجدول(٠٣) يوضح نتائج الفرضية الثانية

	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الفرق	درجة الحرية	ت المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة الإحصائية
ليسانس	٣٩	٤١.٨٩٧	٥.١٠٨	٣.٠٨٧	٥٨	٢.٣٤٠	٠٠٠٥	دال
ماستر	٢١	٣٨.٨٠٩	٤.٤٠٠					

يشير الجدول رقم (٠٢) إلى أن عدد طلبة ليسانس هم (٣٩) طالب و المتوسط الحسابي في أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة وواجباتها هو(٤١.٨٩)،و الانحراف المعياري الذي يقدر بـ(٥.١٠) أما فيما يخص عدد طلبة الماستر(٢١) طالبا و المتوسط الحسابي يساوي(٣٨.٨٠) و الإنحراف المعياري يقدر بـ(٤.٤٠) حيث أن الفروق بين المتوسطات يساوي(٣.٠٨)و قدرت "ت" المحسوبة بـ(٢.٣٤) عند درجة الحرية(٥٨) عند مستوى الدلالة(٠.٠٥)،وهي أقل من ت المجدولة عند٠.٠٥ و بالتالي فهي دالة عند٠.٠٥ و منه الفرضية الثانية محققة أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة وواجباتها باختلاف المستوى الدراسي.حيث يعود ذالك إلى ان المستوى الدراسي لا يأثر في أراء الطلبة نحو حقوق المواطنة و واجباتها لان الطالب يكون مشبع بروح المواطنة منذ الصغر اي منذ المراحل التعليمة الأولى في حياته و هذه الروح تزداد كلما زاد مستواه الثقافي و بالتالي لا يغر المستوى في روح المواطنة للطالب.

التوصيات و المقترحات:

١ -ضرورة اطلاع المؤسسات الاجتماعية و التربوية بدورها في تنمية قيم العمل التعاوني و التطوعي في المجتمع فيما يتضمن الشعور و الإحساس بقيم المواطنة وأبعادها مثل الولاء و الانتماء و التفاني في خدمة المجتمع و الوطن .

٢ -توفير برامج وخطط لتنمية روح المواطنة في جميع المراحل التعليمية وحتى الجامعية منها.

٣ -التركيز على دور الأسرة في ضبط وتوجيه الشباب نحو تجسيد قيم المواطنة والالتزام الفعلي بها، والعمل على معالجة مشكلات الشباب والشباب الجامعي خاصة فرص العمل والعدل والمساواة وتيسير الحصول على حقوقهم.

٤ -إنشاء و تطوير المراكز الشبابية الموجودة ، و العمل على تفعيلها لتدعيم قيم المواطنة و المشاركة و التعاون بما يتضمن ترسيخ منظومة القيم الفاضلة لدى المجتمع.

٥ -إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث حول حقوق المواطنة وواجباتها.

٦ -تبني فلسفات الجامعات لقيم المواطنة الصالحة وتفعيلها نظرياً وتطبيقياً داخل مؤسساتها من خلال المؤتمرات والندوات،والمقررات الدراسية.

قائمة المراجع :

١- أبو حلو يعقوب،و مرعي توفيق ، و خريشة علي، وكايد سليم ، **مناهج وطرق تدريس الدراسات الاجتماعية** منشورات الجامعة العربية المفتوحة ، الصفاء ، الكويت، ٢٠٠٤ .

٢- خالد قرواني، **اتجاهات المعاصرة للتربية على المواطنة** ، جامعة القدس ، ٢٠٠١ .

٣- فوزي ميهوبي، سعد الدين بوطبال ، **اتجاهات الشباب الجزائري نحو المواطنة في الجزائر** ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد١٤ المركز الجامعي غليزان ، الجزائر، ٢٠١٤.

٤-فوزي غرايبية، **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية و الإنسانية**، ط3 ، دار وائل، الأردن، 2002 .

٥- موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة بوزيد صحراوي و آخرون، دار القصبة الجزائر 2004.

٦- عبد الحافظ، **المواطنة حقوق و واجبات** ، مركز ماعت للدراسات الحقوقية و الدستورية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

٧-الحبيب فهد إبراهيم ، **تربية المواطنة الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة** ، جامعة الملك سعود الرياض السعودية ، ٢٠٠٥.

٨- الكواري علي خليفة ، **المواطنة الديمقراطية في البلدان العربية** ، مشروعات دراسات الديمقراطية في البلدان العربية ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠١ .

٩- القاري سميحة بنت عبد الله عباس، **توظيف التقنية في الارتقاء بالمواطنة** – دراسة مقدمة في اللقاء الثالث عشر لقادة العملي التربوي السعودية ، ٢٠٠٥

١٠- الصبيح عبد الله ناصر ،**المواطنة كما يتصورها طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية و علاقة ذلك ببعض المؤسسات اجتماعية** اللقاء الثالث عشر لقادة العملي التربوي السعودية، ٢٠٠٥.

١١-**الموسوعة العربية السعودية** ar.awikipedia .org /wiki، ١٩٩٦.

رحلة لجوء الأمير العثماني جم في أوربا من خلال الكتابات التاريخية الأجنبية

أ.عبد الحفيظ دحدح/جامعة الجزائر٢

ملخص:

وجدت الدولة العثمانية طيلة فترة وجودها التي امتدّت حوالي ستة قرون من الزمن(١٩٢٤٢٩٩ م/ 698-1342 هـ) نفسها في مواجهة مشاكل عديدة، كان لها الوَقْعَ البالغ في التأثير على استقرار نظامها السياسي، بل وفي كثير من المرّات على وجودها وكيانها. إذ كادت الأخطار الخارجية المتزامنة مع المشاكل الداخلية الخطيرة - التي عانت منها السلطة، من فتن ونزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة – أن تعصف بالدولة وتحوّلها إلى أثر بعد عين. فحالة العداء والصراع حول السلطة في مرحلة انتقالها، كانت في كل مرّة تحملُ الأمراء المتصارعين على طلب الدّعم من الدول المجاورة. وهو ما كان يمثل فرصة تُستغل من طرف الدول المعادية المُحيطة بالدولة العثمانية، سعيا منها إلى انهاكها والتخلص من خصم لطالما كان مصدر خطر هدّد وجود دول وامبراطوريات.

الكلمات المفتاحية:الدولة العثمانية – السلطان بايزيد الثاني – الأمير العثماني جم – الصراع العثماني الأوربي.

مقدمة:

إن مسألة الصراع على السلطة،وقتل الإخوة لتجنيب البلد التمزّق،ليست سمة عثمانية صرفة - غير أن وضع قانون قتل الإخوة أضحى أحد أهم القضايا التي تُوظف للهجوم على التاريخ العثماني، فيوصف الأمراء و السلاطين بالبربرية و الهمجية- فهي ظاهرة متجذرة انتشرت في تاريخ الأسر الحاكمة منذ أن عرف التاريخ مفهوم الدولة والسلطة.إذ لم يكن الحكام يتوانون عن قتل كل من يرون فيه منافسا يهدد سلطتهم.

مع مرور الوقت تحوّلت هذه الظاهرة إلى تقليد مُقرّر، ثم إلى قوانين وتشريعات تسهر على تأمين انتقال السلطة بشكل سلمي، وصيانة الدولة من خطر الانحراف إلى أُتون التنازع والتنافس الذي يقود إلى الضعف والاندثار. ولهذا السبب كانت مشكلة وراثة العرش من أخطر المسائل التي أرّقت السلطة العثمانية. وتُمثل حالة الصراع التي نشبت بين السلطان بايزيد

الثاني والأمير جم أحد أشهر صور هذا التنافس على العرش، أدت إلى لجوء الأمير إلى أوربا، حيث عاش محنة المنفى، وتحول إلى وسيلة للابتزاز والمساومة[1].

أولا: تمرد الأمير جم وهروبه إلى مصر:

يمثل الصراع الذي نشب بين السلطان بايزيد الثاني[2]وأخيه الأمير جم[3] أحد أبرز المحطات التي هددت كيان الدولة العثمانية، إن لم نقل أخطرها على الإطلاق[4] خلال العهود الأولى من تاريخها.فقد استفحلت مشكلة تولّي العرش في أواخر أيام السلطان محمد الثاني،إذ أنه لم يقرر من سيخلفه بعد وفاة ولي عهده الأمير مصطفى[5].

عند وفاة السلطان محمد الثاني في ٣ ماي١٤٨١ م (٤ ربيع الأول٨٨٦ هـ)،أرسل الصدر الأعظم محمد باشا القرماني يُلحُ على الأمير جم للحضور إلى استانبول لتولي العرش بدلا من أخيه[6].غير ان خُصومه من الإنكشارية أوقفوا الرسول وعمدوا إلى قتل الصدر الأعظم[7]، وأعلنوا عن الأمير بايزيد سلطانا للدولة[1]،ونصبوا الأمير كركود ابن بايزيد سلطانا إلى حين وصول والده

---

[1] إن اختيار هذا الموضوع ليكون محل تفتيش وتنقيب لم يكن سوى حصيلة قراءات بحثية خاصة في مجموعة من الكتب الأجنبية حول االتاريخ العثماني، وتصادف أن وجدت فيها الكثير من التفاصيل التي غابت عن الكتابات العربية القديمة والحديثة التي تناولت محنة الأمير العثماني جم في المنفى و وفاته الغامضة، حتى أنها تحولت إلى مجال خصب للكتابات الأدبية المفعمة بعواطف مثيرة فيها الكثير من المبالغة والخيال . هذا إلى جانب مساعي دول أوربا لاستخدام الأمير في مُساومة السلطة العثمانية. فارتأيت الاستعانة بهذه الكتابات لإثراء مكتبتنا العربية في هذا الموضوع . ولكن يجب هنا التنبيه إلى أن هناك اختلافات جمّة بين هذه الكتابات حول الوقائع الخاصة بالموضوع، وأيضا تواريخ هذه الوقائع.

[2] بايزيد الثاني(١٤٤٨-١٥١٢م): سلطان عثماني، حكم في الفترة (٨٨٥-٩١٧هـ / ١٤٨١-١٥١٢م)، ابن السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية، ولاّه والده صغيرا على أماسيا في وسط الأناضول . شارك في حملات الدولة على الحدود ضد أوزون حسن صاحب دولة الآق قوينلو التركمانية، و انتصر عليه. أنظر :

Gábor Ágoston and Bruce Masters, **Encyclopedia of the Ottoman Empire**, New York 2009, p 82.

[3] الأمير جم (1459-1495م): أمير عثماني، ابن السلطان محمد الثاني . في ١٤٧٤م أرسله والده إلى قونية ليكون حاكما على مقاطعة قرمان خلفا لأخيه ولي العهد المتوفي مصطفى. عُرف جم في أوربا خصوصا لدى المؤرخين الفرنسيين باسم (Zizim)، على رغم ان هذا التسمية لا تحمل أي معنى في الوقائع التاريخية التي أحاطت بقصة لجوءه. أنظر:

Les Cahiers De la Commanderie, **"DJEM, le sultan exilé"**, Etude Speciale N°7, Annee 2010 p 2; Gábor Ágoston and Bruce Masters, op.cit, p 129.

[4] واجهت الدولة العثمانية خطر الانقسام بعد الهزيمة التي مُني بها السلطان بايزيد الأول (يلدرم) في معركة أنقرة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م على يد القائد المغولي تيمورلنك. تمزقت على إثرها الدولة العثمانية بين الأبناء، و انفصل الأناضول عن البلقان، وبقي الحال كذلك حتى تمكّن محمد الأول أحد أبناء السلطان بايزيد الأول – والذي حمل لقب جلبي – من إعادة توحيد الدولة و إنقاذها من الاندثار.

[5] J. de Hammer, **Histoire de l'Empire ottoman, depuis son origine jusqu'à nos jours**, t3, Bellizard-Barthes-Dufour-Lowell, Paris, sdé, p 182.

[6] M. J.-M.Jouannin et M.Jules Van Gaver, **Turquie**, Firmin Didot frères, Paris, 1840, p 94;Gábor Ágostonand and Bruce Masters, op.cit, p 83; Artvs Thomas, **L' Histoire de la décadence de l'empire grec et établissement de celui des Turcs**, t 1, Iean Berthelin, Aroven, sdé, p 264.

كان السلطان محمد الثاني و وزيره محمد باشا القرماني يرغبان في تولية الأمير جم العرش، بعد ان تعوَّد الأمير على خلافة والده في ق يادة الدولة كلما تنقل بالجيش للقيام بحملات على الحدود ، وحينها كان الأمير يتصرّف كالسلاطين . هذا زيادة على أنه دخل عنوةً – بعيد وفاة والده – مدينة بورصة العاصمة العثمانية الأولى ، وأُعلن عنه سلطانا، و ضرب العملة باسمه . و هي دلالات جعلته يتعلّق بالسلطة، ويرى نفسه أحق بالعرش من أخيه، خصوصا وأنه لم يكن هناك قانون ينظم انتقال العرش و يحدده في أكبر أولاد السلطان. أنظر:

Halil Inalclk, **The Middle East and the Balkans under the Ottoman Empire**, volume 9 Bloomington, sdé, p 344-345.

[7] A.de Lamartine, **Les grands hommes de l'Orient: Mahomet,Tamerlan, le sultan Zizim** Librairie Internationale, Paris, 1865, p 307.

إلى عاصمة الدولة[2]. وعندما بلغت هذه الأخبار الأمير جم، توجّه صوب بورصة و أعلن عن نفسه سلطانا، فأصبح للدولة سُلطانان، جم في آسيا و بايزيد الثاني في أوربا[3].

أدرك الأمير بأن فرصته في التغلب على أخيه ضعيفة، فعرض عليه اقتسام الدولة بينهما، فيكون له شطرها الشرقي الآسيوي، والجزء الغربي الأوربي للسلطان بايزيد الثاني، وعرض الأمر على عمة والده محمد الثاني التي كانت موجودة في بورصة، وطلب منها التوسط لإقناع السلطان بفكرته[4].فانتقلت إلى إستانبول وعرضت الأمر على بايزيد الثاني لكنه ردّ بالرفض قائلا:" **إن الملوك ليس لهم آباء**"[5].

التقى الشقيقان في معركة يني شهر (**Yeni-Chèhir**)[6] في ٢٠ جوان سنة ١٤٨٢م[7] (22 ربيع الثاني ٨٨٦ هـ)،و انتصر بايزيد الثاني،فتوجه الأمير جم إلى قونية حيث والدته و أسرته و لجأ إلى مصر، حيث استقبله السلطان المملوكي قايتباي استقبال الملوك،وعامله كابن له[8].

ترك جم أسرته في القاهرة وسافر لأداء فريضة الحج،[9] فبدأ رحلته - برفقة شقيقته[10]- بزيارة القدس ثم مكة والمدينة[11]، ودامت رحلته مدة عامين، تخفّى أثناءها الأمير في زي بدوي خوفا على حياته، إلى أن عاد إلى القاهرة في فيفري ١٤٨٣ م (٢٩ ذو الحجة ٨٨٧ هـ)[12].

قرّر الأمير جم المكوث في مصر بعد ان سلّم بهزيمته، خصوصا أنه كان يملك من الأموال ما يكفيه للعيش[13]. لكن أتباعه وأنصاره في مقاطعة ولايته السابقة قرمان - وعلى رأسهم قاسم بك ابن ابراهيم القرماني الصدر الأعظم المقتول و الذي تحصّن في جبال طوروس (**Taurus**) بعد هزيمة يني شهر، ومحمود بك الإنكشاري السابق في جيش محمد الثاني وحاكم أنقرة- كانوا يُلحون على الأمير للعودة لاستئناف معركة العرش ضد السلطان بايزيد الثاني[14].

زيادة على التأييد الذي كان وعد به الأنصار في الأناضول،أبدى المماليك موقفا مساندا للأمير جم[15]، و وعدوه بالمساعدة انطلاقا من سوريا. فخرج الأمير تاركا أسرته في القاهرة متوجها إلى حلب حيث اجتمع أنصاره من أمراء الإنكشارية و الناقمين

---

[1] M.alfred de Bougy, **"Un prétendant turk au xv° siècle: Le prince djem"**, revue contemporaine, 2éme série, t 28, 11ème Année, Paris, 1862, p 766; Gábor Ágoston and Bruce Masters, op.cit, p 83.
[2] Jouannin, Joseph-Marie et Van Gaver, op.cit, p 94.
[3] J. de Hammer, op.cit p 103.
[4] A. de Lamartine, op.cit p 320.
[5] Ibidem, p 321.
[6] Jouannin, Joseph-Marie et Van Gaver, op.cit, p 94.
[7] M.alfred de Bougy, op.cit, p 787.
[8] Ibidem, p 768.
[9] يعتبر الأمير جم هو الوحيد مع شقيقته اللذان أديا فريضة الحج من آل عثمان. أنظر: J. de Hammer, op.cit, p 104.
[10] Jouannin, Joseph-Marie et Van Gaver, op.cit, p 95.
[11] A. de Lamartine, op.cit, p 324.
[12] J. de Hammer, op.cit, p 104; A. de Lamartine, op.cit p 325.
[13] A. de Lamartine, op.cit, p 326.
[14] J. de Hammer, op.cit, p 105.
[15] شهد عهد السلطان بايزيد الثاني توترا في العلاقات مع دولة المماليك خصوصا بعد لجوء الأمير جم إليها، لكن هذه العلاقات سرعان ما تح سّنت مع ظهور التهديد البرتغالي، حيث أرسل العثمانيون في ٩١٧ هـ / ١٥١١ م مدافعا و ضباطا من البحرية إلى المماليك لمساعدتهم في مواجهة البرتغاليين . وللمزيد حول تأثير لجوء الأمير جم على العلاقات بين السلطة العثمانية و المماليك . يُراجع: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط ١، دار النفائس ١٩٨١، ص ١٨٠؛ الميرالاي اسمعيل سرهنك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تقديم ومراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٦؛ يلماز اوزتونا، **تاريخ**

على حكم السلطان بايزيد الثاني.وفي٦ ماي١٤٨٣ م (28 ربيع الأول٨٨٨ هـ) التقى الأمير بهم، و قادهم صوب الأناضول حيث وجدوا تأييدا كبيرا من لدُن السكان[1].

تلقى أحمد باشا قائد جيوش السلطان بايزيد الثاني في قرمان هزيمتين على يد جيش الأمير جم بالقرب من قونية التي حوصرت،لكنها صمدت بعد أن انسحب محمود باشا من جيش جم عائدا إلى أنقرة لنجدة عائلته من زحف قوات السلطان،لكنه قُتل في طريق عودته،قُطع رأسه و أُرسل الى السلطان بايزيد[2].

أُجبر الأمير جم على الانسحاب إلى جبال طوروس ليحتمي بها من جيش أخية المتفوق، و جرى تفاوض بين الطرفين. طلب الأمير التنازل له عن إمارات آسيا، فردّ عليه السلطان قائلا:" **إن الإمبراطورية تُشبه الخطيبة التي لا يمكن أن تكون لرجلين اثنين، و إني على استعداد للموت لحمايتها**"[3].وعرض السلطان على أخيه مبلغ ٢٠.٠ أقجة مقابل خروجه من الدولة، لكن الأمير رفض. فبدأ جنود بايزيد في تسلق الجبال لملاحقة جم و أتباعه إلى أن حاصروهم في الخليج المُطل على رودس، و حينها اقترح قاسم بك على الأمير الهروب إلى رودس[4].

ثانيا: رحلة اللّجوء في رودس:

أوفد[5] الأمير أحد أخلص أتباعه سليمان باشا إلى حاكم رودس بيير دوبوسون (**Pierre d'Aubusson**)[6] يطلب منه استقباله[7]،غير أنّه أُسر من قبل جنود السلطان و كشفت الرسائل التي كانت معه عن نية الأمير في الهروب، فكثفوا البحث عنه[8].و عندما يئس الأمير من رجوع سليمان باشا، قام بإرسال رسولين للتفاوض مع حاكم رودس،و الذي رحّب

الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود، مراجعة و تنقيح محمود الأنصاري، مج ١، مؤسسة فيصل للتموين، استامبول، ١٩٨٨، ص ٢٣١. غير أن هناك من يورد موقفا آخرا لسلطان مصر قايتباي الذي خشي من حرب مع السلطان العثماني إن هو ساعد الأمير جم، فحاول التوسط بين الأخوين، وبقي الأمير أربعة أشهر في القاهرة ينتظر نتائج الوساطة التي كان مآلها الفشل. أنظر: M.alfred de Bougy, op.cit, p 768.

[1] J. de Hammer, op.cit, p 106.

[2] Ibidem, p 107; A. de Lamartine, op.cit, p 330.

[3] Ibidem. p 107.

[4] خلال فترة حكم السلطان محمد الثاني، كان الأمير جم قد تولّى التفاوض مع حكام رودس لتوقيع معاهدة سلام، فالتقى لمرات كثيرة بسفرائهم فأصبح فرسان الجزيرة يعرفون الأمير معرفة جيدة. ويبدو ان هذه العلاقة هي التي أدّت إلى اختيار روس للهروب، زيادة على قربها من منطقة تواجد الأمير. أنظر: J. de Hammer, op.cit, p 108.

[5] لمطالعة رسالة الأمير إلى حاكم رودس. يُراجع: M.alfred de Bougy, op.cit, p 770.

[6] بيير دوبوسون: من أسرة فرنسية نبيلة، التحق بفرسان القديس يوحنا في ١٤٥٣ م (٨٥٦ هـ)، ثم أصبح قائدا لهم و حاكما لرودس منذ ١٤٧٦ م (٨٨٠ هـ). واجه الحصار العثماني للجزيرة سنة ١٤٨٠ م. قبل عامين من وفاته، فشل في حملة صليبية كبرى نظمها ضد العثمانيين .أنظر الموسوعة البريطانية:
Encyclopaedia Britannica, www.britannica.com/EBchecked/topic/42443/Pierre-d-Aubusson , 11/08/2014 22h; BIbliothéque Nationale, **Portraits Peints et Dessinés du XIIIE AU XVIIE SIÈCLE**, AVRIL-JUIN 1907, 2ème édition, Librairie Centrale Des Beaux-Arts, Paris, 1907, p 38.

7 Guy Sommi Picenardi, Itinéraire d'un chevalier de Saint-Jean de Jérusalem dans l'île de Rhodes, Desclée de Brouwer et Cie (Lille) ,1900, p 19.
يصف هذا المؤرخ (Guy Sommi Picenardi) الأمير جم بالمسلم البربري الذي لا يُحسن التصرف، و تحكّم على طريقته في الأكل و الجلوس،و أنه يفتقد إلى الذوق في الموسيقى، وأنّ وجوده في رودس كلّف الكثير من المال . كما ذكر بأنه ارتبط بعلاقة عاطفية مع أميرة روذسية غير أنه لم يستطع تزوجها لرفضه التخلي عن دينه . أنظر الكتاب، ص ص ٧٩-٨٧.

8 A. de Lamartine, op.cit, p ١٠٩.

باستضافة ابن أكبر أعداء رودس السلطان محمد الثاني[1]،رغبة منه في الاستفادة منه في مواجهة السلطان بايزيد الثاني.فخرجت سفن من ميناء رودس متجهة إلى ساحل قيليقية (Cicilie) جنوب الأناضول واستعمل الأمير مع بعض أتباعه زورقا للوصول الى السفن. و اثناء تنقله كتب رسالة إلى أخيه و قذف بها نحو الشاطئ فالتقطها جنود السلطان.

ورد في الرسالة[2] ما نصّه:" **إن الله و رسوله يشهدان على أنك أجبرتني على اللّجوء إلى المسيحيين بعد أن منعت عني حقوقي في الدولة...و لإنقاذ حياتي لجأت إلى فرسان رودس ألدّ خصومنا، فلو أن والدنا علم بأنك ستفعل ما فعلت لخنقك بيديه**"[3].وعندما قرأ السلطان الرسالة، أدمعت عيناهُ، و سأل قائلا:" **لماذا سلّم نفسه للمسيحيين و ليس لي؟** "[4].و استقبل الأمير في رودس بحفاوة، و أُقيمت له الاحتفالات[5]، وأُعجب فرسان رودس من إتقانه للّغتين الإيطالية و اليونانية،واللّتين كان قد تعلمهما في بلاط والده محمد الثاني[6].

لم يكن في نية الأمير المكوث في رودس،بل كان يخطط للعبور إلى أوربا ليستعين بالمجريين لاستئناف معركة العرش.ولتحقيق مُراده،وقّع مع حاكم رودس اتفاقية سرّية التزم فيها- إن هو نجح في تولي عرش الدولة العثمانية - بفتح جميع الموانئ العثمانية لأساطيل رودس، و إطلاق سراح ٣٠ مسيحي سنويا دون مقابل[7]. زيادة على ذلك يدفع الأمير مبلغ ١٥٠.٠٠٠ أوقجة لقاء استقباله في رودس و حمايته.[8] و في نفس الوقت كان حاكم رودس يُفاوض السلطان بايزيد الثاني حول مصير الأمير عن طريق رسولين يونانيين. ونتج عن التفاوض التزام حاكم رودس بإبقاء الأمير عنده حتى الموت و عدم تسليمه إلى أي دولة مسيحية في أوربا، مقابل ٤٥.٠ أوقجة سنويا[9]،فقرّر الحاكم ترحيله إلى فرنسا.

استطاع دوبوسون- بعد أن تلقى مراسلات من البابا إنوسنتيوس الثامن (**Innocent VIII**)[10] يُلح عليه لتسليم الأمير - إقناع الأمير بأن وجوده في رودس القريبة من أراضي الدولة العثمانية يمثل خطرا على حياته، وأنه بمقدور غريمه السلطان بايزيد الوصول إليه لقتله عن طريق جواسيسه، وإذا أراد تحقيق أمله في العرش عليه بالسفر إلى أوربا و الاستعانة بملوك المجر و فرنسا و إسبانيا و بابا روما الذّين دأبوا على تسيير حملات عسكرية بصبغة دينية ضد آل عثمان. فاقتنع الأمير بما عُرض عليه، واقترح هو ترحيله إلى البندقية، ومنها يستطيع الانتقال إلى المجر عن طريق ألمانيا[11].

---

1 Ibidem, p 110.

حاصر العثمانيون جزيرة رودس في عهد السلطان محمد الثاني في 1480 م (٨٨٥ هـ) لمدة ثلاثة أشهر. وبسبب تحصيناتها و استماتة سكانها في الدفاع عنها، فشل الحصار و تراجع العثمانيون.وقد تولى التفاوض مع حكام رودس الأمير جم بتكليف من والده.أنظر:

Arkstée;Merkus, l'Histoire de l'Ordre de S. Jean de Jerusalem, t28, Arksée et Merkus, Amstrdam, sdé, p 42.

[3] A. de Lamartine, op.cit, p 111.

لمطالعة رسالة الأمير كاملة. يُراجع:.M.alfred de Bougy, op.cit, p771

[4] A. de Lamartine, op.cit,p ١١١-112.
[5] Guy Sommi Picenardi, op.cit, p 67.
[6] A. de Lamartine, op.cit,p 113.
[7] Arkstée;Merkus, op.cit, p 49-50.
[8] A. de Lamartine, op.cit, p 114.
[9] Gábor Ágoston and Bruce Masters op.cit, p 129; A. de Lamartine, p 114-115; Arkstée;Merkus op.cit, p 50.

[10] إنوسنتيوس الثامن: تولى البابوية في الفترة ١٤٨٤–١٤٩٢م (888– 897هـ). انظر:

Encyclopaedia Britannica, www.britannica.com/EBchecked/topic/288686/Innocent-VIII , 26/09/2014, 08h.

[11] A. de Lamartine, op.cit, p 117-118.

ثالثا: رحلة اللجوء في فرنسا:

في ١ سبتمبر ١٤٨٣ م[1] (28 رجب ٨٨٨ هـ) أبحر الأمير جم صوب أوربا برفقة بعض أنصاره، تحت حماية شقيق دوبوسون. و بعد ستة أسابيع وصل إلى ميناء نيس(Nice) جنوب فرنسا، وعندما استفسر الأمير عن تغيير وجهته من البندقية، ذكروا له بأنّ عليه طلب الإذن من حاكم نيس للخروج منها، فأرسل جم رسولا لهذا الغرض، غير أن مرافقي الرسول من الجنود الرودسيين اختفوا وتركوه لوحده[2].

بقي الأمير ينتظر عودة رسولة لمدة أربعة أشهر في نيس، وعندما أخذ وباء الطاعون ينتشر في المدينة[3]، قرّر فرسان رودس نقله إلى داخل فرنسا. وفي الطريق أحاط بموكبه فرسان ملثمون أسروا مرافقي الأمير الأتراك و أرجَعُوهُم إلى نيس ليَتِمّ ترحيلهم الى رودس[4]،ولم يبق برفقة الأمير من الأتراك سوى اثنان او ثلاثة من أتباعه[5].

بعد رحلة شاقة حلّ الأمير بقرية روسيون (Roussillon) جنوب فرنسا،وبلغت السلطان بايزيد أخبار وجود شقيقه في فرنسا، فأرسل إلى شارل الثامن[6] يطلب منه ُالاحتفاظ بالأمير عنده،ولا يُسلمه إلى الأعداء، مُبديا استعداده للسلام مع فرنسا ومساعدتها ضد خصومها في أوربا،وتسليمها القُدس بعد افتكاكها من المماليك[7]،كما حذّرُه من أي تحالف قد يُقدم عليه مع الأمير جم لزعزعة سلطته، و توعده بحلف يُقيمه مع المماليك لاكتساح كل البلاد المسيحية[8].

بدأ دوبوسون حاكم رودس يشعر بأن الأمير جم سيضيع من بين يديه، وهي خسارة استراتيجية سوف تُكلفه سياسيا، سواء مع السلطة العثمانية أو مع ملوك وأمراء أوربا، فأوعز إلى فرسانه بإخفاء الأمير عن الأنظار عن طريق التنقل به من مكان الى آخر. واستمر هذا الحال على مدار ثلاث سنوات١٤٨٧١٤٨٩م (892-894 هـ)، إلى أن استقر الموكب في قصر بورقوناف (**Bourgneuf**) غرب فرنسا، وهو القصر الذي وُلد فيه حاكم رودس، و تسكنه شقيقته حينها[9]. في جانب آخر، اتصل دوبوسون بأم الأمير و زوجته - المقيمتين في مصر – و طلب مبلغ ٢٦٠ دوكات لقاء إعادته الى القاهرة، فوعد بالبحث عنه في أوربا و تسفيره الى مصر[10].

---

[1] Guy Sommi Picenardi, op.cit, p 68.
[2] A. de Lamartine, op.cit, p 119-120.
[3] Étienne Michel Masse, **Histoire du Pape Alexandre VI, et de César Borgia**, Jules lefebvre et compagnie, Paris,1830 p 388;M.alfred de Bougy, op.cit, p 773.
[4] لم تكن الصدفة هي التي أدّت إلى هذه الواقعة، إذ يبدو أن المخطط كان يقضي بالتخلص من رفاق الأمير الاتراك حتى لا يكونوا عبئا على فرسان رودس و مُضيّفيهم من الفرنسيين، و أيضا لتسهيل تدبير نقله و حجبه عن الاطراف التي كانت تتربص به ليكون أداة لمساومة السلطان العثماني.
[5] A. de Lamartine, op.cit,p ١٢٠.
[6] شارل الثامن : ملك فرنسا، تولّى العرش في الفترة ١٤٨٣-١٤٩٨ م (887-903 هـ)، اهتم كثيرا بإيطاليا وخاض فيها سلسلة من الحروب . أنظر: Encyclopaedia Britannica,www.britannica.com/EBchecked/topic/107175/Charles-VIII,05/10/2014,17h; Librairie Centrale des Beaux-Arts, **Exposition de portraits peints et dessinés du XIIIe au XVIIe siècle** : avril-juin 1907, Émile Lévy, Paris, 1907, PP 40-43.
[7] Halil Inalclk, op.cit,p ٣٤٧.
[8] Ibidem, p ٣٤٧.
[9] A. de Lamartine, op.cit, p 126-127.
[10] Ibidem, p 128; Étienne Michel Masse, op.cit, p 392.

رابعا: رحلة اللجوء في روما:

تعرّض دوبوسون إلى حملة شرسة من الضغط من طرف القوى الأوربية لتسليم الأمير[1]، فقرّر التخلي عنه لفائدة البابا - وحين بلغ هذا الخبر إلى السلطان بايزيد اعتبر ذلك مُؤشر على بداية حملة صليبية، فأرسل إلى حاكم رودس مُحتجا على عدم التزامه بما اتفقا عليه[2] - فخصّص الملك شارل الثامن فرقة عسكرية ترافق الأمير إلى روما[3]، و الذي وصلها في ٢١ فيفري ١٤٨٩ م (20 ربيع الأول ٨٩٤ هـ)، و استقبله ابن البابا إنوسنتيوس الثامن و سفراء دول أوربا. و عندما دخل الأمير على البابا رفض أن ينحني أمامه، وقبّل كتفه على عادة الأتراك عندما يُعاملون أندادهم، ثم طلب منه السماح له بالعودة إلى أسرته في مصر[4]،لكن البابا تذرّع بأنه يخشى من غضب ملوك و أمراء أوربا إن هو أطلق سراحه، غير أنه بدلا من ذلك عرض عليه اعتناق المسيحية ليحقق رغبته، فردّ عليه الأمير بعزم و حسم قائلا: **"إنّ مُلْكَ العالم كلّه لن يكون قادرا على إغْوَاءه لترك دينه"**[5]

بقي الأمير في الفاتيكان ثلاث سنوات ينتظر إتفاقا بين ملوك أوربا لحشد الجيوش ضد السلطان العثماني، الذي أوفد مصطفى باشا إلى روما للتفاوض حول مصير الأمير، و عرض ٤٠.٠٠٠[6] دوكات سنويا، فقام البابا إنوسنتيوس بسجن الأمير تنفيذا للاتفاق[7] و تعهّد بمنع جم من الوصول إلى الأراضي العثمانية، و منْع أي مُسلم من مُقابلته.ثمّ سمح البابا للرسول العثماني بمُلاقاة الأمير[8] الذي أخبره عن شوقه إلى الوطن و شعوره بالندم، طالبا الصفحَ من أخيه الأكبر[9].

من ناحية أخرى انخرط المماليك في هذه النافسة للظفر بالأمير بُغية استخدامه ضد العثمانيين بعد الحرب التي اندلعت بين الطرفين سنة ١٤٤٩ م (848هـ)،وعرضوا مبلغ ١٠٠.٠٠٠ دوكات،و المشاركة في الحملة التي أقرّها البابا ضد العثمانيين[10]،لكن جهودهم باءت بالفشل.و في هذه الأثناء توفي البابا ١٤٩٢ م (897 هـ)، و خلفه ألكسندر السادس[11]،فأرسل السلطان رسوله مصطفى باشا مرّة اخرى إلى روما مُحمّلا برسالة[12] إلى البابا الجديد.

ذكر السلطان في رسالته بأنه يرغب في التخلص من شقيقه،و يعرض على البابا المال،و يتعهّد بتحقيق كل رغباته و بحماية المسيحيين في بلاده.و لاستكمال التفاوض،أرسل البابا رئيس التشريفات في الفاتيكان إلى استانبول، والذي اقترح على السلطان سجْن الأمير طيلة حياته مقابل ٤٥.٠ دوكات،تُدفع سنويا حتى موت الأمير، أو مبلغ ٣٠٠.٠ دوكات لِقاءَ قتل الأمير و تسليم جثته.و اختار السلطان الاقتراح الأول.

---

[1] Étienne Michel Masse, op.cit, p 393.
[2] Halil Inalclk, op.cit,p ٣٤٥.
[3] Étienne Michel Masse, op.cit, p 395.
[4] Ibidem, p 397.
[5] A. de Lamartine, op.cit,p 132.
[6] Ibidem, p132.

تذكر مصادر أخرى أن المبلغ كان ٣٠.٠٠٠ دوكات. أنظر على سبيل المثال:. Arkstée ; Merkus, op.cit, p 52

[7] Arkstée ; Merkus, op.cit, p 52.
[8] R.Cte de Maricourt, **Le procès des Borgia :considéré au point de vue de l'histoire naturelle et sociale**, Librairie H. Oudin Editeur, Paris, 1882, p 264.
[9] Halil Inalclk, op.cit,p ٣٤٣.
[10] Halil Inalclk, op.cit,p 348.

[11] ألكسندر السادس: اسمه الحقيقي هو رودريك دي بورجا، تولى البابوية في ١٤٩٢ م،عُرف بفساد أخلاقه و كثرة المؤامرات و الدسائس التي كان يُحيكها ضد خصومه. أنظر: A. de Lamartine, op.cit,p 134-135.

[12] لمطالعة الرسالة كاملة–وهي مقتبسة من النص الأصلي الموجود في أرشيف الفاتيكان– يُراجع: A. de Lamartine, op.cit,p 135-136.

وقفت في وجه هذا الاتفاق الحملة العسكرية التي قادها شارل الثامن ضد ملك نابولي حليف البابا ألكسندر السادس، و أُجبر هذا الأخير على تسليم أسيره إلى الملك الفرنسي[1] الذي كان ينوي اتخاذ الأمير أداة في مُخططه لمهاجمة العثمانيين[2]، و في الطريق إلى نابولي توفي الأمير جم في٢٤ فيفري١٤٩٥ م[3] (28جمادي الأول ٩٠ هـ)، و عمره ٣٣ سنة[4].

بعث السلطان بايزيد سفارة إلى نابولي لنقل جثمان أخيه ليُدفن في بورسة. في حين كلّف ملك فرنسا أحد الأتراك من أتباع الأمير ليحمل أغراضه الشخصية إلى أسرته في مصر[5]. وهكذا انتهت حياة ابن السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية، فقد كان ضحية تلاعب فرسان رودس،و أداة للاحتيال و المُتاجرة، ثمّ أسيرا لدى البابا في روما، و من بعده ملك فرنسا.

خامسا: من قتل الأمير جم؟

الرأي الأول:يذهب أصحابه إلى أنّ البابا ألكسندر هو من أوعز إلى أحد رجاله بالدخول إلى مُعسكر الملك الفرنسي لقتل الأمير عن طريق موس حلاقة مسمومة[6]، وهذا باتفاق مع السلطان بايزيد مقابل ٣٠٠٠٠ دوكات. لكن هذه القصة لا تستقيم، لأن الأمير لا يمكنه ان يُسلّم رأسه لرجل أجنبي، و كان معه في سجنه خدما أتراكاً من أخلص أتباعه، وبمقدور أيّ منهم أن يقوم بهذه المُهمة. كما أنّ هناك من ينفي هذا التواطؤ بين البابا و السلطان، ويُصر على أنّ المسؤول عن القتل هو ألكسندر- بمعاونة ابنه سيزار بورجا (**Sezar Borgia**)[7] - الذي أراد ان ينتقم من غريمه الملك الفرنسي، بحرمانه من جَني ثمار وجود الأمير في حملته العسكرية المقررة ضد العثمانيين، فقام ابنه بدسّ مادة بيضاء تشبه السكر في طعام الأمير[8].

الرأي الثاني:تُجمع الكثير من الكتابات التي تناولت هذا الموضوع -لا سيما العربية منها[9]- أنّ قتل الأمير تمّ بتخطيط و أمرٍ من السلطان بايزيد الثاني،حيث تذكر بأن السلطان أرسل أحد عبيده - و اسمه مصطفى - في زي حلاق و دخل على جم الذي سأله عن صنعته،فقال حلاق،فحلق له بمُوس مسمومة. ولكن هذا الاسم (مصطفى) هو لأحد أشهر السياسيين المفاوضين في البلاط العثماني في عهد محمد الثاني و خليفته بايزيد الثاني[10]. هذا إلى جانب استحالة تسلل هذا الرجل - الحلاق العثماني- إلى مكان احتجاز الأمير بسبب الحراسة المشددة عليه، لما يمثله بالنسبة للبابا آنذاك، فقد تحوّل بفضل رهينته إلى مركز القوة الأول في أوربا. بالتالي تفتقد هذه الرواية التاريخية إلى الأسانيد التي يمكن البناء عليها في تحقيق الواقعة المُثارة. زيادة على ذلك هناك من يذكر بأن شخصا اسمه مصطفى - حاجب قصر السلطان بايزيد - هو الذي حمل معه السُم ودخل به إيطاليا بالاتفاق مع الملك شارل الثامن[11].

---

[1] Étienne Michel Masse, op.cit, p 404.
[2] Halil Inalclk, op.cit,p 344.
[3] A. de Lamartine, op.cit,p ١٤٢.
[4] Étienne Michel Masse, op.cit, p 407.
[5] Ibidem, p 143.
[6] Étienne Michel Masse, op.cit, p 406; Halil Inalclk, op.cit, p 344.
[7] A. de Lamartine, op.cit, p ١٣٩.
[8] R.Cte de Maricourt, op.cit, p 268-269.
[9] أنظر على سبيل المثال :أبو السرور البكري الصديقي، **المنح الرحمانية في الدولة العثمانية**، ص ١٤؛ مجهول، **جواهر السلوك في تواريخ الخلفاء و الملوك**، ص ١٩٩.
[10] A. de Lamartine, op.cit, p ١٤٠.
[11] Antoine Varillas, **Histoire de Charles VIII**,Claude Barbin,sé, Paris.sde, p ٣٤٤.

سادسا: محنة الأمير جم في الكتابات الأدبية الأوربية:

تحولت محنة اللجوء التي عاشها الأمير الى مصدر للكتابات الأدبية الرومانسية التي انتعشت في فترة النهضة الأوربية.فقد ترك الأمير جم لدي العديد من الأدباء في أوربا صورة الرجل الرومانسي البطل التي تداخلت مع صور من الخيال و الأسطورة.ومازالت قصته تُحكى إلى اليوم لزوار برج جم (**La tour Zizim**) حيث أقام في فترة اللجوء بفرنسا،وكانت له فيه قصص عاطفية، التي يبدو أنها قصص في أغلبها مزعومة، أو أنها امتزجت بكثير من الخيال الرومانسي.فقد ألّف أرنود فكتور (**Arnaud Victor**) مجموعة قصصية تتحدث عن الحياة التي قضاها الأمير جم في فرنسا حتى سفره إلى روما و وفاته الغامضة،ومعاناته في المنفى و شوقه الى بلاده، و قصة غرام نسجت بين الأمير و فتاة مسيحية اسمها هيلين (**Philipe Hélène**) التي ساعدته في محاولاته المتكررة للهروب[1].

أما أشهر الكتابات الأدبية التي تعرضت لمحنة الأمير جم، فهي كتابات الأديب و الشاعر الفرنسي فكتور هيجو (**Victor Hugo**)[2]، ففي روايته لوكريسيا بورجيا[3] (**Lucrèce Borgia**) يذكر بأن البابا ألكسندر أقنع الأمير جم بشرب السُم- الذي أحضره له سفير بايزيد - على أنه ترياق، وأكد له ان الملك شارل الثامن قد دسّ له السُم عند لقاءهما في روما.و حيث أن ظاهرة القتل بالسُم كانت منتشرة في فترة النهضة الأوربية، فقد استخدم الكاتب قصة الأمير للتعبير عن الفساد الذي انتشر في عهد البابا ألكسندر السادس.كما تطرّق فكتور هيجو إلى مأساة الأمير جم في ملحمتة الشعرية أسطورة القرون (**La Légende des siècles**)[4].

خاتمة (استنتاجات):

- أثرت أزمة الأمير جم على فترة حكم السلطان بايزيد الثاني،إذ جعلت الفتوحات العثمانية تنكفئ، لتحُلّ محلها فترة السِّلم مع أوربا.فوجود الأمير جم رهينة لدى القوى المسيحية،جعل السلطان يخشى من حملة أوربية يُرافقها الأمير الذي كان بمقدوره تحريك السكان في المناطق التي والَتْه في الأناضول.و ينتج عن كل ذلك تنصيب الأمير جم سلطانا.

- إن انشغال السلطان بايزيد بالفتنة التي نتجت عن تمرّد أخيه وهروبه إلى أوربا،جعلت موقفه يتسمُ بالتردد و اللين والمهادنة في المعركة المذهبية التي فرضها إسماعيل الصفوي،رغم تمادي هذا الأخير في التحرش بالدولة العثمانية،و إثارته القلاقل، و دعم حركات التمرد في الأناضول.

- إنّ تشابك المصالح أدى الى تحول قضية الأمير جم إلى قضية دولية، تنافست فيها أطراف إسلامية ومسيحية. وكان واضحا أن هذه القوي تشترك في مصلحة كبرى، وهي تحطيم الدولة العثمانية، أكبر قوة إسلامية آنذاك.

---

[1] لمطالعة المجموعة الشعرية للمؤلف. أنظر:

V.Arnaud, **Le Prince Dgem,chronique dauphinoise du XVe siècle**, ph.Merle,Grenoble,1860.

[2] Victor Hugo, **Lucrèce Borgia**, 2ème édition, Eugène Renduel Libraire, sle, 1833, p 57-58.

[3] لوكريسيا بورجيا: هي ابنة غير شرعية لرودريك بورجا – الذي أصبح بابا روما و حمل اسم الكسندر السادس– و بسبب جمالها و تعدد زيجاتها السياسية أضحت تُتهم بالتآمر و الفساد، و قتل الأزواج والأعداء بالسُم، واتخاذ عدد كبير من العُ شاق. وهي بذلك كانت تُقلد والدها الذي كان غارقا في الفساد السياسي و الأخلاقي. للمزيد حول هذه القصة. يُراجع : Victor Hugo, Lucrèce Borgia.

[4] Victor Hugo, **La Légende des Siècles**, Michel Lévy Frères, Paris, sde, pp 231-249.

- يبقى الغموض يلف مسألة قتل الأمير جم،لكن من خلال استعراض تفاصيل الواقعة والظروف التي أحاطت بالفترة الأخيرة من حياة الأمير،يمكن أن نُرجح رواية الاتفاق الذي تمّ بين السلطان والبابا.فالأول كان يسعى الى التخلص من الصداع السياسي الذي سببه له لجوء شقيقه إلى أوربا،وما نتج عنه من مخاطر هدّدت كيان الدولة العثمانية، والثاني بسبب المأزق الذي تعرّض له من لدُن الملك الفرنسي،و أيضا لما عُرف به البابا من شغف بالمال، و استعداده للتضحية بالأخلاق في سبيل مصالحه.

قائمة المصادر و المراجع:

١- العربية:

١. -محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط ١، دار النفائس ١٩٨١.

٢. -الميرالاي اسمعيل سرهنك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تقديم ومراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

٣. -يلماز اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**،ترجمة عدنان محمود، مراجعة و تنقيح محمود الأنصاري، مج ١، مؤسسة فيصل للتموين، استانبول، ١٩٨٨.

٢-الأجنبية:

-A.de Lamartine, **Les grands hommes de l'Orient: Mahomet,Tamerlan, le sultan Zizim** Librairie Internationale, Paris, 1865.

Antoine Varillas, **Histoire de Charles VIII**,Claude Barbin,sé, Paris.sde

-Arkstée;Merkus, l'Histoire de l'Ordre de S. Jean de Jerusalem**, t28, Arksée et Merkus, Amstrdam, sdé**

-Artvs Thomas, L' Histoire de la décadence de l'empire grec et établissement de celui des Turcs**, t 1, Iean Berthelin, Aroven, sdé.**

-BIbliothéque Nationale, **Portraits Peints et Dessinés du XIIIE AU XVIIE SIÈCLE**, AVRIL-JUIN 1907, 2ème édition, Librairie Centrale Des Beaux-Arts, Paris, 1907

-Cte de Maricourt, Le procès des Borgia :considéré au point de vue de l'histoire naturelle et sociale**, Librairie H. Oudin Editeur, Paris, 1882.**

-Encyclopaedia Britannica, www.britannica.com/EBchecked/topic/42443/Pierre-d-Aubusson , 11/08/2014.

-Étienne Michel Masse, Histoire du Pape Alexandre VI, et de César Borgia**, Jules lefebvre et compagnie, Paris,1830.**

-Gábor Ágoston and Bruce Masters, **Encyclopedia of the Ottoman Empire**, New York 2009

-Guy Sommi Picenardi, **Itinéraire d'un chevalier de Saint-Jean de Jérusalem dans l'île de Rhodes**, Desclée de Brouwer et Cie (Lille) ,1900.

-Halil Inalclk, **The Middle East and the Balkans under the Ottoman Empire**, volume 9 Bloomington, sdé.

-J. de Hammer, **Histoire de l'Empire ottoman, depuis son origine jusqu'à nos jours**, t3, Bellizard-Barthes-Dufour-Lowell, Paris, sdé.

-J.-M.Jouannin et M.Jules Van Gaver, **Turquie**, Firmin Didot frères, Paris, 1840

-Les Cahiers De la Commanderie, **"DJEM, le sultan exilé"**, Etude Speciale N°7, Annee 2010

-Librairie Centrale des Beaux-Arts, **Exposition de portraits peints et dessinés du XIIIe au XVIIe siècle** : avril-juin 1907, Émile Lévy, Paris, 1907.

-M.alfred de Bougy, **"Un prétendant turk au xv° siècle: Le prince djem"**, revue contemporaine, 2éme série, t 28, 11ème Année, Paris, 1862.

-V.Arnaud, **Le Prince Dgem,chronique dauphinoise du XVe siècle**, ph.Merle,Grenoble,1860.

-Victor Hugo, La Légende des Siècles**, Michel Lévy Frères, Paris, sde**

Victor Hugo, **Lucrèce Borgia**, 2ème édition, Eugène Renduel Libraire, sle, 1833.

واقع وآفاق الطاقات المتجددة في الجزائر ومساهمتها في تفعيل التنمية المستدامة

أ.د شريف غياط/جامعة قالمة أ.مهري عبد المالك/جامعة تبسة

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بتبيين العلاقة بين مفهوم خصب ومتجدد وهو الطاقات المتجددة وعلاقتها بالتنمية المستدامة بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، حيث تتضمن هذه الدراسة استعراضا لبعض الجوانب المتعلقة بالطاقات المتجددة كالمفهوم والأنواع والخصائص والعيوب التي تميز كل نوع منها، بالإضافة أيضا لدراسة اقتصادياتها،ختاما بتبيين دور الطاقات المتجددة في خدمة التنمية المستديمة بصفة عامة وكذا دورها في تحقيقها في الجزائر.

الكلمات المفتاحية:الطاقات المتجددة، الجزائر،التنمية المستدامة،البيئة،الاستثمار.

تمهيد

إن مصادر الطاقة المتجددة هي مصادر تخفف الضغط على البيئة وتعمل على تخفيض استهلاك الطاقات التقليدية في المدى القصير والمتوسط.كما أن الانتقال إلى الاعتماد عليها بشكل واسع سيؤدي إلى ديمومة المصادر التقليدية، وبالتالي إمكانية الاستفادة منها لمدة أطول من تلك المتوقعة،وهو ما سيسمح لأجيال قادمة تلبية جزء من احتياجاتها بالاعتماد على هذه المصادر.

كما أن تحقيق تنمية مهما كانت أهدافها يتطلب توفر خدمات الطاقة،كونها تعتبر المحرك الأول والدعامة الأساسية لتحقيق تنمية اقتصادية اجتماعية، ليبقى الجانب البيئي هو حجر الزاوية بالنسبة لعملية التنمية المستدامة،لأنها تحاول الموازنة ما بين الأهداف الاقتصادية والبيئية، خاصة وأن أنماط التنمية التي كانت سائدة أدت إلى استنزاف كبير لمصادر الطاقة التقليدية لا سيما الأحفورية منها نتيجة للاعتماد عليها من جهة في تلبية حوالي 80 % من الاحتياجات العالمية،ومن جهة ثانية أداؤها إلى تلويث شديد للبيئة الذي زادت حدته خلال العقود الأخيرة، الأمر الذي أدى إلى دق ناقوس الخطر.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- توضيح المفاهيم المتعلقة بالطاقات المتجددة،وكذا أهميتها مزاياها وعيوبها.

- تبيين دور وأهمية الطاقة المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة.

- محاولة معرفة وإلقاء الضوء على ما وصلت إليه الجزائر في هذا الشأن.

إشكالية الدراسة

تأسيسا على ما تقدم، تأتي هذه الدراسة في محاولة للإجابة على السؤال الرئيس الأتي:

–كيف تساهم الطاقة المتجددة في تفعيل التنمية المستدامة ؟ وإلى أين وصلت الجزائر بخصوص ذلك ؟

وهذا التساؤل يفضي بدوره إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- ✓ ماذا يقصد بالطاقة المتجددة ؟ وما هي أنواعها ؟
- ✓ ما مدى أهميتها في تحقيق وتفعيل التنمية المستدامة ؟
- ✓ ما هو واقع استغلال هذه الطاقة في الجزائر؟

منهج وهيكل الدراسة:

يعتمد البحث على الأسلوب **الوصفي التحليلي**،بهدف دراسة الظاهرة العلمية المتعلقة بـ:" **واقع وأفاق الطاقات المتجددة في الجزائر ومساهمتها في تفعيل التنمية المستدامة**،ونظرا لأهمية الدراسة،ومن أجل الإجابة على التساؤلات المطروحة،ارتأى الباحثان تقسيم البحث إلى ثلاث محاور رئيسة،حيث **شمل المحور الأول:** الطاقات المتجددة : فهومها،أنواعها، خصائصها وعيوبها في حين استعرض **المحور الثاني:**الطاقات المتجددة والتنمية المستديمة. بينما ناقش **المحور الثالث:** الطاقات المتجددة في الجزائر ودورها في خدمة التنمية المستدامة.

المحور الأول: الطاقات المتجددة :مفهومها، أنواعها، خصائصها وعيوبها

سيتم هنا التعرف على بعض الجوانب المتعلقة بالطاقات المتجددة من حيث مفهومها ومختلف أنواعه وبعض ما يتعلق بكل نوع.

١.١. مفهوم الطاقة المتجددة:

الطاقات المتجددة هي الطاقات التي نحصل عليها من خلال تيارات الطاقة التي يتكرر وجودها في الطبيعة على نحو تلقائي ودوري،هي بذلك عكسن الطاقات غير المتجددة الموجودة غالبا في مخزون جامد في باطن الأرض[1].

بتعبير آخر هي عبارة عن مصادر طبيعية دائمة غير ناضبة متوفرة في الطبيعة بصورة محدودة أو غير محدودة، إلا أنها متجددة باستمرار، واستعمالها أو استخدامها لا ينتج أي تلوث للبيئة فهي طاقات نظيفة فنجد مثلا الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والماء والحرارة الجوفية لا ينتج عن استخدامها أي تلوث أما احتراق الكتلة الحية فينتج عنه بعض الغازات. إلا أنها أقل من تلك الناتجة عن احتراق الطاقات الأحفورية[1].

إن بداية الاهتمام بهذا النوع من مصادر الطاقة يعود إلى بداية السبعينيات وبالأساس إلى أزمة الطاقة لعام١٩٧٣ وانعكاساتها على اقتصاديات الدول المتقدمة، والتي وجدت أن الحل المتاح للقضاء على تبعية اقتصادياتها للبترول هو تطوير مصادر بديلة تكون محلية، إلا أن هذا الاهتمام سرعان ما تلاشى بعد انخفاض أسعار البترول في السوق العالمية.

[1]- أبو شهاب المكي، **الطاقات المتجددة**

http :www .tkne .net /vb/t26579 .html, le 02/10/2014

[1] - Chitour Chams Eddine**, Pour Une Sstratégie Eénergétique De l'Algérie à l'horizon 2030**, OPU, Algérie, 2003.

مع تنامي الوعي البيئي والتأكد العلمي من علاقة التغير المناخي بحرق مصادر الطاقة الأحفورية، وبعد بروتوكول كيوتو وكذا الاستنزاف الكبير الحاصل في المصادر المعتمدة بات الاهتمام بمصادر الطاقة المتجددة أكثر إلحاحا، وبدأت الدول توجه جهود البحث العلمي نحو هذا المجال من أجل وضع مختلف أنواعها في خدمة اقتصادياتها.

٢.١. أنواع الطاقات المتجددة (مصادرها) :

هناك عدة مصادر للطاقات المتجددة منها: الشمس، الرياح، الماء، الحرارة الجوفية، الكتلة الحية. إلا أنها كلها تعود في الأصل إلى الشمس، هذه المصادر إما أن تنتج طاقة ميكانيكية كطاقة الرياح والكتلة الحية والحرارة الجوفية، أو طاقة حرارية كالطاقة الشمسية والكتلة الحية، أو كهربائية كالطاقة الشمسية والحرارة الجوفية،ومنه فإن هذه المصادر تنتج طاقة تلبي الاحتياجات المباشرة للسكان[2] .

١.٢.١. الطاقة الشمسية:

تستخدم الطاقة الشمسية مباشرة في العديد من التطبيقات منها:التدفئة،إضاءة المباني،تسخين المياه،إنتاج البخار، وفي إعذاب وضخ المياه وتوليد الكهرباء حراريا وتتوقع الجهات الدولية أنه بحلول عام٢٠٢٥ سوف تسهم النظم الشمسية الحرارية لتوليد الكهرباء بحوالي ١٣ جيجاوات.

أيضا تستخدم الطاقة الشمسية في إنتاج الكهرباء مباشرة عن طريق الخلايا الشمسية/الفوتوفلطية.وكنتيجة للأبحاث المستمرة انخفضت تكلفة إنتاج الطاقة من ١٠ سنت دولار/ك.و.س في عام١٩٨٠ إلي حوالي١٥ سنت دولار/ك.و.س في الوقت الراهن. وبحسب ما ورد بتقرير "Renewable 2007: Global Status Report"[1] فإن معدل نمو الاستثمارات في الخلايا الشمسية تراوح بين٥٠% إلي٦٠ % ليسجل أعلي معدل نمو علي مستوي تطبيقات الطاقة المتجددة خلال عام٢٠٠٦، والتسخين الشمسي للمياه من١٥ ـ ٢٠%، ومثل هذه المؤشرات تعكس التطور الكبير في الاستثمارات الموجهة لقطاع الطاقة المتجددة[2] .

٢.٢.١. طاقة الرياح

استخدم الفُرس طاقة الرياح في إدارة الطواحين لطحن الحبوب وضخ المياه وانتشرت قديما في أوربا لنفس الأغراض إلي أن استخدمت في إنتاج الكهرباء. وقد بلغ إجمالي القدرات المركبة من توربينات الرياح عالميا إلي ما يزيد عن٧٤ ألف ميجاوات في نهاية عام٢٠٠٦[3]، وذلك بمتوسط زيادة سنوي مقدارها٢٨% للفترة من عام٢٠٠ حتى٢٠٠٦، ويعد هذا مؤشرا إيجابيا ينافس ثورة الاتصالات التي حدثت في العقدين الأخيرين، مما ساعد في خفض تكلفة الطاقة المنتجة من٤٠ سنت دولار/ك.و.س عام ١٩٨٠ إلي أقل من ٥ سنت دولار/ك.و.س. ويصل عدد الدول التي تستخدم طاقة الرياح في إنتاج الطاقة الكهربية إلي٤٥ دولة، وفي ظل ارتفاع أسعار البترول يعد إنتاج الكهرباء من الرياح منافسا للمحطات الحرارية المعتمدة علي الوقود الأحفوري وبخاصة في الدول التي لا تقدم دعما لهذا الوقود. هذا وقد حدد الاتحاد الأوربي في إستراتيجيته للطاقة المعتمدة في عام

---

[2]- مريم بوعشير، **دور وأهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٠-٢٠١١.

[1] - Renewable Energy Policy Network for the 21st Century , "Renewable 2007: Global Status Report". Dec 2007.

[2]- محمد رأفت اسماعيل رمضان، علي جمعان الشكيل، **الطاقة المتجددة**، دار الشروق، لبنان، ١٩٨٨.

[3] - http://www.windpower-monthly.com/WPM:WINDICATOR:244906826, 2014

٢٠٠١ إنتاج١٢% من احتياجات دول الاتحاد بواسطة توربينات الرياح بحلول عام٢٠٢٠، وهو نفس الهدف الذي حدده مجلس الطاقة الأعلى بمصر في أفريل٢٠٠٧[4].

١.٢.١. الطاقة الحيوية:

كان تحكم الإنسان بالنار خطوة عظيمة في تاريخ البشرية، خطوة مكنت الإنسان من طهي طعامه وتدفئة منزلة، ولهذه الأغراض استخدم الإنسان ولا يزال الأخشاب والزيوت النباتية والسماد الطبيعي المستقي من فضلات الحيوانات وغير ذلك. وللحصول علي الطاقة الضرورية لحرث التربة ونقل البضائع استخدم الإنسان الحيوانات، بل واستخدم القوة البشرية ذاتها،هذه القوة يستمدها الإنسان مما يتناوله من مواد غذائية، وهو ما يجعل المصادر الحيوية أو البيولوجية أهم مصدر للطاقة،وحاليا تشارك الطاقة الحيوية بنسبة١١% من الطاقة الأولية، وإلي جانب فوائدها البيئية فهي متوافرة ولا يخشى من محدوديتها[1].

٤.٢.١. طاقة حرارة باطن الأرض :

توصف طاقة حرارة باطن الأرض بأنها أحد أهم مصادر الطاقة، ويري العلماء أنها تكفي لتوليد كميات ضخمة من الكهرباء في المستقبل، فمنذ آلاف السنين استمد منها الإنسان الحرارة، ثم في إنتاج الكهرباء علي مدار التسعين عاما الماضية، ويذكر اتكين (دونالد اتكين٢٠٠٥) أن طاقة حرارة باطن الأرض تعد مصدرا أساسيا للطاقة المتجددة لنحو٥٨ دولة منها٣٩ دولة يمكن إمدادها بالكامل بنسبة١٠٠% من هذه الطاقة، وفي مصر تستخدم طاقة حرارة باطن الأرض في الاستشفاء كما في حمام فرعون وعيون موسي، في حين تستخدم في بعض الدول الأوربية كمصدر لتدفئة المنازل في الشتاء القارص[2].

٥.٢.١. الهيدروجين:

"نعم يا أصدقائي، إنني أعتقد أن الماء سيستخدم كوقود في يوم من الأيام، وأن العنصرين المكونين له – الهيدروجين والأكسجين- سيزودانا معا أو منفصلين بمعين لا ينضب للحرارة والضوء، وبشدة لا يستطيع الفحم مجاراتها... سيكون الماء هو فحم المستقبل"، كانت هذه كلمات أو بالأحرى نبوءة جول فيرن (كاتب فرنسي ولد في٨ فبراير عام١٨٢٨ بمدينة نانت بفرنسا، ويعد من الكتاب الرواد في مجال الخيال العلمي، وقد توفي في٢٤ مارس١٩٠٥) في كتابه "الجزيرة الغامضة" الذي نشر عام١٨٧٤[3].

تعتبر خلايا الوقود تكنولوجيا واعدة للعمل كمصدر للحرارة والكهرباء في المباني والسيارات، لذا تعمل شركات تصنيع السيارات علي تصنيع وسائل نقل تعمل بخلايا الوقود والتي تحتوي علي جهاز كهروكيميائي "**Electrochemical**" يفصل الهيدروجين والأكسجين لإنتاج كهرباء يمكنها إدارة موتور كهربي يتولى تسيير العربة. إلا أن استخدام الهيدروجين في الوقت

---

[4]- عبد علي الخفاف ,ثعبان كاظم خضير، **الطاقة وتلوث البيئة**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن. ٢٠٠٧.

[1]- محمد مصطفي الخياط ، "**الطاقة البديلة ... تحديات وآمال**"، مجلة السياسة الدولية، أفريل ٢٠٠٦، العدد ١٦٤ – المجلد ٤١.

[2]- نواف الرومي، **منظمة الأوبك وأسعار النفط الخام**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ٢٠٠٠.

[3]- عادل مدور، **المصادر الجديدة والمتجددة**، مجلة أخبار النفط والصناعة، شركة أبو ظبي للطباعة، الإمارات المتحدة، العدد 430 ، ٢٠٠٦.

الراهن سوف يؤدي إلي استهلاك قدر كبير من الطاقة اللازمة لإعداد بنية تحتية "**Infrastructure**" تشمل إنشاء محطات التزود به وغيرها من التجهيزات الضرورية لهذه المحطات[4].

زيادة على ذلك يري بعض الخبراء أن الهيدروجين سوف يمثل ركيزة للمجتمعات في المستقبل ليحل محل الغاز الطبيعي، والبترول والفحم والكهرباء،حيث يرون أن اقتصاديات الهيدروجين الجديدة –علي المدي البعيد- سوف تحل محل الوقود الإحفوري، وهذا ما دفع بالرئيس الأمريكي جورج بوش عام ٢٠٠٣ إلى تخصيص حوالي ١.٢ مليار دولار لدعم أبحاث الهيدروجين في مجال تصنيع عربات تعمل بخلايا الوقود بحلول عام ٢٠٢٠[1].

٦.٢.١. الطاقة النووية

تزودالطاقة النووية دول العالم بأكثر من ١٦% من الطاقة الكهربائية التي يحتاجها،فهي تلبي ما يقرب من ٣٥% من احتياجات دول الاتحاد الأوربي،ففرنسا وحدها تحصل على ٧٧% من طاقتها الكهربائية من المفاعلات النووية ومثلها ليتوانيا،أما اليابان فتحصل علي ٣٠%.وفي الوقت الحالي يعكف العلماء علي أبحاثهم بغية التحكم في عمليات الاندماج النووي، في محاولة لصنع مفاعل اندماجي لإنتاج الكهرباء، لكنهم مازالوا يواجهون مشاكل حول كيفية التحكم في عملية الاندماج التي تجري في حيز محدود.

٣.١. مزايا وعقبات الطاقات المتجددة:

تتمتعالطاقات المتجددة بمجموعة من الخصائص،وعلى رأسها أنها طاقات غير ناضبة، وإنما متجددة المخزون باستمرار كما أنها غير ملوثة للبيئة، الإضافة إلى خصائص أخرى يتمتع بها كل نوع على حدى وبالرغم من ذلك فهي لا تخلو من العيوب والنقائص،ربما كانت أحد العوائق التي تحول دون تطويرها. وهذا ما سيتم التعرض له ولو بايجاز في النقاط التالية:

١.٣.١. مزايا الطاقات المتجددة:

هناكخاصيتان أو ميزتين مشتركتين بين مختلف مصادر الطاقات المتجددة كما سبق ذكره آنفا وهما خاصية التجدد وكذا خاصية عدم تلويث البيئة، إلا أنه يوجد بالإضافة إلى ذلك مجموعة من الخصائص والمنافع من أبرزها وأهمها ما نوجزه في الآتي[2]:

تعتمد هذه الأنظمة على مصادر الطاقة المحلية المتوافرة في سائر الدول، ما يضمن بالتالي أمن الطاقة.

• موارد الطاقة مستدامة،ما يعني أنها لن تُستنفد أبداً أو تلحق الضرر بالبيئة المحلية أو الوطنية أو العالمية.

• هي موارد موثوقة.فالنظام الموزع لتوليد الطاقة من مجموعة متنوعة من المصادر المتجددة يوفِّر نظام طاقة أكثر متانة وأقل عرضة لانقطاع إمدادات الطاقة مقارنة بالأنظمة المركزية.فإن تعطل نظام واحد منها، لن تعيش المدينة بأكملها أو أحياناً الدولة ككل حالة من الطوارئ.

---

[4]- محمد مصطفي الخياط وماجد كرم الدين محمود، "**الطاقة المتجددة ... الحاضر ومسارات المستقبل**"، ورشة عمل عن أنواع الطاقة المتجددة، برعاية مؤسسة هانس زايدال الألمانية، القاهرة، مصر. أوت ٢٠٠٩.

[1] - CQ Researchers , "**Alternative Fuels**", CQ Séries, Vol. 15, No. 8. Fév. 2007.

[2]- عبد الجبار خلف، **الاهتمام العالمي بالطاقة المتجددة ومصادرها** ، الوكالة الدولية للطاقة (ارينا)، ٢٠١١.

• لا تلوّث هذه الموارد الهواء أو اليابسة أو البحر، في حين أن تلوّث الهواء بفعل قطاعي النقل والطاقة قد حوّل العديد من المدن إلى مصدر خطر يهدد صحتنا.

• هي أيضاً تقي الاقتصاديات من الأزمات التي تحدثها التقلبات في أسعار الوقود التقليدية. فالاعتماد على مصادر الطاقة المحلية المتجددة يمكن أن يحمي الاقتصاديات المحلية من مظاهر الفوضى الاقتصادية العارمة التي تنشأ عن تقلبات في الأسواق العالمية للسلع الأساسية مصدرها التخمينات.

• النظام الموزّع من أنظمة توليد الطاقة المتجددة يبقى بمأمن عن أي هجوم، بمعنى أنه لن يشكل على الأرجح أهدافاً عسكرية. لكن حتى وإن حدث ذلك،ستكون النتيجة ضرراً بيئياً طفيفاً. في المقابل، تطرح مصانع الطاقة النووية والوقود الأحفوري اللامركزية الكبيرة مشاكل هامة في ما يتعلق بالأمن الوطني.

• تتميّز هذه الأنظمة بوجودها على مقربة من المجتمعات التي تستخدمها، ما يوفِّر الحس بالقيمة والملكية الجماعية المشتركة ويعزز التنمية المستدامة.

• توفّر أنظمة الطاقة المتجددة فرص عمل جديدة ونظيفة ومتطورة تكنولوجياً. فالقطاع يشكل مزوّداً سريع النمو للوظائف العالية الجودة. وهو يتفوق من بعيد في هذا السياق على قطاع الطاقة التقليدية الذي يستلزم توافر رأسمال كبير.

٢.٣.١. عقبات الطاقات المتجددة:

تتوافر إمكانات واحتمالات مستقبلية لتكنولوجيات الطاقة المتجددة لتسهم في الوفاء بالاحتياجات الأساسية للطاقة، وفي دعم تخفيف وطأة الفقر وتحقيق التنمية المستدامة.وقد تم ابتكار وتطوير تكنولوجيات متعددة للطاقة المتجددة خلال العقدين الماضيين، وتم اختبار بعضها ميدانيا،وتم أيضا تطويرها على مستوى التطبيق، خاصة في مجال القدرات الصغيرة والمتوسطة في الأماكن النائية،حيث أثبتت الطاقة المتجددة فاعلية اقتصادية، بينما مازال بعضها الآخر في حيز البحث والتطوير. وجدير بالقول أن هذه التكنولوجيات لم تستخدم بعد على نطاق واسع لتوفير خدمات الطاقة، حيث أنه مازال هناك عدد من القيود والمعوقات التي تواجه التوسع في استخدامها، منها ارتفاع التكلفة. وعلى الرغم من النضج التقني الذي وصلت إليه شبكات توليد الكهرباء باستخدام طاقة الرياح ونظم الطاقة الشمسية الحرارية بقدرات تصل إلى بضعة مئات من الميجاوات، إلا أنها مازالت غير قابلة للمنافسة على نطاق تجاري، إذ أن اقتصادياتها تعتمد بصورة كبيرة على طبيعة الموقع وينبغي الآن النظر بعين الاعتبار إلى برامج تطوير هذه التكنولوجيات. كما يجب تقييمها بعناية في المواقع التي تتمتع بموارد متاحة كبيرة[1] .

المحور الثاني: الطاقات المتجددة والتنمية المستديمة:

إن مستوى التقدم الحاصل في تكنولوجيات وتقنيات الطاقات المتجددة، يجعلها قابلة للاستخدام سواء في النظم الصغيرة التي تؤمن الإمدادات المحلية في المناطق النائية، أو في النظم المركزية للاستخدام الحراري في الصناعة وغيرها، بالإضافة إلى نظم توليد الكهرباء بالقدرات الكبيرة التي يمكن أن ترتبط بالشبكات الكهربائية المحلية والإقليمية، وعلى ذلك يمكن

[1]- الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – إسكوا- ، **"إمكانات وآفاق توليد الكهرباء من مصادر الطاقة المتجددة في دول الإسكوا، الجزء الثاني النظم الشمسية الحرارية"**، ٢٠٠١.

للطاقات المتجددة الإسهام بشكل مؤثر في تعزيز إمدادات الطاقة للسكان، تنويع مصادر الطاقة، مقاومة الفقر وتحسين نوعية الحياة وأوضاع المرأة،توفير مصادر الطاقة اللازمة لتحلية المياه، الحد من التأثيرات البيئية لقطاع الطاقة، وأخيرا استثمار الخبرات الفنية والعملية المتاحة.

لذا وتأسيسا على ما تقدم سيتم البحث في العلاقة بين الطاقات المتجددة والتنمية المستدامة بمختلف أبعادها، بعبارة أدق هذا المحور هو في الحقيقة محاولة للإجابة على التساؤل المتعلق بطبيعة ونوعية العلاقة بين هذين العنصرين: الطاقات المتجددة والتنمية المستدامة.

١.٢. في المجال الاقتصادي:

تلعب الطاقات المتجددة دورا مهما وحيويا في المجال الاقتصادي،فهي بلا شك تساهم وبشكل كبير في[2]:

١.١.٢. تعزيز إمدادات الطاقة للسكان:

يعاني حوالي ثلث سكان العالم من عدم توفر الإمدادات والخدمات الأساسية للطاقة،مما يساهم في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وانخفاض مستوى التعليم والرعاية الصحية بها ويحد من فرص التنمية وتحسين نوعية الحياة، وعلى الأخص بالنسبة للنساء والأطفال بالنظر إلى كون المصادر المتجددة مصادر محلية تتوفر بهذه المناطق البعيدة والنائية، ويمكن تنفيذ العديد من نظمها بالقدرات الملائمة لاحتياجات السكان بالمناطق الريفية وبكلفة مناسبة، الأمر الذي يجعلها قادرة على تعزيز إمدادات الطاقة وحفز التنمية بهذه المناطق.

٢.١.٢. تنويع مصادر الطاقة:

يتوفر العالم على مصادر هائلة من الطاقات المتجددة، يمكن من خلال تطوير استخداماتها المساهمة التدريجية بنسب متزايدة في توفير احتياجات الطاقة للقطاعات المختلفة، تنويع مصادرها، مما يؤدي إلى تحقيق وفر في استهلاك الطاقات التقليدية. ويمكن أن توفر فائضا للتصدير، ما تساهم في إطالة عمر مخزون المصادر التقليدية في الدول المنتجة لهذه المصادر. كما يمكن الوفر المحقق من الاستهلاك خفضا في تكاليف الاستيراد بالنسبة للدول غير المنتجة، إضافة إلى ذلك تمثل الإمكانات المتاحة حاليا للنظم المركزية الكبيرة لتوليد الكهرباء فرصة للتوجه نحو تصدير الطاقة الكهربائية المنتجة من مصادر الطاقة المتجددة.

٢.٢. في المجال الاجتماعي والبيئي:

كما هو الشأن في المجال الاقتصادي، فإنه وضمن هذا المجال (الاجتماعي والبيئي) تساهم الطاقات المتجددة في:

١.٢.٢. مقاومة الفقر وتحسين نوعية الحياة:

تحقيق إسهام مؤثر لمصادر الطاقات المتجددة في توفير إمدادات الطاقة اللازمة لتنمية المناطق الريفية وبكلفة اقتصادية مقارنة ببديل إمدادات الشبكات التقليدية، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تحسين نوعية الحياة لما يوفره من خدمات تعليمية وصحية أفضل لسكان المناطق الريفية، إضافة إلى أنه يؤدي إلى القضاء على الفقر من خلال إيجاد فرص للعمالة المحلية في

[2]- مريم بوعشير، **دور وأهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة**، مرجع سبق ذكره.

مجالات تصنيع وتركيب وصيانة معدات إنتاج الطاقات المتجددة، حيث أن العديد من هذه المعدات يمكن تصنيعها بإمكانات محدودة ويمكن توفرها محليا.

٢.٢.١. الحد من التأثيرات البيئية لقطاع الطاقة:

إن الاعتماد على الطاقات المتجددة في تلبية الاحتياجات يؤدي إلى الحد من التلوث الناجم عن استخدام الطاقات التقليدية وخاصة غازات الدفيئة، وذلك لكون المصادر المتجددة مصادر نظيفة لا تسبب أي تلوث يذكر للبيئة، إضافة إلى تحسين الظروف المعيشية بالمناطق الريفية ينتج عنه التقليل من أنماط استهلاك الطاقة في التنمية المستدامة في هذه المناطق.

٢.٢.٢. استثمار الخبرات الفنية والعملية المتاحة :

لقد تم خلال العقدين الماضيين بذل جهود كبيرة لتطوير وتنمية استخدام تقنيات ونظم الطاقة المتجددة، مما أدى إلى تراكم خبرات محلية وإقليمية في مجالات متعددة، وبدرجات متفاوتة تعدت في كثير من بعض الدول مرحلة البحث والتجريب الميداني إلى حيز الخبرة العملية في تصميم وتنفيذ وتشغيل المشروعات التطبيقية، فضلا عن التصنيع المحلي لمكونات النظم.

٢.٣. العلاقة بين التنمية المستدامة والطاقات البديلة المستدامة:

إن علاقة الطاقة بعملية التنمية علاقة وطيدة نظرا لكونها ركيزة أساسية من ركائز التنمية فلا يمكن تحقيق أي جانب من جوانب التنمية بدون توفر خدمات الطاقة بالقدر الكافي والأسعار المناسبة، ففي ظل المعطيات الجديدة التي يعرفها العالم اليوم قرب نفاذ مخزون الطاقات الأحفورية والتغيرات المناخية (أصبح تحقيق استدامة قطاع الطاقة أولوية أساسية بالنسبة لعملية التنمية المستديمة، وهو ما أقرته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، حيث تم الإجماع على أنه من أجل تحقيق خفض عدد الفقراء الذين يعيشون بأقل من دولار يوميا إلى النصف بحلول عام 2015 يجب توفير خدمات الطاقة كشرط أولي وأساسي، ودائما في نفس الإطار تم من خلال تقرير" الطاقة ما بعد ريو "التأكيد على وجود علاقة وطيدة بين الفقر وتوفر خدمات الطاقة، بتعبير آخر فإن توفر خدمات الطاقة شرط أولي وأساسي لتحقيق العدالة في توزيع الحاجات الأساسية الغذائية والصحية، كما أن قطاع الطاقة يستحوذ على الجزء الأكبر من نفقات قطاع العائلات في الدول النامية والمتقدمة، ومن ثم فإن تمويل العائلات الفقيرة بالطاقة المستديمة يؤدي بصفة أساسية إلى القضاء على الفقر خاصة إذا ما تم ذلك في إطار سياسة كلية هادفة إلى ذلك[1] .

لذا ونظرا للترابط الكبير بين عملية التنمية وتوفر خدمات الطاقة تسعى الدول جاهدة إلى تطوير استغلال المصادر المتجددة من أجل تحقيق أمن الطاقة من جهة وحماية المناخ من جهة ثانية، وفي إطار ذلك تحاول الدول إيجاد طرق وأساليب تسمح بتشجيع استعمال الطاقات المتجددة خاصة في ظل إمكانية مساهمتها مساهمة فعالة إلى جانب كفاءة استخدام الطاقة في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية الجديدة وذلك عن طريق التوسع في توفير خدمات الطاقة وخفض تكلفتها، وكذا التقليل من المخاوف المتعلقة بأمن الطاقة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تحسين نوعية الحياة لأعداد كبيرة من الفقراء، وكذا تحسين البيئة على الصعيدين المحلي والعالمي. ومن بين الأساليب المتبعة لتشجيع استعمال

[1] - WWF. Greenpeage, De l’Energie Propre Pour Un Développement Durable –Choisissez l’Energie Positive-, 2002

الطاقات المتجددة نذكر: ضرائب التغير المناخي، ضرائب الكربون، تشجيع الاستثمار وكذا اعتماد بعض الأساليب الأخرى كنظام الكوتا والدعم[2].

المحور الثالث: الطاقات المتجددة في الجزائر ودورها في خدمة التنمية المستدامة:

تتميز الجزائر بوجود احتياطي هائل للطاقة، وعلي وجه الخصوص الغاز الطبيعي، بالإضافة إلي وجود قدرات هائلة للاستفادة من الطاقة المتجددة وبخاصة الشمس والرياح، ويعد وضع الطاقة في الجزائر متقدما، فمصادر الطاقة الكهربائية يتم توفيرها من ثلاث مصادر رئيسية يأتي في مقدمتها الغاز الطبيعي بنسبة ٩٤.٥%، ثم الطاقة المائية بنحو ٥%، لتأتي بعدها الطاقة الشمسية والتي تمثل ٠.٥ %.

علما وأنه في هذا الشأن تم إنشاء هيئة الطاقة الجديدة الجزائرية، والتي تتولي نشر وترويج استخدامات الطاقة المتجددة بالجزائر، والمسئولة عن متابعة تنفيذ مشروع المحطة الشمسية الحرارية بالتكامل مع الدورة المركبة بنظام "BOOT" والذي يقوم بتنفيذه إتحاد شركات أسباني باستخدام تقنية المركزات الشمسية ذات القطع المكافئ بقدرة إجمالية ١٠ م.و.

١.٣. واقع الطاقات المتجددة في الجزائر:

للحديث عن واقع الطاقات المتجددة في الجزائر،نرى من الضرورة بمكان التطرق لها على النحو التالي:

١.١.٣. واقع الطاقة الشمسية في الجزائر:

تزخر الجزائر بحقل شمسي (Gisement solaire)استثنائي،حيث يغطي مساحة ٢٣٨١٧ كيلومتر مربع وأزيد من ٣٠٠ ساعة شمسية سنويا.وهو الأهم في حوض البحر المتوسط كله بحجم ١٦٩٤ تيراواط/ساعة سنويا. ويصل المعدل السنوي للطاقة الشمسية المستقبلة إلى ١٧٠ كيلو واط/س للمتر المربع الواحد سنويا بالمناطق الساحلية وفي مناطق الهضاب العليا، بينما ٢٦٥ في الصحراء[1].

لقد بدأت الجهود الأولى لاستغلال الطاقة الشمسية في الجزائر مع إنشاء أول محافظة الطاقات الجديدة في الثمانينيات و اعتماد مخطط الجنوب سنة ١٩٨٢ مع تجهيز المدن الكبرى بتجهيزات لتطوير الطاقة الشمسية ورغم الترسانة القانونية المعتمدة ما بين ١٩٩٩ و٢٠٠٠ فلا يزال نصيب الطاقة الشمسية محدودا بالجزائر وغير مستخدمة بالشكل المطلوب.

هذا وقد دشنت الجزائر في ١٤ جويلية ٢٠١٠ المحطة الأولى من نوعها للطاقة الهجينة للطاقة الشمسية والغاز. وتبلغ الطاقة الإنتاجية لمحطة "حاسي الرمل" للطاقة الكهربائية بمنطقة "تيغلمت" 150 ميغاوات منها 30 ميغاوات من الطاقة الشمسية.

وخلال حفل تدشين المحطة الذي أشرف عليه وزير الطاقة والمناجم يوسف يوسفي ونظيره الإسباني ميغال سيباستيان، قال المسؤول الإسباني إن إنهاء المشروع الذي تبلغ كلفته 350 مليون أورو يُعد "مثالا بليغا للتعاون وتجربة رائدة للمنطقة المتوسطية ككل ."

---

[2]- هشام الخطيب، **مصادر الطاقة المتجددة والتطورات التقنية والاقتصادية عربيا وعالميا.**
http://www.enginefactory.com.eg/flach/power.doc. le 15/12/2010

[1]- مجلة نور "NOOR"، العددين ٩ و١٠، الصادرة عن مجموعة سونلغاز، مارس ٢٠١٠.

وأضاف أن المحطة التي شيدتها الشركة الجزائرية للطاقة الجديدة (NEAL) وشركة أبينير الإسبانية هي "نموذج حي لتوليد الطاقة في المناطق القروية والجبلية بعيدا عن الشبكات الكهربائية التقليدية ."

وأكد الوزير الإسباني رغبة بلاده في أن تصبح "شريكا استراتيجيا للجزائر" في مجال الطاقة المتجددة، واختير موقع المحطة على بعد 25 كلم شمال حاسي الرمل بفضل قرب الموقع من المرافق الغازية وحجم أشعة الشمس التي تتمتع بها المنطقة والتي تقدر بـ 3000 ساعة في السنة.

وجدير بالذكر أن مجموعة من البنوك الحكومية الجزائرية قد ساهمت بـ 80% من تمويل المشروع، وسيشرف على تشغيل محطة الطاقة فريق يضم 70 شخص من بينهم 65 جزائريا وخمسة إسبانيين.

إلى جانب إنتاج الطاقة، سيساهم المشروع في الحفاظ على البيئة، حيث سيخفض بشكل كبير انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون ويوفر أزيد من 7 مليون متر مكعب من الغاز سنويا[1].

وفي هذا السياق، ينبغي الإشارة إلى أضخم مشروع للطاقة الشمسية المتجددة؛ ألا وهو مشروع "ديزارتيك" **Dezertec**، وهو مشروع ضخم يهدف إلى ربط العديد من مراكز الطاقة الشمسية الحرارية الكبيرة **centrales solaires thermique**، ومن الممكن أيضا أن يضم تثبيتا للطاقات المتجددة كمزرعة الرياح، كما أن شبكة توزيع الكهرباء التي تغذي إفريقيا، أوروبا الشرقية وكذلك الشرق الأوسط.

إن مشروع **Dezertec** ليس محصورا في إنتاج الطاقة، بل يساهم أيضا في توفير مناصب الشغل، إلى جانب مساهمته في تكوين وجمع الخبرات والكفاءات وتدريب اليد العاملة المحلية التي تقبل بالعمل في الشروط الصحراوية الصعبة.

ولقد بدأت الأشغال الكبرى فعلا، رغم التحديات الكبرى؛ إذ تتنافس أكثر من١٢ دولة، خاصة ألمانيا، على وضع علمها وبسرعة في إنتاج التيار الكهروشمسي الأول في إفريقيا الشمالية الذي يحوي الجزائر، وذلك لتزويد أوروبا بـ١٥% من احتياجاتها الطاقوية، ويرتقب خلال ذلك إنشاء أكثر من١٢ مركزا شمسيا بحجم إنتاج يقدر بـ٩ ميغاواط لكل مركز في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط[2].

مع الملاحظة وأن الجزائر تولي اهتماما أيضا بالطاقة الشمسية الضوئية؛ إذ يعد مشروع "المحطة الضوئية الموصولة بالشبكة التي تم تنصيب مولدها فوق سطح المبنى الإداري لمركز **CDER** مشروعا نموذجيا للاستعراض التكنولوجي، ولدراسة مدى قابلية التطبيق التجهيزات واختبارها. وهو الأول من نوعه وطنيا، أي أول محطة ضوئية تتيح ضخ جزء من الطاقة التي تنتجها في شبكة توزيع الكهرباء ذات الضغط المنخفض.

٢.١.٣. واقع طاقة الرياح في الجزائر:

يتغير المورد الريحي في الجزائر من مكان لآخر نتيجة الطبوغرافية وتنوع المناخ، حيث تنقسم الجزائر إلى منطقتين جغرافيتين:

---

1 -http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2011/07/24/feature-01, 01/07/2011.

2 - International L'Actuel, Le Magazine De l'Economie Et Du Partenariat International ; N°124, février 2011.

الشمال الذي يحده البحر المتوسط و يتميز بساحل يمتد على ١٢٠ كلم وبتضاريس جبلية تمثلها سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي. وبين هاتين السلسلتين توجد الهضاب العليا والسهول ذات المناخ القاري ومعتدل السرعة في الشمال غير مرتفع جدا.

ومنطقة الجنوب التي تتميز بسرعة رياح أكبر منها في الشمال خاصة في الجنوب الغربي بسرعة ٤ م/ثا وتتجاوز ٦ م/ثا في منطقة "ادرار" وعليه يمكن القول أن سرعة الرياح في الجزائر تتراوح ما بين ٢ إلى 3 م/ثا وهي طاقة ملائمة لضخ المياه خصوصا في السهول المرتفعة[1] .

لقد أتاح وضع خارطة لسرعة الرياح والقدرات من الطاقة المولدة من الرياح المتوفرة في الجزائر تحديد ثماني مناطق شديدة الرياح، قابلة لاحتضان تجهيزات توليد الطاقة من الرياح، وهي: منطقتان على الشريط الساحلي، ثلاث مناطق في الهضاب العليا وثلاث مواقع أخرى في الصحراء. وقد قدرت القدرة التقنية للطاقة المولدة من الرياح لهذه المناطق بحوالي ١٧٢ تيتراواط/ساعة سنويا، منها 37 تيتراواط/ساعة سنويا قابلة للاستغلال من الزاوية الاقتصادية؛ وهو ما يعادل ٧٥% من الاحتياجات الوطنية لسنة ٢٠٠٠.

ومن خلال المستجدات، فقد تقرر تشييد أول مزرعة رياح بالجزائر، بطاقة تقدر بـ ١٠ ميغاواط بأدرار؛ ولقد أوكلت مؤقتا للمجمع **CEGELEC** المشترك بين فرنسا والجزائر، باعتباره أفضل عرض في المناقصة المفتوحة بخصوص المشروع[2].

٣.١.٣. واقع الطاقات المتجددة الأخرى في الجزائر:

هناك طاقات متجددة أخرى في طور الاستغلال في الجزائر، ولكنها لا تنتج بالفعالية التي تنتج بها الطاقة الشمسية وطاقة الرياح؛ وفي هذا المجال سنتحدث عن: الطاقة المائية، طاقة الحرارة الجوفية وطاقة الكتلة الجوفية.

فبالنسبة للطاقة المائية، تتساقط على التراب الوطني كميات كبيرة من الأمطار سنويا قدر بحوالي ٦٥ مليار م^3 ، إلا أنه لا يتم استغلال إلا جزء قليل منها نتيجة تمركزها بمناطق محددة وتبخر جزء منها أو تدفقها بسرعة نحو البحر أو نحو حقول المياه الجوفية، وتقدر حاليا كمية الأمطار المستغلة ٢٥ مليار م^3 ، حيث ثلثا هذه الكمية مياه سطحية والباقي جوفية[1].

كما بلغت قدرات حظائر الري للإنتاج الكهربائي ٥% أي حوالي ٢٨٦ جيغاواط، وترجع هذه الاستطاعة للعدد غير الكافي لمواقع الري والى عدم استغلال مواقع الري الموجودة. وفي هذا الإطار فقد تم تأهيل المحطة الكهرومائية بزيامة (ولاية جيجل) بقدرة ١٠٠ ميغاواط.

أما فيما يخص طاقة الحرارة الجوفية، ففي الجزائر يمثل الكلس الجوراسي في الشمال الجزائري احتياطيا هاما لحرارة الأرض الجوفية، ويؤدي إلى وجود أكثر من ٢٠ منبع مياه معدنية حارة واقعة أساسا في مناطق شمال شرق وشمال غرب البلاد، وتوجد هذه الينابيع في درجة حرارة غالبا ما تزيد عن ٤٠ °مئوية، والمنبع الحار والأكثر حرارة هو منبع المسخوطين ٩٦ °

---

[1]- علقمة مليكة،كتاف شافية، **الإستراتيجية البديلة لاستغلال الثروة البترولية في إطار قواعد التنمية المستدامة** ، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي حول التنمية المستدامة و الكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير بجامعة فرحات عباس، سطيف، ٠٧/٠٨ أفريل ٢٠٠٨ .

[2] - International L'Actuel, Le Magazine de l'Economie Et Du Partenariat International ; N°124, février 2011.

[1] - Amaidjia Adnani Hania , **Eergie Solaire Et Hydrogène** , Développement Durable, OPU, Algèrie, 2007.

مئوية؛ وهذه الينابيع الطبيعية التي هي على العموم تسربات لخزانات موجودة في باطن الأرض تدفق لوحدها أكثر من ٢م٣ من الماء الحار، وهي جزء صغير فقط مما تحويه الخزانات.

كما يشكل التكون القاري الكبيس خزانا كبيرا من حرارة الأرض الجوفية، ويمتد على آلاف الكيلومترات المربعة، ويسمى هذا الخزان "طبقة ألبية"، حيث تصل حرارة مياه هذه الطبقة إلى٥٧°مئوية، ولو تم جمع التدفق الناتج من استغلال الطبقة الالبية والتدفق الكلي لينابيع المياه المعدنية الحارة فهذا يمثل على مستوى الاستطاعة أكثر من ٧٠ ميغاواط.

أما فيما يتعلق بطاقة الكتلة الحيوية، فالجزائر في هذا المجال تنقسم إلى منطقتين:

- المنطقة الصحراوية الجرداء والتي تغطي ٩٠ % من المساحة الإجمالية للبلاد.

- منطقة الغابات الاستوائية التي تغطي مساحة قدرها ٢,٩ مليون هكتار، أي حوالي ١٠% من مساحة البلاد؛ وتغطي الغابات فيها حوالي ١,٨ مليون هكتار، في حين تمثل التشكيلات الغابية المتدرجة في الجبال ١,٩ مليون هكتار.

ويعتبر كل من الصنوبر البحري والكاليتوس نباتين مهمين في الاستعمال الطاقوي، لكنهما لا يمثلان إلا٥% من الغابات الجزائرية.

وتجدر الإشارة إلى أن استغلال النفايات والمخلفات العضوية خاصة الفضلات الحيوانية من أجل إنتاج الغاز الطبيعي يمكن أن تعتبر كحل اقتصادي من شأنه أن يؤدي إلى تنمية مستدامة خصوصا في المناطق الريفية، وتتمثل هذه المخلفات في:

- النفايات المنزلية.
- أوحال محطات تطهير المياه القذرة الحضرية أو الصناعية.
- النفايات العضوية الصناعية.
- نفايات الفلاحة وتربية المواشي (الجلود، فضلات الحيوانات...الخ).

٢.٣. استغلال الطاقات المتجددة في خدمة التنمية المستديمة في الجزائر:

في إطار الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية لرفع مستوى استغلالها للطاقات المتجددة بها قامت بإنشاء عدة هياكل وعلى رأسها المحافظة السامية للطاقات المتجددة.

فقد تم إنشاءها عام١٩٨٢،حيث قامت بإعداد الوسائل الأساسية اللازمة لانطلاق نشاطها مع وضع الهياكل الأساسية، انطلقت بخمس مراكز تنمية ومحطة تجريبية للوسائل التي توفر الدعامة العلمية والتكنولوجية والصناعية لبرنامجها التنموي المكلفة به في مجال الطاقات.

من المهام الأساسية لها القيام بجميع الأعمال المتعلقة بالمساهمات في مجال البحث والتكوين والإعلام والتجهيز إلى جانب المهمة الرئيسية تطوير وتنمية الطاقات المتجددة وخاصة منها الطاقة الشمسية والحرارية الجوفية وطاقة الرياح[1].

وقد تمكنت خلال ثلاث سنوات من الانطلاق من وضع برنامج خاص بتطوير تقنيات استغلال المصادر المتجددة خاصة الشمسية،الأمر الذي أهلها لمنافسة الدول المتقدمة في صناعة تكنولوجيات الوسائل الشمسية. في عام 1985 تمكنت

[1]- عمر شريف، **استخدام الطاقات المتجددة ودورها في تحقيق التنمية المحلية المستدامة دراسة حالة الطاقة الشمسية في الجزائر**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة باتنة. ٢٠٠٧.

المحافظة من إنتاج أول لوحة فتوفولطية بالمركب الإلكتروني ببلعباس، وقد اعتمدت في إنجاز اللوحات الشمسية على الخلايا الشمسية المصنوعة من مواد أولية منتجة وطنيا وبذلك تعتبر الجزائر الدولة الأولى

إفريقيا في تركيب الخلايا الشمسية لتنظم إلى مصاف الدول المتحكمة في تكنولوجيات تصنيع الخلايا الشمسية.

من أجل إنجاح سياسة المحافظة السامية ترصد لها الدولة كل الدعم بغية تحقيق صناعة الطاقة الشمسية بالمواصفات العالمية من جهة ومن جهة ثانية تسمح بتلبية الاحتياجات الوطنية، وفي نفس الإطار تقوم الكفاءات الوطنية من مهندسين وخبراء وتقنيين متخصصين بالعمل الجاد والمستمر لتطوير تكنولوجيات استغلالها مع خفض التكاليف وتحقيق الاستغلال العقلاني للموارد الطاقوية الوطنية من خلال تحسين الإدارة والكفاءة في التسيير، ومن أجل ذلك تم التحديد الدقيق لمهام كل مركز من مراكز تنمية الطاقات المتجددة والتي كانت تتكفل بإعداد أعمال البحث العلمي والتقني داخل الوطن،إضافة إلى دراسة واستغلال جميع الإمكانات الإيجابية المتوفرة محليا مع ضمان تكوين مستخدمي قطاع الطاقات المتجددة.

وقد دعمت هذه المراكز بمحطات تجريبية تقوم بالتجارب المختلفة في مجال التقنيات المتجددة والاستفادة منها والعمل على تطويرها من أجل وضعها في خدمة التنمية، خاصة إذا نظرنا إلى الدور الذي يلعبه قطاع الطاقة في الجزائر فهو يلعب إضافة إلى دوره في تأمين خدمات الطاقة للاقتصاد دورا ماليا لأنه يمثل مصدر التمويل الرئيسي بالنسبة للخزينة والدولة كلل ومنه تبقى الحاجة إلى بدائل فاعلة تلعب نفس الدور الذي تلعبه المصادر التقليدية الحالية عند نضوبها.

٣.٣. آفاق استغلال الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستديمة بالجزائر:

إن جهود الجزائر الحالية هي استغلال الطاقات المتجددة لتقليل من حدة التغيرات المناخية، حيث قامت بتوليد غاز الميثان من النفايات الصلبة واستخدام في تسخين المياه وإنتاج الكهرباء، مما سمح لهذا المشروع بتقليص حجم انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون بـ 15 مليون طن، من المشاريع الأخرى محطة ريحية لتوليد الكهرباء بقدرة 8 جيغاواط في السنة وتسمح بالتخلص من 6,6 طن من ثاني أكسيد الكربون في السنة ومشاريع أخرى تتعلق بضخ المياه والإنارة العمومية والاتصالات وغيرها[1].

وبالنظر إلى الدور الحيوي الذي تلعبه الطاقة الكهربائية بالنسبة لاقتصاد أي دولة تعتزم الجزائر إنتاج 30 % من طاقتها الكهربائية انطلاقا من المصادر المتجددة في آفاق 2050 بحيث يتم إنتاج 23000 ميغاواط انطلاقا من الطاقة الشمسية، منها 17000ميغاواط موجهة للسوق المحلية و 6000 ميغاواط للتصدير[2]، ومن أجل تحقيق ذلك تدخل الجزائر في شراكات مع دول الإتحاد الأوروبي بغية الاستفادة من التكنولوجيات والخبرات التي اكتسبوها، كاتفاق التعاون الذي أبرمته مع ألمانيا والذي بموجبه تلتزم شركة الألمانية المتخصصة في الطاقة الشمسية (سونارجي جي أم بي أش) بتطوير مصنع لسيليسيوم الشمسي بطاقة إنتاجية تقدر بـ 5 آلاف طن سنويا.

---

[1]- باسل اليوسفي، علي القرة غولي، **جدوى اقتصادية وبيئية من استغلال الطاقات المتجددة في المنطقة العربية**، مجلة البيئة والتنمية، العدد ١٠٨، مارس ٢٠٠٧.

[2] - Bulletin Des Energies Renouvelables, Semestriel N°18, 2010, Ministère De l'Enseignement Supérieur Et la Recherche Scientifique, Direction Générale De La Recherche Scientifique Et Du Développement Technologique, Publication Du Centre De Développement Des Energies Renouvelables.

بالإضافة إلى ذلك تحوز الجزائر على عدة مشاريع لاستغلال وتطوير تكنولوجيات الطاقات المتجددة من أجل النهوض بعملية تنمية المناطق النائية البعيدة، خاصة وأننا نعرف أن هذا الوطن مترامي الأطراف والكثافة السكانية تقل في الأماكن البعيدة، مما يجعل إيصال شبكة الكهرباء إليها غير اقتصادي وهنا يكون الحل الأمثل لتنمية هذه المناطق هي استغلال الطاقات المتجددة وبالأخص الشمسية في الجنوب الكبير لتوفرها وبإمكانيات ضخمة، ومن الأمثلة على ذلك مشروع كهربة ٢٠ قرية بالجنوب الكبير والذي كان له الأثر الإيجابي على حياة سكان هذه المناطق.[1]

تلعب الطاقات المتجددة دورا جوهريا بالنسبة لتنمية المناطق البعيدة حيث يسمح الحصول على خدمات الطاقة بتحسين مستوى المعيشة والتعليم والصحة وكذا التقليل من حدة البطالة في هذه المناطق نتيجة لفرص العمل التي توفرها في تركيب وتشغيل وصيانة نظم الطاقات المتجددة، ومنه نقول أن الطاقات المتجددة تلعب دورا أساسيا في تحقيق تنمية مستديمة في هذه المناطق ،مما يجعلها قادرة على تحقيقها في كافة المناطق.

إضافة إلى هذا الدور التنموي يجب على الجزائر تركيز الجهود على جعل أسعار هذه الطاقات تنافسية، ومن ثم العمل على كسب حصة من السوق الدولية تسمح لها بتأمين موارد مالية في حالة نضوب مصادر الطاقة الأحفورية وبالأخص البترول والغاز الطبيعي، والتفكير الجاد في مرحلة ما بعد البترول حتى لا تجد نفسها في وضع قد يعيدها إلى حالتها المدينة أين عانت من تبعات الديون لسنوات طويلة، أين كانت خدمة الدين في بعض الحالات أكبر من المداخيل، لذا وجب على الجزائر الاستعداد الجدي لهذه المرحلة. وذلك لا يتم إلا من خلال توجيه الجهود نحو تطوير المصادر المتجددة، خاصة وأنها تتوفر على إمكانات هائلة كما سبق ورأينا.

خاتمة:

لجعل النمو الاقتصادي والتنمية متوافقتان مع مقاييس التوازن المناخي؛ ولضمان محيط مستدام، ينبغي القيام بتغيير جذري واختيار تنمية نظيفة واقتصاديات خضراء، تصدر نسب كربون أقل. ويمكن في هذا الإطار الاستفادة من آلية التنمية النظيفة التي اعتمدها بروتوكول "كيوتو" في تطبيقات الطاقة المتجددة للحد من غازات التدفئة وتحقيق تنمية نوعية، توافق بين الفعالية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وتسيير رشيد للموارد الطبيعية، بإعادة النظر ليس فقط في أنماط الإنتاج، بل في الاستهلاك كذلك.

ورغم الانتقادات التي تزعم أن دعم مشروعات الطاقة البديلة يشكل عبئاً على دافعي الضرائب من جهة بل وقد يرفع سعر الكهرباء من جهة أخرى.إلا أن المزايا التي تتيحها من خلال توفير فرص عمل جديدة، تسهم في تقليل معدلات البطالة التي عمقتها الأزمة المالية والاقتصادية العالمية.

وفما يتعلق بحالة الجزائر، يمكن تقديم **الاقتراحات** التالية:

- أمام إمكانيات الجزائر البترولية المحدودة والاحتياطات المتوفرة حاليا والاستهلاك الذي يقتضيه التطور الاقتصادي والاجتماعي؛ينبغي تعويض جزء مهم من الطاقات التقليدية بطاقة متجددة و صديقة للبيئة. بتبني إستراتيجية خضراء

[1]- ذبيحي عقيلة، **الطاقة في ظل التنمية المستدامة "دراسة حالة الطاقة المستدامة في الجزائر"**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٩.

مرتكزة على معايير مستدامة يلتزم بها الجميع،الحكومة والمؤسسات والشركات والأفراد وهو ما سيحقق مكاسب طويلة الأجل للاقتصاد الجزائري (تقليل معدلات البطالة وزيادة الفعالية الاقتصادية) والبيئة على حد سواء.

- تدعيم إمكانيات الجزائر من مصادر الطاقة المتجددة وجعلها أكثر ربحية.

- على الدولة أن تتدخل ببعض المساعدة لتطوير سوق الطاقات المتجددة، بالنظر لمؤهلات الجزائر في هذا المجال،مقارنة بجيراننا،والتي سبقتنا بأشواط مهمة.

- إعطاء الأهمية الحيوية للموارد البشرية، من خلال تكوينها وتأهيلها.

- أهمية دعم التكنولوجيا والبحث العلمي، خاصة في مجال البحث عن البدائل الطاقوية وتطوير الطاقات المتجددة.

- تفعيل القوانين والتشريعات لتشجيع استعمال الطاقة المتجددة والنظيفة، وترشيد استعمال الطاقة الأحفورية.

قائمة المراجع:

أ. باللغة العربية:

١. أبو شهاب المكي، الطاقات المتجددة، http :www .tkne .net /vb/t26579 .html بتاريخ: ٢٠١٤/١٠/٠٢.

٢. الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا –إسكوا- ، "إمكانات وآفاق توليد الكهرباء من مصادر الطاقة المتجددة في دول الإسكوا، الجزء الثاني النظم الشمسية الحرارية"، ٢٠٠١.

٣. باسل اليوسفي، علي القرة غولي، جدوى اقتصادية وبيئية من استغلال الطاقات المتجددة في المنطقة العربية، مجلة البيئة والتنمية، العدد ١٠٨، مارس ٢٠٠٧.

٤. ذبيحي عقيلة، الطاقة في ظل التنمية المستدامة– دراسة حالة الطاقة المستدامة في الجزائر-، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٩.

٥. عادل مدور، المصادر الجديدة والمتجددة، مجلة أخبار النفط والصناعة، شركة أبو ظبي للطباعة، الإمارات المتحدة، العدد 430 ، ٢٠٠٦.

٦. عبد الجبار خلف، الاهتمام العالمي بالطاقة المتجددة ومصادرها ، الوكالة الدولية للطاقة (ارينا)، ٢٠١١.

٧. عبد علي الخفاف، ثعبان كاظم خضير، الطاقة وتلوث البيئة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن. ٢٠٠٧.

٨. علقمة مليكة ،كتاف شافية،الإستراتيجية البديلة لاستغلال الثروة البترولية في إطار قواعد التنمية المستدامة،، مداخلة في إطار الملتقى الدولي حول التنمية المستدامة و الكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، والذي نظمته كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير بجامعة فرحات عباس، سطيف،٠٨/٠٧ أفريل ٢٠٠٨ .

٩. عمر شريف، استخدام الطاقات المتجددة ودورها في تحقيق التنمية المحلية المستدامة دراسة حالة الطاقة الشمسية في الجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة باتنة. ٢٠٠٧.

١٠. اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، السكرتارية الفنية لمجلس الوزراء العرب المسئولين عن شئون البيئة، برنامج الأمم المتحدة للبيئية – المكتب الإقليمي لغربي آسيا، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول،الطاقة لأغراض التنمية المستدامة في المنطقة العربية:إطار للعمل، ٢٠١١.

١١. مجلة نور"NOOR"، العددين ٩ و١٠، الصادرة عن مجموعة سونلغاز، مارس ٢٠١٠.

١٢. محمد رأفت اسماعيل رمضان، علي جمعان الشكيل، الطاقة المتجددة، دار الشروق، لبنان، ١٩٨٨.

١٣. محمد مصطفي الخياط ، "الطاقة البديلة ... تحديات وآمال"، السياسة الدولية – أفريل ٢٠٠٦، العدد ١٦٤ - المجلد ٤١.

١٤. محمد مصطفي الخياط وماجد كرم الدين محمود، "الطاقة المتجددة ... الحاضر ومسارات المستقبل"، ورشة عمل عن أنواع الطاقة المتجددة، برعاية مؤسسة هانس زايدال الألمانية، القاهرة-مصر. أوت ٢٠٠٩.

١٥. مريم بوعشير، دور وأهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وع التسيير منتوري –قسنطينة-، ٢٠١٠-٢٠١١.

١٦. نواف الرومي، منظمة الأوبك وأسعار النفط الخام، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ٢٠٠٠.

١٧. هشام الخطيب، مصادر الطاقة المتجددة والتطورات التقنية والاقتصادية عربيا وعالميا http://www.enginefactory.com.eg/flach/power.doc ،٢٠١٠/١٢/١٥

ب. باللغة الفرنسية:

18.Amaidjia Adnani Hania , Energie Solaire et Hydrogène, Développement Durable, OPU, Algérie, 2007.
19.Bulletin Des Energies Renouvelables, Semestriel N°18, 2010, Ministère De l'Enseignement Supérieur Et La Recherche Scientifique, Direction Générale De La Recherche Scientifique Et Du Développement Technologique, Publication Du Centre De Développement Des Energies Renouvelables.
20. Chitour Chams Eddine, Pour Une Sstratégie Eénergétique De l'Algérie à l'horizon 2030, OPU, Algérie, 2003.
21. CQ Researchers , "Alternative Fuels", CQ Series, Vol. 15, No. 8. Fev 2007.
22. http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2011/07/24/feature-01, 01/07/2011.
23. http://www.windpower-monthly.com/WPM:WINDICATOR:244906826, accessed 12.09.14.
24. international L'Actuel, le magazine de l'économie et du partenariat international ; N°124, février2011.
25. Renewable Energy Policy Network for the 21st Century , "Renewable 2007: Global Status Report". Dec 2007.
26. WWF.Greenpeage,, De l'Energie Propre Pour Un Développement Durable – Choisissez l'Energie Positive –, 2002.
27. www.mowr.gov.iq:81/rafidain-mag/mainview.php?id 22/07/2011.

التعليم الالكتروني ركيزة مجتمع المعرفة

د.لطفية على الكميشي/جامعة طرابلس،ليبيا

ملخص:

إن الانتقال من نظام التعليم التقليدي والذي يعتبر المعلم محور العملية التعليمية إلى نظام التعليم الالكتروني والذي يقوم على مبدأ هام وهو الوصول بالتعلم للمتعلم بغض النظر عن المكان والزمان وعليه يتطلب تحولا جذريا في أدوار المعلم المعروفة إلى أدوار ووظائف حديثة في ظل التعليم الالكتروني.

وهنا يتحتم على جهات الاختصاص العمل على تدريب المعلمين على التزود بمهارات التصميم التعليمي التي تهتم بكيفية إعداد البرامج التعليمية والمناهج الدراسية كما يجب على معلمي التعليم عن بعد الإلمام بكل المستجدات والمستحدثات التربوية وكيفية عرض المادة بأسلوب ممتع للطالب.كماأن بيئة التعليم الالكتروني تتطلب دراية كاملة وفن مهارة التعامل مع الحاسوب وإمكاناته وخدمات شبكة الأنترنت وكيفية توظيفها من قبل المعلم والمتعلم،لأن بيئة التعلم الالكتروني تعد بيئة تعلم مادية لها مكوناتها ومواصفاتها وإعدادها فهي عبارة عن فصول يتم تجهيزها لتدريب الطلبة على استخدام جميع وسائل التعلم الالكترونية من أقراص مدمجة وكتب ومقررات الكترونية والاتصال عبر شبكة الأنترنت تحت إشراف المعلم الفطن الذي يقدر ثمن المعلومة والذي يعي بأنه كل يوم لا تزداد فيه خبراته فإنه يتأخر سنوات وسنوات ولهذا كان لزاماً أن نوظف التقنية في المجال التربوي والتعليمي حتى نصل إلى المستوى الذي يتطلبه التعليم الالكتروني.

وأن مجتمع المعرفة هو مجتمع الإنسان المجدد والذكاء المشترك والعقل الفعال والمعلومة الدقيقة.كما يمكننا القول بأن كل المجتمعات قادرة على أن تكون مجتمعات معرفية لولا الفوارق المتباينة بينها من حيث ذكاء الموارد البشرية وتفوقها وقدرتها على الخلق والتجديد وتلك القدرة رهينة التحكم في المعلومات وحسن توظيفها والتي تعتبر من أبرز سمات المجتمعات المتقدمة اليوم والتي تتمتع بقدرات هائلة في الوصول إلى المعلومة والتحكم فيها وحسن توظيفها وابتكارها لآليات وتقنيات حديثة ومتطورة في مجال التعليم مثل التعليم المفتوح،التعليم عن بعد،التعليم الالكتروني.ِ- إن مجتمع المعرفة يعنى" قدرة نوعية على التنظيم وإيجاد آليات راقية وعقلانية في مجال التسيير وترتيب الحياة والتحكم في الموارد المتاحة وحسن استثمارها وتوظيفها وخاصة الموارد البشرية الموقع الملائم في تحقيق النمو الاقتصادي كما يعنى هذا المفهوم كذلك تطوير أنماط التصدق والتحكم في القدرات المتنوعة.

وبلغة الاقتصاد تعنى إقامة مجتمع المعرفة تأسس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة الإنتاج السريعة الذي تشتق القيمة الاقتصادية فيه أساساً من استنضاب المواد الخام القائم الآن في أغلب البلدان العربية إما مباشرة في البلدان العربية النفطية أو اشتقاقاً في غيرها نتيجة للاعتماد على المعونات وتحويلات العاملين من الأولى.

وبناء على ماسبق نستطيع القول أن مجتمع المعرفة هو مجتمع الإنسان المجدد والذكاء المشترك والعقل الفعال والمعلومة الدقيقة.كما يمكننا القول بأن كل المجتمعات قادرة على أن تكون مجتمعات معرفية لولا الفوارق المتباينة بينها من حيث ذكاء الموارد البشرية وتفوقها وقدرتها على الخلق والتجديد وتلك القدرة رهينة التحكم في المعلومات وحسن توظيفها والتي تعتبر من أبرز سمات المجتمعات المتقدمة اليوم والتي تتمتع بقدرات هائلة في الوصول إلى المعلومة والتحكم فيها وحسن توظيفها وابتكارها لآليات وتقنيات حديثة ومتطورة في مجال التعليم مثل التعليم المفتوح، التعليم عن بعد، التعليم الالكتروني.

مقدمة:

يعد ظهور مجتمع المعرفة نتاجاً لظهور مايسمى باقتصاد المعرفة،والذي من أبرزه ثورة الاتصالات والإقبال على استخدام تقنية المعلومات

ودائماً نجد أن التربويين يبحثون عن أفضل وأرقى الطرق والوسائل لتوفير بيئة تعليمية تعمل على جذب انتباه واهتمام الطلبة لتسهيل عملية تبادل الخبرات،ويعتبر الحاسوب من أنجح هذه الوسائل ولا ننكر أن هناك تغييرات واضحة فى مجال الحقل التربوي والتعليمي وهذا التغيير شهدته المناهج التعليمية لتواكب المتطلبات الحديثة وسوق العمل.

إن دخول الحاسوب في التعليم أدى إلى إحداث ثورة في مناهج التدريس مما استدعى إدخال بعض التعديلات في طرق التدريس وبذلك بدأ التحول من التركيز على التدريس إلى التركيز على التعلم الذي يؤثر على اكتساب مخططات ذهنية جديدة ومعارف وقدرات ومهارات،ونظرا للتغيرات الكبيرة التي يشهدها المجتمع مع دخول عصر المعلومات وثورة الاتصالات فإن برامج المؤسسات التعليمية بحاجة إلى إعادة البناء والتطوير لمواكبة تسارع العصر.ولهذا أصبح من الضروري إصلاح النظام التربوي بجميع مدخلاته ومخرجاته خصوصا في ضل عجز النظام الحالي عن مواجهة التحديات التي أفرزتها تقنية المعلومات والاتصال وتحول العالم من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلوماتي.

مشكلة الدراسة:

من المسلم به أن النظام التعليمي الحالي عاجز عن مواجهة التحديات التي أفرزتها التقنية،وقد تحول العالم من مجتمع صناعي إلى مجتمع معرفي وهناك تنافس كبير بين الدول للسعي الى إصلاح نظامها التعليمي وذلك بالانفتاح على تقنيات العصر التي فرضت نفسها على المجتمعات العربية.ونستطيع أن نصل إلى حصر مشكلة البحث في **التساؤل** الآتي:

كيف يمكن أن نوظف التعليم الالكتروني لتحقيق أسس مجتمع المعرفة في المؤسسات التعليمية؟.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية التعليم الالكتروني في مقدرته على حل العديد من المشكلات والتي من بينها الأعداد المتزايدة في المؤسسات التعليمية وعدم قدرتها على استيعابها.

أهداف الدراسة:

- إبراز دور تقنية المعلومات وتوظيفها في العملية التعليمية.
- التعرف على خصائص مجتمع المعرفة.

- تحديد عناصر التعليم الالكتروني.
- توضيح متطلبات التعليم الالكتروني في ظل مجتمع المعرفة.
- رؤية استشرافية على مستقبل التعليم الالكتروني لتحقيق مجتمع المعرفة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المراجع النظرية للإنتاج الفكري في موضوع التعليم الالكتروني ومجتمع المعرفة.

مصطلحات الدراسة:

١-التعليم الالكتروني:

هو وسيلة من الوسائل التي تدعم العملية التعليمية وتحولها من طريقة التلقين إلى طريقة الإبداع حيث يقدم أحدث الطرق في مجال التعليم وذلك بعرض كامل للمناهج(المحتوى التعليمي) من خلال شبكة المعلومات الدولية(الأنترنيت).

٢-مجتمع المعرفة:هو مجموعة من الناس ذوي الاهتمامات المتقاربة،الذين يحاولون الاستفادة من تجميع معرفتهم سويا بشأن المجالات التي يهتمون بها،وخلال هذه العملية يضيفون المزيد إلى هذه المعرفة،وهكذا فإن المعرفة هي الناتج العقلي والمجدي لعمليات الإدراك والتعلم والتفكير.

٣-تقنية المعلومات :جميع أنواع التقنية المتقدمة (الأجزاء المادية للحاسوب وملحقاته،البرمجيات،الشبكات، الاتصالات،قواعد البيانات،الإجراءات،الأفراد) التي تستخدم في الاستحواذ على البيانات والمعلومات وتنظيمها ونقلها وخزنها.

تساؤلات الدراسة:

- هل لمجتمع المعرفة أركان أساسية يقوم عليها؟
- هل سمات مجتمع المعرفة تستمد أساساً من سمات تقنية المعلومات؟
- هل لتقنية المعلومات دور كبير في الوصول إلى مجتمع المعرفة؟
- هل الحقائب التعليمية تعتبر من ضمن أهداف التعليم الالكتروني؟
- هل للتعليم الالكتروني مزايا وعيوب؟
- هل هناك متطلبات ضرورية للتعليم الالكتروني للوصول إلى مجتمع المعرفة؟

مجتمع المعرفة:

هو المجتمع القائم على اكتساب وإنتاج وتوظيف المعرفة وتسخيرها فى خدمة التنمية وهو مجتمع تتعدد فيه مناهل العلم والثقافة وذلك بتكامل منظومة التعليم والتنمية،ويتميز مجتمع المعرفة بأنه متقدم فى كافة مجالات الحياة من خلال مواكبته للأحداث ومستجدات العصر لاستخدامه التقنية الرقمية.ويقوم مجتمع المعرفة على أركان أساسية هي:حرية الرأي والتعبير،سد الفجوة المعرفية إنتاج المعرفة وتوظيفها[1].

[1]- عبد الله تركماني/ مجتمع المعرفة وتحدياته في العالم العربي،٢٠٠٩.موجود على الرابط: ww.dctcrs.org

مفهوم مجتمع المعرفة:

وقبل أن نصل إلى تعريف مجتمع المعرفة يجب أن نعرج على مايسمى بدورة المعرفة الرسمية :

دورة المعرفة الرسمية :

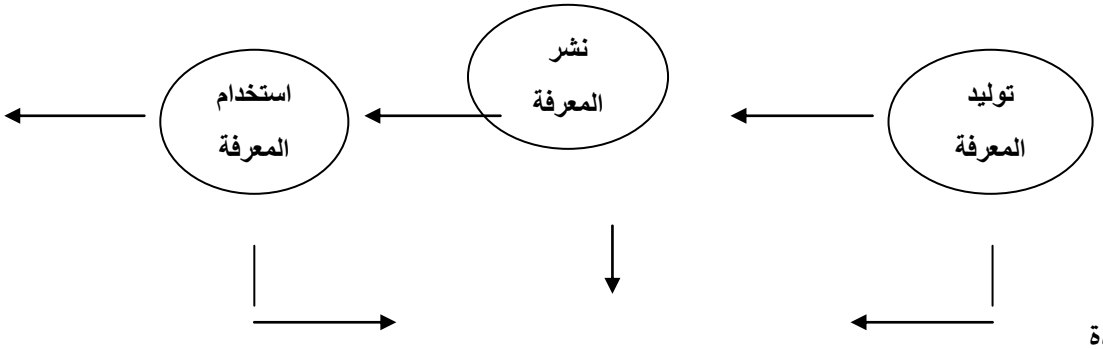

-**توليد المعرفة:**حيث تنطلق المعرفة في التفاعل بين الحقائق والمعارف المتوفرة من جهة وبين عقل الإنسان وقدرته على التفكير والإبداع من جهة أخرى.

-**نشر المعرفة:**الإنسان بطبيعته يحتاج إلى المعرفة في كافة أموره،وعليه فإن ضرورة اكتساب المعرفة للإنسان تماثل ضرورة حصوله على قوته اليومي.

-**استخدام المعرفة:**إن قوة المعرفة تأتى نتيجة توظيفها بكفاءة في مختلف شؤون الحياة،ولا ننسى مدى تأثير البيئة على دورة المعرفة في توليدها ونشرها وتوظيفها.

من خلال النقاط السالف ذكرها تبرز مؤشرات يمكن الاعتماد عليها في تحديد ووصف مجتمع المعرفة والتي [1]تكمن في الآتي:مدى الاهتمام بالبحث والتنمية،الاعتماد على الحاسوب والأنترنت،القدرة في مجال إنتاج ونشر المعرفة،ومع أهمية هذه العناصر يبرز عنصر مميز لهذا المجتمع ألا وهو"إنتاج المعرفة" باعتبار أن المعرفة أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد الجديد والذي تكون فيه المعرفة محل العمل ورأس المال[2].

وقد انبثقت عدة تعريفات لمجتمع المعرفة نورد منها:

- " أنه ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي:الاقتصاد،والمجتمع المدني،والسياسة،والحياة الخاصة وصولاً لترقية الحالة الإنسانية أي إقامة التنمية الإنسانية."[3].

---

[1] عبد الرحمن عبد السلام جامل،محمد عبد الرزاق إبراهيم :التعليم الالكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة ،بحث مقدم إلى المؤتمر والمعرض الدولي الأول لمركز التعليم الالكتروني:التعلم الالكتروني حقبة جديدة فى التعلم والثقافة،١٧-١٩/ ٤/٢٠٠٦.

[2] المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة :حرية الرأي والتعبير وحرية المعلومات ا لركيزة الأساسية لمجتمع المعرفة ، القاهرة:مجلة الدراسات الإعلامية،عدد ١١٣/ ديسمبر/ ٢٠٠٣.

[3] المنصف وناس:مجتمع المعرفة والإعلام،مجلة الإذاعات العربية،ع٢،٢٠٠٢،٤.

- إن مجتمع المعرفة يعني"قدرة نوعية على التنظيم وإيجاد آليات راقية وعقلانية في مجال التسيير وترتيب الحياة والتحكم في الموارد المتاحة وحسن استثمارها وتوظيفها وخاصة الموارد البشرية الموقع الملائم في تحقيق النمو الاقتصادي،كما يعنى هذا المفهوم كذلك تطوير أنماط التصدق والتحكم في القدرات المتنوعة."[1].

- وبلغة الاقتصاد تعنى إقامة مجتمع المعرفة تأسس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة الإنتاج السريعة الذي تشتق القيمة الاقتصادية فيه أساساً من استنضاب المواد الخام القائم الآن في أغلب البلدان العربية إما مباشرة في البلدان العربية النفطية أو اشتقاقاً في غيرها نتيجة للاعتماد على المعونات وتحويلات العاملين من الأولى."[2]

وبناء على ماسبق نستطيع القول أن مجتمع المعرفة هو مجتمع الإنسان المجدد والذكاء المشترك والعقل الفعال والمعلومة الدقيقة.

خصائص مجتمع المعرفة:

من المسلم به أن سمات مجتمع المعرفة تستمد أساساً من سمات تقنية المعلومات ذاتها،والتي تندرج في النقاط التالية:

- إن المعلومات غير قابلة للاستهلاك لأنها تراكمية.
- إن القيمة الحقيقية للمعلومات هو رفض عدم التأكد وتنمية قدرة الإنسانية على اختيار أكثر القرارات فاعلية.
- يجب أن تقوم تقنية المعلومات على أساس التركيز على العمل الذهني وتعميقه وذلك من خلال إبداع المعرفة وحل المشكلات وتنمية الفرص المتعددة أمام الإنسان.[3]

ويصل بعض الباحثين إلى تحديد إطار مجتمع المعرفة في الملامح التالية:

١- المنفعة المعلوماتية من خلال إنشاء بنية تحتية معلوماتية تقوم على أساس الحواسيب الآلية فى صورة شبكات المعلومات وبنوك المعلومات.

٢- إن صناعة المعلومات هي التي ستهيمن على البناء الصناعي.

٣- إن تحقيق أعلى درجة متقدمة من مجتمع المعرفة ستتمثل بمرحلة تتسم بإبداع المعرفة من خلال استخدام شبكة الانترنت عالمياً.

٤- إن تقنية المعلومات لها دور كبير في الوصول إلى مجتمع المعرفة.

٥- يتميز مجتمع المعرفة باحتوائه على فئات كبيرة تتعامل مع المعلومات وهي:

- فئة صغيرة تعمل في خلق معلومات جديدة،وتضم كل من (العلماء والباحثون والمصممون والمبدعون) الذين لديهم القدرة على خلق معلومات جديدة.
- فئةكبيرة تعمل في نقل وتوصيل المعلومات والمعارف،وتتمثل في العاملين في البريد والهاتف والأنترنت.
- الفئة العاملة في تخزين المعلومات واسترجاعها كأخصائيي المعلومات وأمناء المكتبات والموثقين.
- فئة الطلاب وهم يقضون جل وقتهم في استقبال المعلومات والتزود بها.

٦- تتزايد كميات المعلومات على وسائط متعددة بدل الأشكال التقليدية،وهذا بدوره سينعكس على طبيعة وشكل التعليم.[4]

أبعاد مجتمع المعرفة:

---

[1] المنصف وناس:مجتمع المعرفة والإعلام،مجلة الإذاعات العربية،ع٢،٢٠٠٢،٤.

[2] السيد ياسين:العالمية والعولمة،القاهرة:نهضة مصر،٢٠٠٠.

[3] محمد محمد الهادي:تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها،القاهرة،دار الشروق،١٩٨٩.

[4] عبد الله تركماني/مجتمع المعرفة وتحدياته في العالم العربي،٢٠٠٩.موجود على الرابط: www.dctcrs.org

١- **البعد الاقتصادي**:لا شك أن الاقتصاد يلعب دوره في خدمة مجتمع المعرفة حيث تعتبر المعلومة في مجتمع المعرفة هي السلعة أو الخدمة الرئيسية لأن اقتصاد المعرفة يرتبط بالابتكار و التجديد والتطوير.

٢- **البعد التقني**:أي أن مجتمع المعرفة يعنى مواكبة تقنية المعلومات وتوظيفها في كافة مجالات الحياة وضرورة الاهتمام بالوسائط الإعلامية والمعلوماتية،إضافة إلى توفير البنية اللازمة من وسائل اتصال وتكنولوجيا الاتصالات لتكون في متناول الجميع.

٣- **البعد الاجتماعي**:إن المجتمع أيضا مطالب بتوفير الوسائط والمعلومات الضرورية من حيث الكم والكيف.

٤- **البعد الثقافي**:ويعنى مجتمع المعرفة إعطاء اهتمام وأهمية بالغة للمعلومة والمعرفة والاهتمام بالقدرات الإبداعية وتوفير إمكانية حرية التفكير والإبداع والعدالة في توزيع العلم والمعلومة بين كافة طبقات وشرائح المجتمع.[1]

مفهوم التعليم الالكتروني:

ورد التعليم الالكتروني بعدة تعريفات منها:

- يرى البعض بأنه هو الذي يتم باستخدام تقنية المعلومات والاتصالات كواسطة لتوفير أو توصيل المادة التعليمية ومن أمثلة ذلك:

التلفزيون التعليمي**InterativTv** وبث الأقمار الصناعية والحواسيب الشخصية والأقراص المدمجة **Cd – Rom** والأقراص المسموعة **Audio** والأشرطة المرئية **Video** والأقراص المرئية الرقمية **DVD** وشبكة المعلومات الدولية(الأنترنت).

- هو تقديم البرامج التدريبية والتعليمية عبر وسائط الكترونية متنوعة تشمل الأقراص وشبكة المعلومات الدولية(الأنترنت) بأسلوب متزامن أو غير متزامن وباعتماد مبدأ التعلم الذاتي أو التعلم بمساعدة معلم وهو من أهم وسائل التعليم عن بعد ولكن ليس الوسيلة الوحيدة.

- هو استعمال تكنولوجيا الوسائط المتعددة الحديثة لتحسين نوعية التعلم،وذلك بإتاحة الوصول إلى المصادر والخدمات بسهولة.[2]

- هو طريق للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات الكترونية.[3]

أهداف التعليم الالكتروني:

يمكن من خلال التعليم الالكتروني تحقيق العديد من **الأهداف** منها:

١ زيادة فاعلية المعلمين وزيادة عدد طلاب الشعب الدراسية.

---

[1] محمد على الأعور:ندوة التعليم العالي والتنمية في الجماهيرية،ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر:ج٧،٢٠٠٢،ص٦٣.

[2] محمد ذبيان غزاوي،"التعليم الالكتروني"،ورقة مقدمة إلى ورشة العمل الإقليمية للمسؤولين عن برامج تدريب المعلمين في مجال المعلوماتية التربوية ،المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) والمركز العام لتدريب المعلمين باللجنة الشعبية العامة للتعليم .وبالتنسيق مع اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم،طرابلس،ليبيا:٢-٦/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

[3] عبد الله عبد العزيز الموسى :"التعليم الالكتروني :مفهومه،خصائصه،فوائده،عوائقه"،ورقة مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة ١٦-١٤٢٣/٨/١٧،جامعة الملك سعود.

٢ تقديم الحقيبة التعليمية بصورتها الالكترونية للمعلم والطالب معا وسهولة تحديثها مركزيا من قبل جهة الاختصاص.

٣ توفير الكثير من الوقت لدى المتعلمين.

٤ نشر التقنية في المجتمع وإعطاء مفهوم أوسع للتعليم المستمر.

خصائص التعليم الالكتروني:

١ إحداث تفاعل حي بين المعلم والمتعلم على السبورة الالكترونية.

٢ تفاعل بين المعلم والمتعلم من خلال ناقل الصوت المتصل بالحاسب.

٣ إمكانية إتاحة الفرصة للمعلم في عمل أو استبيان فوري ليتم من خلاله معرفة مدى تفاعل الطلبة مع المحتوى التعليمي،أيضا إتاحة الفرصة للمعلم في عمل اختبار بسيط لمعرفة مدى استيعاب الطلبة.

٤ سهولة الوصول إلى المعلم حتى خارج دوامه الرسمي.[1]

٥ يمكن للمعلم عمل جولة للطلبة لأحد المواقع التعليمية المتاحة على الأنترنت.

٦ مساعدة المعلم على تقسيم الطلبة إلى مجموعات عمل صغيرة في غرف تفاعلية بالصوت والصورة ليتسنى عمل التجارب في نفس الوقت لكافة المجموعات وتمكينه أيضا من النقاش مع أي من المجموعات.

٧ تمكين المعلم والطالب من عمل تقييم فوري لمدى تجاوب الطالب من خلال اختبار سريع يتم تقييم ومناقشة تفاعل الطالب معا في الوقت نفسه.

عناصر التعليم الالكتروني:

١ الطلاب بكافة فئاتهم.

٢ المدرسة والمعلمين.

٣ أولياء الأمور.

٤ القنوات التعليمية.

٥ التقييم.

٦ الندوات الالكترونية.

٧ التسجيلات.

٨ التعلم الذاتي.

---

[1] عوض منور النهار،"أثر التكنولوجيا في التعليم"،ورقة مقدمة إلى ورشة العمل الإقليمية للمسؤولين عن برامج تدريب المعلمين في مجال المعلوماتية التربوية،والتي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(إيسيسكو) و المركز العام لتدريب المعلمين باللجنة الشعبية العامة للتعليم.وبالتنسيق مع اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم،طرابلس:٢-٦/ ١٢/٢٠٠٧م.

٩ -الأجهزة والمعدات.

١٠-شبكات الاتصال.

١١-المناهج التعليمية.

١٢-البريد الالكتروني.

١٣-المحاكاة.

١٤-المستندات.[1]

ومن بين التقنيات المستخدمة في التعليم الالكتروني:

القرص المدمج CD– الشبكة الداخلية **Intranet**- شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) **Internet**- مؤتمرات الفيديو**VideoConferences**- المؤتمرات الصوتية**Audio Conferences**- الفيديو المتفاعل**Interactive Video**- برامج القمر الصناعي**Satellite Program**

مزايا التعليم الالكتروني:

١ -تطبيق نظريات التعلم التربوية الحديثة.

٢ -المساهمة في وجهات النظر المختلفة للطلاب:إن المنتديات الفورية مثل مجالس النقاش وغرف الحوار تتيح الفرص لتبادل الآراء ووجهات النظر في المواضيع المطروحة مما يزيد من إثراء ثقافة الطالب وتتكون عنده عدة آراء سديدة.

٣ -الإحساس بالمواساة:إن أدوات الاتصال تقضى على الفوارق بين الطلبة كضعف صوت الطالب والخجل وغيرها ويصبح الطالب بإمكانه إرسال رأيه من خلال الأدوات المتاحة كالبريد الالكتروني ومجالس النقاش وغيرها.وهذه الميزة تجعل لدى الطلبة الذين يشعرون بالخوف يتمتعون بجرأة اكبر في التعبير عن أرائهم ويواجهون الموقف بقوة.[2]

٤ -سرعة تحديث المناهج.

٥ -الوصول إلى المصادر التعليمية البعيدة واستخدامها.[3]

٦ -سهولة الوصول إلى المعلم:من ميزة التعليم الالكتروني أنه أتاح فرصة الحصول على المعلم والوصول إليه بأسرع وقت وحتى خارج دوامه الرسمي،لأن المتعلم أصبح من السهل جدا عليه أن يرسل استفساراته عبر البريد الالكتروني لأنه أحيانا توجد أسئلة لا تحتمل التأجيل.

٧ -شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) تطور المدرسين وتخرجهم من عزلتهم وتربطهم بعضهم بعضا.

---

[1] عبد الله عبد العزيز الموسى "التعليم الالكتروني :مفهومه،خصائصه، فوائده،عوائقه " ورقة مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة ١٦-١٤٢٣/٨/١٧،جامعة الملك سعود.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد عاي الأعور:ندوة التعليم العالي والتنمية في الجماهيرية،ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر:ج٢،٢٠٠٧،ص٦٣.

٨ تحقيق عملية تعليمية أسهل نشرا وأكثر كفاءة واقتصادا للتكلفة والوقت والجهد.

٩ إتاحة الفرصة لأكبر عدد من فئات المجتمع للحصول على التعليم والتدريب.

١٠ -إمكانية تحوير طريقة التدريس:من الممكن أن تعرض المادة التعليمية بالطريقة التي تناسب المتعلم فمنهم من تناسبه الطريقة المرئية ومنهم من تناسبه الطريقة المسموعة وبعضهم تتناسب معه الطريقة العملية.فالتعليم الالكتروني ومصادره يتيح إمكانية تطبيق الطرق السالف ذكرها بسهولة جدا.

١١ -توفر المناهج طول اليوم وفي كل أيام الأسبوع:كل متعلم يريد أن يتعلم في الوقت الذي يفضله فمنهم من يفضل التعليم صباحا ومنهم من يفضله مساءً وهناك من لديهم التزامات شخصية.فالتعليم الالكتروني يتيح التعلم في الوقت الذي يناسب الجميع.

١٢ -الاستمرارية في الوصول إلى المناهج:في التعليم التقليدي يلتزم الطالب بموعد افتتاح وإغلاق المكتبة،أما في التعليم الالكتروني فبإمكانه الحصول على المعلومة المطلوبة في الوقت الذي يناسبه دون قيود.

معوقات التعليم الالكتروني:

١- الحاجة المستمرة لتدريب ودعم المتعلمين والإداريين في كافة المستويات،حيث أن هذا النوع من التعليم يحتاج إلى التدريب المستمر وفقا لتجدد التقنية.[1]

٢- فقر للبنية التحتية جيدة الاتصال.

٣- قلة توافر الخبراء في إدارة التعليم الالكتروني.

٤- صعوبة توفير صيانة الأجهزة في بعض المناطق.

٥- صعوبة تغير فكرة التحول من أسلوب التعليم التقليدي إلى أسلوب التعليم الالكتروني لدى المعلمين.

٦-الافتقار إلى الأمن فلا يوجد ما يعرف بالأمن في عالم الأنترنت.فأي شيء يتم إغلاقه يمكن فتحه بطريقة ما.

٧- الافتقار إلى المعلمين التربويين الذين يتمتعون بقدر كاف من التدريب لاستخدام الانترنت بكفاءة.[2]

٨- التكاليف المرتفعة لمشاريع التعليم الالكتروني نتيجة مبالغة الشركات المنفذة والمنتجة للبرمجيات وقلة خبراتها في المجال التعليمي وعدم استطاعتها تقدير احتياجات المؤسسات التعليمية.[3]

١٠- الحاجة للدعم الفني والصيانة والأدوات المتعلقة بالاتصال بالانترنت،أيضا مشكلة فيروسات الحاسوب ومشكلة ضعف مقرؤئية ومرونة استعمال شاشة الحاسوب مقارنة بالكتاب.[4]

---

[1] أطروحات في التعليم الالكتروني:مجلة التعليم الالكتروني،جامعة المنصورة"مصر"،ع١،٢٠٠٩م.http:// mansvu.mans.edu/ mag

[2] لطفية علي الكميشي :توظيف تقنية المعلومات والاتصالات في التعليم الالكتروني ،"أعمال المؤتمر الدولي الأول لتقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم والتدريب،جميل اطميزي، أحمد الفرشيشي،الحمامات،تونس ٧- ١٠/ ٥/ ٢٠١٢.

[3] – ماجدة نصر،"التعليم الالكتروني كيف نبدأ/ مجلة التعليم الالكتروني،جامعة المنصورة،١،٢٠٠٩http:// mansvu.mans.edu/ mag

[4] محمد علي الأعور/ندوة التعليم العالي والتنمية في الجماهيرية،ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر:ج٧،٢٠٠٧،ص٦٣.

خصائص التعليم الالكتروني في مجتمع المعرفة:

١ -التعليم الالكتروني له القدرة على تلبية الاحتياجات الاجتماعية والوظيفية والمهنية للملتحقين.

٢ -القدرة على تحديث وتطوير نوعية التعليم في البلاد العربية.

٣ -استثمار التقنيات الحديثة وإيجاد الدافعية للمتعلم وذلك من خلال:

أ. إن أسلوب التعليم الالكتروني يعتبر من وسائل التعلم مدى الحياة،لأنه يتيح للمتعلم فرصة الاعتماد على نفسه وحرية التعبير والمناقشة.

ب.تبسيط عرض المعلومات سمعياً وبصرياً باستخدام الحاسوب،لأن الحاسوب له إمكانية القيام بعدة أدوار كعرض الرسوم وسماع الصوت وإظهار الصورة والاتصال بالشبكات المحلية والدولية.

ت. ميزة البريد الالكتروني في السرعة وقلة التكاليف.

ث.عرض صفحة خاصة بكل مؤسسة تعليمية لعرض ما لديها من برامج تعليمية أو تدريبية.

ج. يمكن للطالب أن يتحادث عبر الأنترنت بزملاء التخصص الواحد أو الأستاذ المقرر في موضوع معين.[1]

متطلبات التعليم الالكتروني في ظل مجتمع المعرفة:

تتمثل المتطلبات في الآتي:

١ توفر أجهزة الحاسوب بدرجة كافية لكل متعلم يجيد استخدامه ويكون مسؤلا عنه.

٢ وجود كوادر مدربة لصيانة الحواسيب.

٣ توفر الاختصاصيين المؤهلين تأهيلاً جيداً على تقنيات التعليم الالكتروني واستخداماتها.

٤ توفر البرمجيات التعليمية الحديثة.

٥ توفر مختبرات خاصة بالحواسيب بمواصفات جودة عالية.

٦ توفر التقنيات الحديثة والتي تعد أعمدة التعليم الالكتروني ومن بينها:

أ. شبكة الأنترنت:والتي بدورها تقوم بأربع خدمات أساسية،وهي:(البريدالالكتروني،نقل الملفات،الاتصال عن بعد بالحاسبات،المنتديات العالمية).

ب.مؤتمرات الحاسوب. ت.الشبكة الداخلية. ث.القرص المدمج.

ج. الكتاب الالكتروني. ح .المكتبة الافتراضية.[2]

مستقبل التعليم الالكتروني لتحقيق مجتمع المعرفة:

لكي نضمن نجاح التعليم الالكتروني والوصول إلى تحقيق أهدافه ينبغي توفر عدة **عوامل** من أهمها:

١ إدخال تقنية المعلومات والاتصالات إلى المناهج التعليمية في جميع المراحل التعليمية.

٢ بناء كوادر مؤهلة في مجال التقنية علمياً وعملياً لابتكار برمجيات تتفق والاحتياجات المطلوبة.

---

[1] إبراهيم عبد الموجود حسن:الأنترنت وعولمة المعرفة:دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات،س٣، ع١،القاهرة،دار غريب،١٩٩٨.

[2] عبد الرحمن عبد السلام جامل،محمد عبد الرزاق إبراهيم :التعليم الالكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة ،بحث مقدم إلى المؤتمر والمعرض الدولي الأول لمركز التعليم الالكتروني:التعلم الالكتروني حقبة جديدة فى التعلم والثقافة،١٧-١٩/ ٤/ ٢٠٠٦.

٣ تطبيق مفهوم الحكومة الالكترونية حتى يتسنى لكل فرد من التعامل مع الجهات الحكومية وهذا يؤثر تأثيرا مباشراً في نجاح التعليم الالكتروني.

٤ الاستعانة بالخبراء لتفادى العراقيل فى تنفيذ تجربة التعليم الالكتروني.

٥ توسيع نطاق شبكة الانترنت حتى تشمل كل المناطق النائية.

وتتضح ملامح النظرة الاستشرافية لمستقبل التعليم الالكتروني لتحقيق مجتمع المعرفة في **الشكل** التالي:

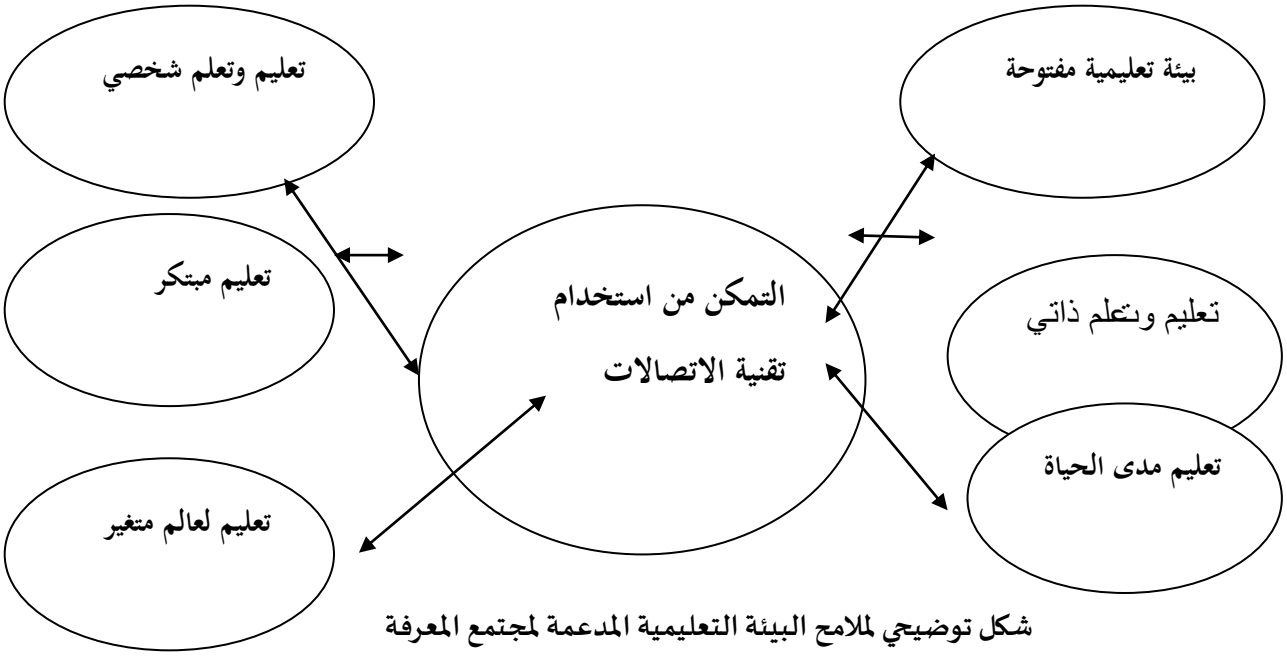

شكل توضيحي لملامح البيئة التعليمية المدعمة لمجتمع المعرفة

١ **بيئة تعليمية جديدة:**والتي تعتمد على شبكات المعرفة الالكترونية.

٢ **تعليم وتعلم شخصي:**من خلال وضع برامج تعليمية تتناسب مع مختلف مستويات التحصيل الدراسي.

٣ **تعليم مبتكر للمعرفة:**يتم ذلك من خلال استهداف النظام التعليمي لابتكار المعارف.

٤ **تعليم وتعلم ذاتي:** عن طريق الاعتماد على الحاسب الآلي المنزلي.

٥ **تعليم لعالم متغير:**من خلال تطوير التعليم بما يتفق واحتياجات المجتمع.

٦ **تعليم مدى الحياة:**بتطوير الوسائل التقنية للتعليم يصبح عملية ممتدة مدى الحياة.[1]

قائمة المراجع:

١-السيد ياسين: العالمية والعولمة،القاهرة:نهضة مصر،٢٠٠٠.

٢- محمد علي الأعور:ندوة التعليم العالي والتنمية في الجماهيرية،ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر:ج٧،٢٠٠٢.

٣- محمد محمد الهادي:تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها،القاهرة،دار الشروق، ١٩٨٩.

[1] لطفية على الكميشي :ورقة مقدمة للندوة العلمية الأولى للمعلومات بعنوان "المعلومات والتنمية"بعنوان(توظيف الحاسوب في العملية التعليمية)والتي نظمتها أكاديمية الدراسات العليا بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث بمؤتمر الشعب العام١٥-١٧/ ١٢/ ٢٠٠٢.

4-إبراهيم عبد الموجود حسن:الأنترنت وعولمة المعرفة:دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات،س٣،ع١،القاهرة،دار غريب،١٩٩٨.

5- أطروحات في التعليم الالكتروني:مجلة التعليم الالكتروني،جامعة المنصورة،مصر،ع٩،٢٠٠٩م.http:mansvu.mans.edu/ mag

6- ماجدة نصر،التعليم الالكتروني كيف نبدأ/مجلة التعليم الالكتروني،جامعة المنصورة،١،٢٠٠٩ /http:// mansvu.mans.edu/ mag

7-المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة.حرية الرأي والتعبير وحرية المعلومات الركيزة الأساسية لمجتمع المعرفة،القاهرة: مجلة الدراسات الإعلامية،عدد ١١٣/ ديسمبر/ ٢٠٠٣.

8-المنصف وناس:مجتمع المعرفة والإعلام،مجلة الإذاعات العربية، ع٤، ٢٠٠٢.

9-عبد الرحمن عبد السلام جامل،محمد عبد الرزاق إبراهيم/ التعليم الالكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة،بحث مقدم الى المؤتمر والمعرض الدولي الأول لمركز التعليم الالكتروني:التعلم الالكتروني حقبة جديدة في التعلم والثقافة،١٧-١٩/ ٤/ ٢٠٠٦.

10-عبد الله عبد العزيز الموسى،"التعليم الالكتروني:مفهومه،خصائصه،فوائده،عوائقه"ورقة مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة ١٦-١٧/٨/١٤٢٣،جامعة الملك سعود.

١١-محمد على الأعور:ندوة التعليم العالي والتنمية في الجماهيرية،ط٢،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر:ج٧،٢٠٠٢.

١٢- عوض منور النهار:"أثرالتكنولوجيا في التعليم"،ورقة مقدمة إلى ورشة العمل الإقليمية للمسؤولين عن برامج تدريب المعلمين في مجال المعلوماتية التربوية.والتي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(ايسيسكو) و المركز العام لتدريب المعلمين باللجنة الشعبية العامة للتعليم.وبالتنسيق مع اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم. والتي عقدت بطرابلس من ٢-٦/ ١٢/ ٢٠٠٧.

١٣-لطفية علي الكميشي/توظيف تقنية المعلومات والاتصالات في التعليم الالكتروني،"أعمال المؤتمر الدولي الأول لتقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم والتدريب،جميل اطميزى،أحمد الفرشيشي،الحمامات،تونس ٧- ١٠/ ٥/ ٢٠١٢.

١٤- لطفية على الكميشي:ورقة مقدمة للندوة العلمية الأولى للمعلومات بعنوان "المعلومات والتنمية "بعنوان (توظيف الحاسوب في العملية التعليمية) والتي نظمتها أكاديمية الدراسات العليا بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث بمؤتمر الشعب العام في الفترة من ١٥ إلى ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٢ ف.

١٥-لطفية علي الكميشي:"دور معلم التعليم الالكتروني في تعزيز مجتمعات المعرفة "ورقة بحثية قدمت في المؤتمر المؤتمر الدولي الثالث لمركز زين للتعلم الالكتروني،جامعة البحرين تحت شعار: دور التعلم الالكتروني في تعزيز مجتمعات المعرفة،في الفترة ٦-٨/٤/٢٠١٠م.

١٦- محمد ذبيان غزاوي":التعليم الالكتروني"،ورقة مقدمة إلى ورشة العمل الإقليمية للمسؤولين عن برامج تدريب المعلمين في مجال المعلوماتية التربوية.والتي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(ايسيسكو) و المركز العام لتدريب المعلمين باللجنة الشعبية العامة للتعليم.وبالتنسيق مع اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم. والتي عقدت بطرابلس من ٢-٦/ ١٢/ ٢٠٠٧.

١٧-عبد الله تركماني: مجتمع المعرفة وتحدياته في العالم العربي،٢٠٠٩.موجود على الرابط: www.dctcrs.org.

المعابد المصرية في عصور ما قبل التاريخ

د. زينب عبد التواب رياض خميس/جامعة أسوان، مصر

ملخص:

لعب الدين دورا هاما في حياة المصري القديم فلم تكن هناك قوة تسيطر على حياته كما يسيطر الدين،فمن خلال الدين حاول تفسير الظواهر المحيطة به،وكان الدين هو المحرك الأول للحضارة المصرية القديمة،فالمصري القديم كان متديناً بطبعه؛ودفعه هذا التدين إلى الاهتمام بالعالم الآخر أكثر من اهتمامه بالعالم الدنيوي أو عالم الدنيا.واهتم كذلك بالمنشئات الدينية "**المعابد**" أكثر من اهتمامه بالمنشئات المدنية "المساكن".

ولم تتأثر حياة المصري القديم بالدين فحسب بل اختلطت وامتزجت به،ولقد كانت الطبيعة هى الدافع الأول لبزوغ الدين؛إذ فسر الإنسان ظواهرها التي عجز عن فهمها إلى أنها تعود إلى قوة خارقة عن نطاق تفكيره،وبخلاف الظواهر الطبيعية وتأثيرها على الفكر المصري القديم، لعبت الحيوانات دور هام في العقيدة المصرية القديمة،إذ يعد الشعور الغريزي بالخوف والفزع من كل ما هو مجهول سببا آخر دفع الإنسان إلى إحترام كل هذه القوى التي تؤثر في حياته دون أن يعرف ماهيتها.

الكلمات المفتاحية:هيكل الجنوب، هيكل الشمال،الجوسق،المعبد.

مقدمة:

كان الدين في المجتمع المصري القديم هو المحرك الرئيسى لشتى مجالات الحياة والدافع وراء حركته نحو التطور،وبالتالي فقد كان المعبد بوصفة مكان العبادة ومعقل الدين،هو الشاهد على ذلك التطور وعلى تلك الحضارة.[1]

ولقد كان لجغرافية مصر تأثيها ودورها المؤثر في العمارة المصرية بصفة عامة،والعمارة الدينية كجزء منها[2] ،ولقد اتسم أسلوب حياة المصري القديم منذ وقت مبكر بالاستقرار،ومن ثم فقد اتجه بتفكيره إلا أن الآلهة لابد أن تستقر هي الأخرى في أماكن تقيم فيها وتسكن بها،ومن ثم كان المعبد هو سكن الإله وتتضح الصلة بين المنزل والمعبد عندما نقارن المساكن البدائية بالهياكل المقدسة الأولى المنقوشة على الألواح ودبابيس القتال والأختام،مثل معبد خنوم ومعبد الإله سوبك ومعبد

[1] - Okon,E.E., Archaeological reflections on ancient Egyptian religion and Society, European Scientific Journal November edition vol. 8, No.26 ISSN: 1857 – 7881 (Print) e - ISSN 1857- 7431

[2] - Park, C., “Religon and geography”,in: Hinnells, J. (ed) Routledge Companion to the Study of Religion. London: Routledge, vol.17, 2004, pp.1-27.

جحوتي ومعبد نيت،ففي هذه المعابد كانت المقصورة على شكل الكوخ ذي العمد الأربعة والسقف المقبى أو المقوس[1].ومنذ عصور ما قبل التاريخ بدأت تظهر ملامح أماكن مخصصة لعبادة الآلهة في شكل أكواخ بسيطة من أغصان الشجر و مدعمة بالطين و يتصدرها فناء مكشوف ربما كان يضم رموزا للمعبود وذلك كما نرى في (شكل:١)

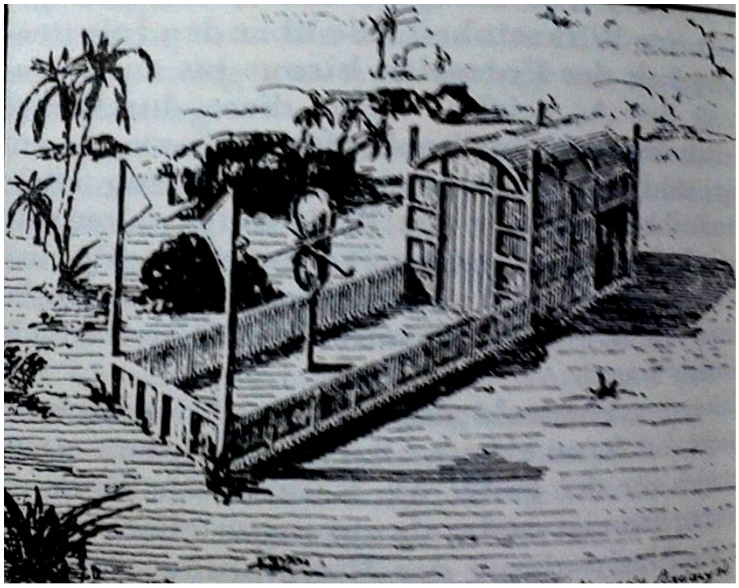

(شكل١):إعادة تكوين لمعبد الآلهة نيت وقد ظهر رمز المعبودة نيت بالفناء.

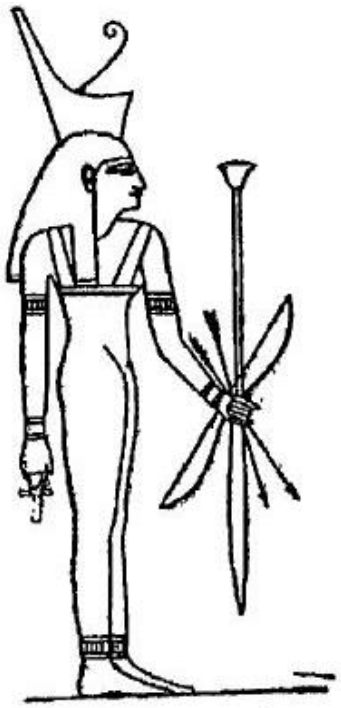

[1] – بهاء الدين ابراهيم محمود،المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية،تنظيم ه الإداري ودوره السياسي،رسالة دكتورهغير منشورة، كلية الآداب،جامعة الاسكندرية،١٩٧٤ ،ص ١٤– ١٥ .

(شكل٢):الإلهة نيت تمسك بالرمز الخاص بها.

و أكملت مسيرة تتطور هذه المعابد مع تطور الإنسان،فمع بداية الأسرة الثالثة بدت ملامح تخطيط المعابد أكثر وضوحا عن ذي قبل،و يحل المعبد الصرحي محل المعبد القديم المتواضع.و من خلال ما تركه لنا المصريين القدماء من نقوش و كتابات هيروغليفية نتبين أن المعبد الأول كان عبارة عن كوخ تزينه الصواري والأعلام.

فمنذ أن بدأ المصريون القدماء يفكرون في مظاهر الطبيعة التى يعيشون في كنفها والقوى التى ظنوا أنها تحكمها ولها الأثر في حياتهم،أخذوا يصنعون لها الرموز والتماثيل ويقيمون لها الهياكل يقدمون لهم فيها القربان.وقد كانت الهياكل أول الأمر بسيطة تتفق وما كانت عليه حياة المصريين في بداوتهم الأول[1].

وكان الهيكل أو المعبد يسمى"**بيت الإله**"،ويغلب على الظن أنه كان في الأزمنة الأولى مسكن الزعيم أو جزء منه،ومهما يكن من أمر لقد كانت بينهما علاقة يؤيدها أنه كان يطلق عليهما في الأصل لفظ واحد[2].

ولما كانت الهياكل الأولى من مواد سريعة العطب فقد اندثرت بطبيعة الحال[3] بيد أن من نقوش بداية الأسرات على البطاقات من الخشب والعاج وعلى الأختام ما يصور أمثلة منها وخاصة هيكل الصعيد وهيكل الشمال.

هيكل الجنوب:

وكان يعرف أيضا باسم بيت ملك الوجه القبلى ويتضح من رسوم بداية الأسرات أن المبنى كان عبارةً عن هيكل بسيط من الخشب وجدرانه من الحصير أو من أعواد النبات المضفورة، وسقفه مقبي ولم يكن الكوخ يشتمل فيما يبدو إلا على مكان واحد وذلك كما يتضح في شكل العلامة الهيروغليفية للبيت أو الفناء فهى مجرد شكل لمكان مستطيل مدخله في منتصف أحد جانبيه الطويلين.[4]

وللهيكل في أحد جانبية القصيرين باب فخم مقوس في أعلاه،وفي الجانب الآخر باب آخر.ويتميز بوجود ما يشبه ثلاثة قرون أو أربعة تبرز في أعلى واجهته،ويتقوس سطحه على شكل ظهر حيوان ويتدلى ما يشبه ذيلا في مؤخرته[5](شكل:٣)

---

[1]– محمد أنور شكري،العمارة في مصر القديمة،القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٦١ .

[2]– محمد أنور شكري،مرجع سابق،ص ١٦٣–١٦٤.

[3] - A. Lucas, J.R. Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, Histories and Mysteries of Man, London, 1989, pp. 338-366.

[4]– محمد أنور شكري ، مرجع سابق، ص ٩٢– ٩٧ .

[5]– نفس المرجع، ص ١٦٥.

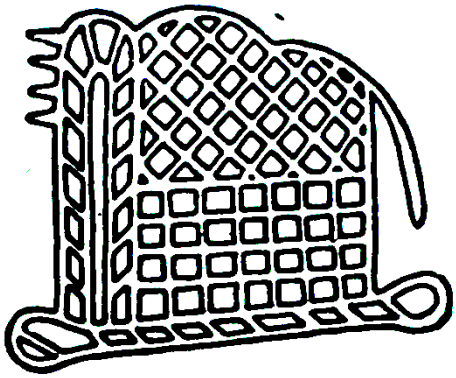

(شكل٣):هيكل الصعيد في بداية الأسرات[1].

هيكل الشمال:

عرف هيكل الشمال أيضا باسم بيت الشمال أو بيت الزعيم ويعتقد أنه كان من الطوب اللبن بسقف مقبي،و أنه كان يتقدمه فناء يحيط به سور ذو مشكاوات،و يبدو أن بيت الزعيم في أوائل عصر ما قبل الآسرات كان يضم هيكل المعبود،و لأسباب سياسية استقل كل منهما عن الآخر بعد ذلك،وإن صدق الظن ربما كان للبيت في الأصل مدخلان أحدهما مدخل المسكن والآخر مدخل مقصورة المعبود[2].

ويتميز هيكل الشمال بارتفاع جداريه في طرفيه وبسطحة المقبى،ومن أشهر أمثلته معبد الإلهة نيت حامية الشمال،ويكتنف مدخله علمان مرتفعان مما يعد أصلاً للأعلام في واجهة صروح المعابد في الدولة الحديثة ،ويؤدي المدخل إلى فناء يحيط به سور ذو مشكاوات بسيطة ويتوسطة رمز الإلهة،وفي مؤخرته مقصورة بسطح مقبى،وفي جوانبه الأربعة قوائم ترفع السقف[3] .(شكل٤)

[1] – محمد أنور شكري،مرجع سابق، شكل ٥٣ أ

[2] - **KUHLMANN KLAUS**, P., Serif-style Architecture and the Design of the Archaic Egyptian Palace ("Konigszelt")in oaw14(1996)p.117:137.

[3] -محمد سمير محمد،تطور المساكن والقصور في مصر ال قديمة من أ قدم العصور حتى بداية عصور الدولة الحديثة،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الهندسة،جامعة عين شمس،١٩٨٠،ص ٧٠.

(شكل٤):هيكل أو مقصورة الشمال1.

ومن رسوم بداية الأسرات ما يشير إلى أن من الهياكل ما كان مخططه مستديراً وجدرانه من أغصان البردي أو الخشب بين أربعة قوائم ترفع السقف الذي كان في شكل قبة من أعواد مضفورة من النبات[2].

ومن العلامات الهيروغليفية ما عبر عن مخصصات الهياكل وأسمائها من مثل"بر- ور"،"بر- نو"وهي تمثل هياكل مصر العليا والسفلى،وتدلنا على أفدم أشكال المعابد المصرية.[3]

ويدل هذا كله على تنوع طرز الهياكل والمعابد واختلاف ملامحها المعمارية في بداية الأسرات،ولابد أن منها ما كان يبنى باللبن،يدل على ذلك أن مناسك طقس تأسيس المعبد ما يمثل الملك يصنع لبنة،وأنه كان يتم وضع لبنه في ودائع الأساس في المعابد المشيدة من الحجارة في عهد بداية الأسرات[4].

المعابد في بداية عصر الأسرات:

بدأ المصريون في ذلك العصر يستخدمون الأحجار في تشييد معابدهم فقد جاء حوليات حجر بالرمو أن **الملك خع سخموي** شيد معبدا من الحجر وقد عثر له في هيراكونبوليس على عضادة باب وقطع من عضادة باب آخر وكلها من الحجر والجرانيت.(شكل٥).

(شكل٥):معبد هيراكونبوليس- حور نخن - مدينة الصقر5

كما كشف على حافة الصحراء في أبيدوس عن أطلال معبد من عهد بداية الأسرات **للإله خنتى إمنتى**، وكان يتألف من ردهتين متتاليتين،باب كل منهما منحرف عن محور المعبد،وتطل عليها مقصورة التمثال تكتنفها قاعتان،وكان بجانب الردهتين سلم يؤدى إلى السطح.[6] (شكل٦) وهو بذلك أقدم معبد ذي مقصورات ثلاثة وهو النمط الذي أصبح سائدا في معابد الدولتين الوسطى والحديثة.

---

[1]– محمد أنور شكري، مرجع سابق ، شكل ٥٥ .

[2]– نفس المرجع،ص ١٦٩.

[3]– محمد سمير محمد،مرجع سابق،ص٧١ .

[4]– محمد أنور شكري،مرجع سابق،ص ١٦٩.

[5] - E:\famly\Egypt Hierakonpolis, A Feature Tour Egypt Story.htm

[6]– محمد أنور شكري،مرجع سابق،ص ١٦٩– ١٧٠.

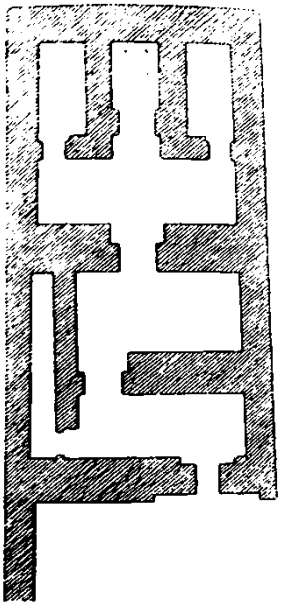

(شكل٦):تخطيط لمعبد الإله خنتى إمنتيو بأبيدوس- عصر بداية الأسرات.[1]

الجوسق:

معنى كلمة "**الجوسق**"هو الحصن أو القصر الصغير،وهو هنا يشير إلى ما يشبه مقصورة ذات استخدام طقسي ارتبطت بالعيد الثلاثيني الملكي في مصر القديمة،ويرجع الجوسق بصفة عامة إلى عصر الأسرة الأولى على الأقل،إذ من نقوش الملك **نعرمر** ما يمثله جالساً بتاج الوجه البحري في جوسق فوق منصة عالية،(شكل٧) وسقفه على شكل سقف هيكل الجنوب،ويعتمد في مقدمته على قائمين من طراز ما يعرف بأسطون الخيمة،وكان الجوسق مفرد غير مزدوج مما يدعو إلى الظن أنه كان لعرش واحد، ومنذ عهد الملك **أوديمو** أصبح الجوسق يمثل في الغالب مزدوجاً يؤدي إليه درجان متقبلان.[2]

[1]– محمد أنور شكري،مرجع سابق،شكل ٥٧.

[2]– محمد أنور شكري،مرجع سابق،ص ١٨٠ –١٨١ .

(شكل٧):جوسق الملك نعرمر[1]

ويمكن القول أنه لا يوجد في تاريخ العالم أمة تأصلت فيها الديانة وامتزجت بمياه أهلها مثل مصر،ومن هنا فعند الحديث عن الدين فإننا نصف أهم جزء من تاريخ مصر القديمة،والذي يفسر تعدد المنشآت الدينية التي بلغت حد المغالاة،ومن هنا فلقد لعبت التأثيرات الدينية دورها في نشاط العمارة حيث دفعت المصريين إلى الاهتمام بتشييد دور العبادة[2]وإلى العناية بعمارة المقابر باعتبارها بيوتاً خالدة في حين بنيت القصور والمساكن من الطوب اللبن والمحروق باعتبارها بيوت للدنيا الزائلة وإن كانوا قد اعتنوا بزخرفة أسقفها وأعلى جدرانها وأحيانا أرضيتها بما يبعث روح البهجة عليها وعندما انقسمت الآلهة المصرية لنوعان آلهة محلية وأخرى كونية فلقد اختلفت المنشآت المعمارية لكلاهما عن الأخرى فنلاحظ أن الآلهة الكونية قد نشأت نظرا لتأثيرات مظاهرة الطبيعة علي أخيلة المصري فرأى في الشمس والقمر والأرض والسماء والماء والهواء آلهة يرحب جانبها ويقدسها حيثما تكون،ومن هنا فلقد عمل على إقامة منشآتها المعمارية في الهواء ليتناسب مع هذه العبادة كما ظهر في معابد الشمس في هليوبوليس و أبو صير ومدينة تل العمارنة بينما الأخرى كانت تتم في الظلام الدامس كما وضح في العقيدة الجنزية أو الطقوس المكرسة للأموات.

قائمة المراجع :

١. بهاء الدين ابراهيم محمود،المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية،تنظيمه الإداري ودوره السياسي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب،جامعة الاسكندرية،١٩٧٤.

٢. محمد أنور شكري،العمارة في مصر القديمة،القاهرة،١٩٧٠.

[1]– نفس المرجع،شكل ٦٣ .

[2] - Okon ,E.E., ”Religion and politics in ancient Egypt”, in: American Journal of Social and management Sciences, 2012, 3(3): 93-98.

٣. محمد سمير محمد،تطور المساكن والقصور في مصر القديمة من أقدم العصور حتى بداية عصور الدولة الحديثة،رسالة ماجستير منشورة، كلية الهندسة،جامعة عين شمس،١٩٨٠.

4.A. Lucas, J.R. Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, Histories and Mysteries of Man, London, 1989.

5.KLAUS, P. K., Serif-style Architecture and the Design of the Archaic Egyptian Palace ("Konigszelt"), in: OAW,14 (1996).

6.Okon ,E.E., "Religion and politics in ancient Egypt", in: American Journal of Social and management Sciences, 2012.

7.Okon,E.E., Archaeological reflections on ancient Egyptian religion and Society, European Scientific Journal November edition vol. 8, No.26 ISSN: 1857 – 7881 (Print) e - ISSN 1857- 7431.

8.Park, C., "Religon and geography",in: Hinnells, J. (ed) Routledge Companion to the Study of Religion. London: Routledge, vol.17, 2004.

9.E:\famly\Egypt Hierakonpolis, A Feature Tour Egypt Story.htm.

تطبيقات الإعلام الجديد في مجال التعليم العالي
المدونات التعليمية الإلكترونية نموذجًا-

أ.سوسن سكي/جامعة محمد لياميـن دباغين سطيف ٢ أ.سبتي فايزة/جامعة محمد لياميـن دباغين سطيف ٢

ملخص :

في ظل التغيرات التكنولوجية السريعة و التحولات و التطورات في جميع ميادين الحياة، أصبحت الحاجة ملحة لمواكبة هذا التغير لاسيما في مجال التعليم الداعم لأي تطور في أي مجال،و من هذا التوجه العالمي كان لزاما أن تسعى الدول النامية عامة و دول الوطن العربي خاصة إلى تحقيق معايير الجودة في العملية التعليمية من خلال استثمار أدوات الإعلام الجديد من بينها المدونات.

ففكرة المدونات الالكترونية التعليمية يمكن الاعتماد عليها في خدمة نظام التعليم عن بعد و تنمية مهارة التعلم الذاتي عند الطالب حيث يعمل على تطوير القدرات الفكرية و الخيالية عند الطلاب، و تحسين مستوى الفهم و الاستيعاب لديهم، و تحفيز المشاركة والتفاعل بما ينمي مهاراتهم في حل المشكلات و القضايا بالصوت و الصورة مع تبني المناهج الدراسية في شكل إلكتروني يعتمد على تحريض إمكانات الإبداع و الاستفسار و التحليل.

الكلمات مفتاحية:الإعلام،الإعلام الجديد، التعليم، التعليم العالي،التعليم الإلكتروني، العملية التعليمية،المدونات الالكترونية،المدونات التعليمية.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تطورا تقنيا ومعرفيا هاما غير الكثير في ملامح الحياة بعدما صارت المعمورة أشبه بقرية كونية صغيرة اختزلت فيها حواجز الزمان وقيود المكان بفضل الشبكة العالمية ، هذا التطور اللامتناهي الأبعاد،كان نتاج جهود مفكرين وعلماء ساهموا بشكل كبير في تطويع التقنيات الرقمية لخدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته.

وقد اكتسحت الانترنيت بموجتها الثانية أو ما يعرف بموجة الإعلام الجديد كافة المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الدينية...ولم يبق المجال التعليمي بمنأى عنها،حيث تفطنت المؤسسات والمدارس والهياكل التربوية والتعليمية المختلفة إلى استثمار وسائط الإعلام الجديد المتنوعة بما فيها المدونات في تطوير التعليم وتوسيع آفاقه وتحسين مردوديته في مختلف الأطوار و-نخص بالذكر- التعليم العالي الجامعي باعتبار شبكات التواصل الاجتماعي والمدونات ملاذ الكثير من الطلاب الجامعيين من جهة،يزداد إقبالهم عليها يوما بعد آخر وبالتالي تصلح لأن تكون وسيلة تعليمية ناجعة وفعالة لما توفره هذه الأخيرة من تفاعلية ومرونة وحداثة وكذلك استخدامها كأداة لحماية الهوية و النسيج الاجتماعي

بمكوناته التربوية والثقافية والعقائدية والدينية من التيار الرقمي والمعرفي الدخيل عن مجتمعاتنا من ناحية أخرى وذلك من خلال تشجيع التعليم الإلكتروني عبر المدونات.

فإذا كان نمط التعليم التقليدي يعاني القصور كونه يقوم على الحفظ والتلقين وتكديس المعلومات دونما تحديث فإن التعليم الإلكتروني الحديث يحاول تكييف العملية التعليمية-باعتبارها الداعم لأي تطور بالمجتمع- مع مستجدات ومتغيرات العصر والانفجار المعرفي وبالتالي يسعى لتحقيق معايير الجودة في التعليم باعتماد أدوات الإعلام الجديد التي تعمل على تحريض الإبداع و الإطلاع و التحليل لدى الطلاب وصقل مواهبهم وقدراتهم و إمكانياتهم الفكرية والذهنية خصوصا في وجود إشراف أكاديمي من قبل هيئات تدريسية كتلك المشرفة على المدونات الإلكترونية التعليمية،حيث تعد هذه الأخيرة من أبرز الظواهر التي تشهدها المنظومة التعليمية الجامعية والتي تعد موضوع دراستنا.

استنادا إلى ما سبق ، تتمحور إشكالية البحث في معرفة طبيعة استخدام المدونات الإلكترونية في التعليم الجامعي بالجزائر ، ومن هذا المنطلق نطرح تساؤلا جوهريا مفاده:

ما هو واقع استخدام تطبيقات الإعلام الجديد في التعليم الجامعي من خلال المدونات الالكترونية؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها العلمية لكونها تعالج إحدى الموضوعات الجديدة التي تشكل محورا أساسيا في بحوث الإعلام المعاصرة من خلال تعرضها لأساسيات الإعلام الجديد عموما والمدونات الإلكترونية كإحدى بدائله على نحو خاص بما فيها المدونات الإلكترونية التعليمية ومعرفة مدى تطبيقها فعليا في ميدان التعليم للخروج بتوصيات ومقترحات في تفعيل نشاطها بمجال التعليم الجامعي.

هدف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى رصد المدونات الإلكترونية و استخدامها في التعليم العالي من خلال دراسة وصفية لبعض النماذج وهي مدونة الدكتورة**"عيساني رحيمة "و" باديس لونيس"و مدونة "ساعد هماش".**

المحور الأول:قراءة في حيثيات الإعلام الجديد:

أولا:الإعلام الجديد تعدد التسميات و إشكالية المفهوم:

أحدث الإعلام الجديد رغم حداثته نقلة نوعية في المشهد الإعلامي و مفهوم الإعلام،ظهرت ملامحه ولم تتبلور خصائصه ومفاهيمه بشكل قاطع بعد، تمثل بالتكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصال كالمواقع الالكترونية والاجتماعية و البريد الإلكتروني والمنتديات و المدونات والبوابات و مواقع المحادثة والدردشة ...و أخذ تسمية الإعلام الجديد لكونه يختلف في بعض خصائصه وميزاته عن مفهوم الإعلام التقليدي أو الأدوات التقليدية الشائعة للإعلام.

وقد أطلقت على الإعلام الجديد تسميات مختلفة من مثيل الإعلام الرقمي، الإعلام الاجتماعي،إعلام المواطن،الإعلام التفاعلي و التشاركي،الإعلام الإلكتروني،إعلام الوسائط المتعددة أو الملتيميديا...و التي رغم تعددها تتقاطع في نقطة رئيسة وهي ارتباطه بتطبيقات الكمبيوتر لتدل على أرضية جديدة لهذا النوع من الإعلام الذي ولد من تزاوج تكنولوجيا الإعلام بشبكات الكمبيوتر.

فهو إعلام رقمي لاعتماد بعض تطبيقاته على التكنولوجيا الرقمية كالتلفزيون الرقمي والإذاعة الرقمية وغيرهما،وهو تفاعلي لتوفر حالة من التبادل والتفاعل بين المستخدمين لوسائله الرقمية من خلال التراسل والتعليق وإبداء الرأي،وهو شبكي لاعتماده على الشبكة العنكبوتية العالمية ،وهو إعلام مواطن لأن المواطن قد أصبح مستخدما وعنصرا مشاركا في صناعة الحدث الإعلامي.ويطلق عليه أيضا إعلام معلومات للدلالة على نظام إعلامي جديد يستفيد من تكنولوجيا المعلومات ويندمج فيها،كما أنه إعلام الوسائط التشعبية لطبيعته المتشابكة وإمكانية خلقه لشبكة من المعلومات المترابطة بوصلات تشعبية .ويسمى أيضا إعلام الوسائط المتعددة كونه يجمع بين النص والصوت والصورة،ويطلق عليه لفظ إلكتروني لكونه يعتمد على الأجهزة الإلكترونية...

وتتعدد مداخل النظر في مفهوم الإعلام الجديد وتطور وسائله ضمن سياقات تاريخية وتكنولوجية مختلفة:

حيث ترى الباحثة"**مرام عبد الرحمان مكاوي**" أنه"إعلام يملك أدوات رائعة غير مسبوقة في تبادل المعلومات وتبادل الأفكار والرؤى والربط بين أصحاب القضية الواحدة،لكنه يظل في النهاية كما هو في الأصل وسيلة و آداة إعلامية غير قادرة على صنع الحدث كما يروج الكثيرون وإنما قدرته تكمن في نقل صورة شديدة الصفاء عن هذا الحدث".[1]

الإعلام الجديد مصطلح يشير إلى الطرق الجديدة للاتصال في البيئة الرقمية بما يوفر للجماعات الأصغر من الناس إمكانية الالتقاء والتجمع عبر الانترنيت وتبادل المنافع والمعلومات وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم بأسره.[2]

ويعرف **قاموس الانترنيت الوجيز** الإعلام الجديد على أنه مصطلح يشير إلى أجهزة الإعلام الرقمية عموما أو صناعة الصحافة على الانترنيت وفي بعض الأحيان يتضمن التعريف إشارة لأجهزة الإعلام القديمة و هو تعبير غير انتقاصي يستخدم أيضا لوصف نظم إعلام تقليدية جديدة كالطباعة والتلفزيون والراديو والسينما .

و حسب **قاموس الكمبيوتر** فإن الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الالكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والانترنيت وكذلك الكمبيوترات الشخصية والنقالة بالإضافة إلى التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق.[3]

تشير التعريفات إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة للإعلام خاصة فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية أو الشخصنة و التخصيص الناتجتان عن ميزة التفاعلية التي ينفرد بها الإعلام الجديد عن نظيره التقليدي،كما تتفق معظمها في استخدام الإعلام لتقنيات المعلومات الحديثة والأجهزة الرقمية وارتباطه بالحاسوب.وفيما يخص علاقة الإعلام الجديد بالتقليدي يذهب الباحثون والمختصون فرقا بهذا الشأن: فهناك من يعتبر الإعلام الجديد مرحلة تاريخية و حتمية مرتبطة بتطور وسائل الإعلام التقليدية واستحداث تطبيقاتها وخصائصها ومثال ذلك التطور الذي مر به التلفزيون والسينما والصحافة،وهناك من يعتبر الإعلام الجديد مناقضا للتقليدي لأنه غير الكثير في ملامحه وأداءه حيث اتسعت تطبيقاته وتغيرت خصائصه لدرجة أنه من المحتمل أن يلغي

[1]– مكاوي،مرام عبد الرحمن:تضليل الإعلام الجديد، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦
http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=5795

[2]– الفطافطة محمود:علاقة الإعلام الجديد بحرية الرأي والتعبير في فلسطين ، الفايسبوك نموذجا،٢٠١١، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦
http://www.madacenter.org/media.php

[3]– عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة ، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦
http://site.iugaza.edu.ps

الإعلان التقليدي تماما ومثال ذلك الصحافة الإلكترونية حيث أن الكثير من الصحف الأمريكية والأوربية تخلت تماما عن نسختها الورقية لتعرض خدماتها عبر موقع إلكتروني خاص.

ثانيا: العوامل الرئيسية لظهور الإعلام الجديد:

يعتبر الإعلام الجديد ظاهرة القرن الـ٢١ ساهمت في ظهورها وتطورها عدة عوامل متداخلة من بينها عوامل تقنية واقتصادية وسياسية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **العامل التقني**:المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر من حيث تجهيزاته وبرمجياته، وتكنولوجيا الاتصالات و المعلومات بصفة عامة خصوصا الأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية... فقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة إلى أن أفرزت شبكة الإنترنت التي تشكل حاليا وسيطا يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الأخرى المطبوعة والمسموعة و المرئية و المسموعة المرئية ، وكذلك الجماهيرية والشخصية .وقد انعكس أثر هذه التطورات التكنولوجية على جميع قنوات الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز...،وانعكس كذلك وهو الأخطر على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها ومتلقيها فقد انكمش العالم مكانا وزمانا وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب، وكادت تكنولوجيا الواقع الخيالي أن تسقط الحاجز بين ما هو واقعي وما هو وهمي وبين الحاضر والغائب وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي و تلك الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات.

- **العامل الاقتصادي**:المتمثل في عولمة الاقتصاد وما يتطلبه من إسراع لحركة السلع ورؤوس الأموال و هو ما يتطلب بدوره الإسراع في تدفق المعلومات.وليس هذا لمجرد كون المعلومات قاسما مشتركا يدعم جميع النشاطات الاقتصادية دون استثناء،بل لكونها سلعة اقتصادية في حد ذاتها تتعاظم أهميتها يوم بعد يوم في ظل ما يسمى بالاقتصاد اللامادي فعولمة نظم الإعلام والاتصال هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة الأسواق وتنمية النزاعات الاستهلاكية من جانب وتوزيع سلع صناعة الثقافة من موسيقى وألعاب وبرامج تلفزيونية ...من جانب آخر.

- **العامل السياسي**:ممثلا بالاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام من قبل القوى السياسية بهدف إحكام قبضتها على سير الأمور والمحافظة على استقرار موازين القوى في عالم شديد الاضطراب زاخر بالصراعات والتناقضات واستخدامها كوسيلة للهيمنة وبسط النفوذ.

وقد تداخلت هذه العوامل التقنية والاقتصادية والسياسية بصورة غير مسبوقة،جاعلة من الإعلام الجديد قضية شائكة جدا،وساحة ساخنة للصراعات العالمية والإقليمية والمحلية.[1]

وكذا محور للأبحاث المعاصرة التي تحاول رصد هذه الظاهرة والتنظير لها للتكيف مع متغيراتها في عالم يتسم بالسرعة الفائقة والانفجار التقني و المعلوماتي.

ثالثا: سمات الإعلام الجديد:

رغم أن الإعلام الجديد يتشابه مع الإعلام القديم في بعض جوانبه و ملامحه،إلا أنه يتميز عنه بالعديد من السمات التي تجعل منه إعلاما مغايرا ،يمكن تلخيصها فيما يلي:

[1]– عيسى العسافين عيسى: المعلومات وصناعة النشر،دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١، ص١٨٨–١٩٣.

- التحول من النظام التماثلي إلى النظام الرقمي:

حيث أن انتقال المعلومات في النظام الرقمي يتم على شكل أرقام منفصلة هي صفر وواحد وعند وصول المعلومة إلى المستقبل يقوم بدوره بترجمتها إلى صوت أو صورة أو غير ذلك .يقوم النظام التماثلي من ناحية أخرى بنقل المعلومة على شكل موجة متسلسلة و لكون الإشارات الرقمية إما صفرا أو واحدا دون أي قيم بينهما فإن النظام الرقمي يكون أشد نقاء وخاليا من التشويش،وفي واقع الأمر فإن الصوت أو الصورة الناتجة عن هذا النظام إما أن تكون نقية تماما، أو أنها لا توجد أصلا بعكس النظام التماثلي الذي يمكن أن يحتوي على قيم جزئية تتراوح بين صفر وواحد ومن ثم فإن إمكانية التشويش تكون أكبر، ميزة أخرى للنظام الرقمي هو تطابقه وإمكانية دمجه مع أنواع أخرى من التكنولوجيا مثل الحاسوب وهو ما يصعب القيام به في النظام التماثلي.تكمن أهمية ذلك في أن معظم وسائل الإعلام أصبحت تعتمد بشكل متزايد على الحاسوب ومن المتوقع أن تصبح أجهزة البث والهاتف وشبكات المعلومات جميعها رقمية في المستقبل،إن النظام بمرونته لا يفرق بين تلك المعلومات بل يتعامل معها جميعها في مجرى واحد مما يجعل تخزين الرسائل وتحريرها ونقلها واستقبالها يتم بسرعة.

إلا أن التحول من النظام التماثلي إلى النظام الرقمي يتطلب إجراء عملية تغيير وإحلال لمعظم الأجهزة الحالية من هواتف وكاميرات وغيرها من أنظمة الاتصال التي مازالت تعمل وفق التكنولوجيا التماثلية، وهذه العملية تتطلب كثيراً من النفقات والجهد والوقت سواء من قبل شركات الاتصالات نفسها التي تحتاج إلى تغيير الأجهزة المستخدمة لديها،أو من قبل المستهلك نفسه الذي يحتاج إلى أجهزة تلفاز أو راديو قادرة على استيعاب التكنولوجيا الجديدة،غير أنه في هذه الحالة سيستمتع بصوت وصورة أكثر نقاء فضلا عن إمكانية مشاهدته لمئات القنوات التي يمكن أن تحتوي على ميزة التفاعل.

إن الاتجاه الحالي هو أن تتحول وسائل الإعلام جميعها تدريجيا إلى النظام الرقمي وما يساعد على ذلك هو الانخفاض الكبير في أسعار الحواسيب الذي نتج عنه انخفاض تدريجي في أسعار الإلكترونيات الرقمية إلى المستوى المقبول للمستهلك.

- التفاعلية :

وتطلق هذه السمة على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير في أدوار الآخرين وباستطاعتهم تبادلها، ويطلق على ممارستهم الممارسة المتبادلة أو التفاعلية وهي تفاعلية بمعنيين،إذ أن هناك سلسلة من الأفعال الاتصالية التي يستطيع الفرد "أ" أن يأخذ فيها موقع الشخص "ب" ويقوم بأفعاله الاتصالية، فالمرسل يستقبل ويرسل في الوقت نفسه وكذلك المستقبل .ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلا من مصدر و متلقي وبذلك دخلت مصطلحات جديدة في عملية الاتصال مثل الممارسة الثنائية والتبادل،التحكم و المشاركين.ومثال على ذلك التفاعلية في بعض أنظمة النصوص التلفزيونية.

- تفتيت الاتصال:

وتعني أن الرسالة الاتصالية من الممكن أن تتوجه إلى فرد واحد أو إلى جماعة معينة وليس إلى جماهير ضخمة كما كان في الماضي.وكذلك درجة تحكم في نظام الاتصال بحيث تصل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستهلكها.

- اللاتزامنية:

و هي إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم، و لا تتطلب من المشاركين كلهم أن يستخدموا النظام في الوقت نفسه،فمثلا في نظم البريد الإلكتروني ترسل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت دون حاجة لوجوده في الوقت نفسه من أجل تلقي الرسالة وقراءة محتواها.

- قابلية التحرك أو الحركية:

تتجه وسائل الاتصال الجديدة إلى صغر الحجم مع إمكانية الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان إلى آخر في أثناء تحرك مستخدمها،ومثال هذا أجهزة التلفاز ذات الشاشة الصغيرة التي يمكن استخدامها في السيارة مثلا أو الطائرة،الحواسيب الشخصية وحاسوب الجيب،الـ "IPAD "وغيرها من أجهزة الاتصال المتطورة.

- قابلية التحويل:

وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسيط إلى آخر،كالتقنيات التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة و بالعكس.

- قابلية التوصيل :

وتعني إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية بأنواع كثيرة من أجهزة أخرى وبغض النظر عن الشركة الصانعة لها أو البلد الذي تم فيه الصنع.ومثال على ذلك توصيل جهاز التلفاز بجهاز الفيديو**DVD**.

- الشيوع أو الانتشار:

ونعني به الانتشار المنهجي لنظام وسائل الاتصال حول العالم و في داخل كل طبقة من طبقات المجتمع، وكل وسيلة تظهر تبدو في البداية على أنها ترف ثم تتحول إلى ضرورة، نلمح ذلك في جهاز الفيديو وبعده التلفاز عالي الوضوح والتلفاز الرقمي والتلفاز ذو الشاشة البلازمية والسينما المنزلية .وكلما زاد عدد الأجهزة المستخدمة زادت قيمة النظام للأطراف المعنية كلها[1].

المحور الثاني:المدونات الإلكترونية وعملية التعليم :

تسربت المدونات كغيرها من أدوات الإعلام الجديد إلى كثير من المجالات الحياتية و الفضاءات الإعلامية وعمدت بعض المؤسسات التعليمية والهياكل البيداغوجية خصوصا مؤسسات التعليم العالي أو القائمين عليها إلى إدراجها ضمن الأدوات التعليمية المعاصرة التي تستخدم في تعزيز كفاءة التعليم في إطار ما يعرف بالتعليم الإلكتروني:

أولا:المدونات الإلكترونية:

المدونة بالانجليزية هي تعريب لكلمة **blog** وهي نحت من كلمتي **web** و **log** بمعنى سجل الشبكة،كما تستخدم الكلمة المستعارة في اللغة العربية ، وتشير كلمة تدوينة إلى المداخلات المتواجدة بالمدونة.

والمدونات هي تطبيق من تطبيقات شبكة الانترنيت تعمل من خلال نظام لإدارة المحتوى ، وهي في أبسط صورها عبارة عن صفحة ويب على شبكة الانترنيت تظهر عليها تدوينات مؤرخة ومرتبة ترتيبا زمنيا تصاعديا،ينشر منها عدد محدد يتحكم

[1]– محمود علم الدين : تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢٣، الكويت، ١٩٩٤، ص١١٥–١١٨ .

فيه مدير أو ناشر المدونة، كما يتضمن النظام آلية لأرشفة المداخلات القديمة،ويكون لكل تدوينة منها عنوان دائم ومسار دائم لا يتغير منذ لحظة نشرها ، مما يمكن القارئ من الرجوع إليها في وقت لاحق عندما لا تكون متاحة في الصفحة للمدونة، كما يضمن ثبات الروابط ويحول دون تحللها.

تمكن المدونات المستخدم من نشر ما يريد على الانترنيت مع إمكانية حفظ ما ينشر بطريقة منظمة يمكن الرجوع إليها من خلال واجهة بسيطة تماثل واجهات مواقع البريد الإلكتروني و يمكن اعتبار المدونات إلى جانب البريد الإلكتروني أهم خدمتين ظهرتا على شبكة الانترنيت.كما تسمح للقارئ بالتعليق وإبداء رأيه سواء باسمه أو باسم مستعار وبذلك تتم العملية التفاعلية والتكاملية،بين الكاتب و القاريء،ما يجعل المادة طيعة قابلة للتفاعل البناء المتطور.

ومن أنواع المدونات:مدونات الفيديو،مدونات الصور،مدونات المعلومات المتجددة كل يوم،المدونات الشخصية،مدونات النصوص، كما تصنف حسب الموضوعات إلى أدبية،اقتصادية،سياسية،دينية، ثقافية، تعليمية...

ومن أهم مزايا المدونات أنها تعطي انطباعا إيجابيا عن المستخدم،حيث أصبحت أشبه ما تكون بصفحة الرأي،فمن مزاياها كسر حاجز الخوف والتردد لدى المستخدمين وفتح المجال أمام التعبير عن الرأي بحرية وطلاقة خصوصا مع إمكانية التخفي من خلال الأسماء المستعارة والمتنكرة ونشر لا مركزية العمل السياسي وتحقيق مفهوم العالمية والتواصل والتفاعل فضلا عن إلغاء حواجز الزمان والمكان.[1]

يتسم التدوين بمجموعة من الخصائص التي تحكم سيرورة إنتاجه وتجعله مختلفا عن أشكال النشر الإلكتروني الأخرى من بينها البساطة، فالتدوينات مرتبطة بطريقة كرونولوجية معكوسة من الأحدث زمنيا ثم الذي يليه وهكذا،ولا تتبنى المدونات المعايير المتبعة في الفضاء الإعلامي فيما يتعلق بتصنيف الإدراجات حيث يتم عرضها كما كتبها صاحبها وتميل النصوص التي تتضمنها المدونات إلى الاختصار والمباشرة وتوظيف سجل لغوي عادي وعامي في أحيان كثيرة .ويقوم على المدونة عادة شخص واحد يتخذها كفضاء للتعبير عن انشغالاته واهتماماته ومجال تخصصه والتي تتنوع لتشمل حميميات شخصية أو مسائل حياتية مختلف أو موضوعات اجتماعية وثقافية وسياسية وأدبية وغيرها...ولهذا فإن الأسلوب الذاتي والميل إلى التعبير عن الرأي هو ما يغلب على المدونات.

كما أن الروابط التشعبية هي أهم ما يميز المدونات ، فغالبا ما يحيل القائمون عليها التدوينة إلى مواقع أو وثائق إلكترونية أخرى استعانوا بها في تحرير إدراجاتهم .وتستثمر معظم المدونات تطبيقات تكنولوجية متشابهة في إدارة وتحرير وأرشفة الإدراجات والوثائق إلى أنها تستخدم واجهات بسيطة من حيث تصميمها و بناءها التقني.[2]

ثانيا:المدونات التعليمية :

أدى التطور الحاصل في مجال التعليم إلى ظهور الكثير من المستحدثات التكنولوجية التي أصبح توظيفها مطلبا ضروريا لتحقيق كفاءة وجودة العملية التعليمية من بينها التعليم الالكتروني الذي ظهر في منتصف التسعينات من القرن الماضي نتيجة الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتوظيفها في مجالات كثيرة من بينها التعليم،حيث تمكنت المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية من إطلاق برامجها التعليمية والتدريبية عبر الانترنيت،فقد أدى التقدم التكنولوجي إلى

[1] – فيصل أبو عيشة: الإعلام الإلكتروني ، دار أسامة ،عمان، الأردن ، ٢٠٠٩، ص من ١٥١إلى ١٦١.

[2] –الصادق رابح: المدونات والوسائط الإعلامية بحث في حدود الوصل والفصل،ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعام جديد،جامعة البحرين ،٧-٩ أفريل ٢٠٠٩، ص ٥٤٠-٥٤١ .

ظهور أساليب جديدة للتعليم غير المباشر تعتمد على توظيف تلك المستحدثات التكنولوجية لتحقيق التعلم المطلوب ، منها استخدام الكمبيوتر ومستحدثاته والأقمار الصناعية والقنوات الفضائية والانترنيت بتطبيقاته المختلفة بغرض إتاحة التعلم على مدار الـ ٢٤ ساعة بواسطة أساليب وطرق متنوعة تدعمها تكنولوجيا الوسائل المتعددة بمكوناتها المختلفة لتقدم المحتوى التعليمي من خلال تركيبة من لغة مكتوبة ومنطوقة وعناصر مرئية ثابتة ومتحركة وتأثيرات وخلفيات متنوعة سمعية وبصرية يتم عرضها للمتعلم من خلال الكمبيوتر مما يجعل التعلم شيقا وممتعا يتحقق بأعلى كفاءة وأقل مجهود ووقت ويحفز الرغبة بالتعلم لدى المتعلم.[1]

ومن بين التكنولوجيات المتبعة حديثا نجد **المدونات التعليمية** وهي نوع من المدونات التي يديرها المعلم بالنسبة للمتعلمين ويساعد هذا النوع في إعطاء الفرصة للمتعلمين لتنمية مهارة القراءة والفهم و تعزيز المواد الدراسية لديهم بوضع لينكات وروابط مرتبطة بها و يعمل هذا النوع بمثابة مورد لروابط التعليم الذاتي للمتعلمين عن طريق إعطاء روابط اختبارات لهم وروابط للملفات الصوتية والمرئية المرتبطة بموضوع الدراسة ويتم تفاعل المتعلمين مع المواقع والروابط ، كما توفر معلومات عن المنهج وتذكر الطلاب بالواجبات والتكليفات وموضوعات النقاش المقبلة وتناول النقاط الصعبة التي تواجه الطلاب .[2]

فالمدونات التعليمية عبارة عن صحيفة مصغرة يحررها مدون واحد أو أكثر على شبكة الويب وتتألف من منشورات تعليمية منوعة أو باختصاص محدد يحتوي على مقالات وأبحاث ومنشورات ودراسات ...تكون مرتبة من الأحدث إلى الأقدم.[3]

ومن **أنواع المدونات التعليمية** حسب الباحث "**كامبل** " نجد :

- مدونات المعلم وهي نوع من المدونات يديرها المعلم بالنسبة للمتعلمين ويشرف عليها ، ويساعد هذا النوع في إعطاء الفرصة للمتعلمين لتنمية مهاراتهم في التعلم وتطوير أدائهم .

- المدونات الخاصة بالمتعلم حيث يديرها المتعلمون أنفسهم أو تنشأ من قبل مجموعات تعاونية من المتعلمين وهنا يستطيع الطلاب التعبير عن أفكارهم وتنمية روح القراءة والتعاون والإطلاع بينهم ويستخدم فيها المتعلم محركات بحثية للحصول علي المواقع المناسبة لموضوعه ويمكن أن ينشأها الطالب لكتابة يومياته،هذا النوع من المدونات ينمي الإحساس لدى الطلاب بالملكية والحصول علي الخبرة والتعامل مع النصوص التشعبية والقراءة والقدرة علي الكتابة .
- مدونات الفصل يكون نتاج جهد تعاوني للفئة الكاملة يمكن استخدامها في شكل لوحة إعلانات للمتعلمين لنشر الرسائل والصور والوصلات ذات الصلة بموضوع المناقشة ومواضيع الفصول الافتراضية والمواد الدراسية المقررة للفصل .

- **أهمية استخدام المدونات التعليمية** :

- تنمح الطلاب دافعية عالية على المشاركة، خاصة أولئك الذين يشعرون بالخجل من المشاركة في الغرفة الصفية.
-تعطي للطلبة فرصة كبيرة للتدرب على مهارات القراءة والكتابة .

---

[1] – ريهام مصطفي أحمد :توظيف التعليم الإلكتروني لتحقيق الجودة في العملية التعليمية، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي ، العدد ٩، ٢٠١٢، ص٤-٥.

[2] – technology2010.ahlamontada.com/t130-topi ،شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/٢٠ ، ٢٢:٤١

[3] – عصام منور: المدونات الإلكترونية : مصدر جديد للمعلومات، مجلة دراسات المعلومات ، العدد ٥، ماي، ٢٠٠٩، ص١٠١.

-وسيلة ممتازة وفعالة للتعاون والمشاركة بين مجموعة من الطلاب حول قضية ما أو نشاط تعلمي.
-تسهل عملية الإرشاد والتوجيه بين المعلم والطالب.

- تعزز علاقة الطالب بالمعلم من خلال فضاء التعليق وإبداء الرأي.

-تساهم في تحفيز الطالب نحو التعلم من خلال تدعيم المادة بالروابط النصية والفيديوهات والصور ...بما يشكل لديه صورة متكاملة عن الموضوع تعزز فهمه له وتعوضه ما فاتته من تفاصيل خلال الحصة.

- تطبيقات المدونات الإلكترونية في المجال التعليمي:

يمكن تلخيص **بعض التطبيقات الممكنة للمدونات** في المجالات التالية:

- الإدارة الصفية يمكن استخدام المدونات كبوابة إلكترونية تساعد في تكوين مجتمع تعلمي للطلاب، ويمكننا استغلال سهولة التعامل معها لاستخدامها في توصيل متطلبات وتعليمات الدروس للطلاب، أو لإبلاغهم بملاحظات هامة أو لتحديد مهام معينة أو وظائف بيتية، ويمكننا أيضا بكل بساطة استخدامها كلوحات مخصصة لأنشطة سؤال وجواب.

- التعاون وذلك من خلال جعل الطلاب يتشاركون في إنجاز مشروع أو بحث أو دراسة ما فيتفاعلون مع بعضهم البعض لإنجاز ما طلب منهم.

كما توفر المدونات الإلكترونية المساحة اللازمة لكل من الطلاب والمعلمين للتدريب على مهارات تطوير الكتابة، مع الانتباه إلى أنها توفر فرصة وجود جماهير جاهزين للاستماع إلى نتاجاتهم، لتوفير النقد البناء لها، ويمكن للمعلم هنا أن يكتفي بتقديم النصح والإرشاد والتوجيه، بينما يكتسب الطلاب الخبرات من التغذية الراجعة التي سيقدمها نظرائهم، مع إمكانية توفير الإرشاد عبر الانترنت، فمثلا يمكن لطلاب من مرحلة عليا أن يساعدوا طلاب المراحل الأقل، كما يمكنهم أن يستخدموا المدونات الالكترونية للمشاركة في أنشطة تعليمية عبر الانترنت تشتمل نشر أفكارهم واقتراحاتهم،أو حتى نتائج تجاربهم العملية وبحوثهم المختلفة.

- المناقشات يمكن تخصيص مدونة إلكترونية لصف ما بحيث تعطيهم الفرصة لمناقشة أمور ومواضيع من خارج المنهاج حيث يمكن لكل طالب أن يشارك الآخرين بأفكاره وآراءه،وتعطيهم الفرصة للتعليق وإبداء الرأي الآخر، كما يمكن للمعلمين أن يشاركوا أشخاص مختصين بمواضيع معينة في المدونة المخصصة للصف لطرح مناقشات أو جلسات مناقشة كالمؤتمرات عبرها.

- ملفات إنجاز الطلاب "الحقائب الإلكترونية "يمكن استخدام المدونات الالكترونية بكل سهولة لعرض وتنظيم إنجازات الطلاب وحماية ملكية الطالب لها من خلال تاريخ إرسالها للمدونة، ويمكن تقييم وتطوير مهارات الطالب خلال الفصل الدراسي عندئذ بصورة أفضل، بالإضافة إلى أن الطالب سيبدي اهتماما أكبر بنتاجاته وبصورة مميزة لأنه يعلم بأنها ستنشر عبر الإنترنت باسمه، ويمكن للمعلمين تقييم ومساعدة الطلاب على وضع خطط لتطوير مهاراتهم المختلفة، وتوثيقها كتعليقات بمدونة الطالب وبحيث يمكن الرجوع لها وقت الحاجة.

معايير استخدام المدونات التعليمية

- التدريب على استخدام المدونات فيما يخص مواضيع تتعلق بالصفحات الإلكترونية، مثل الأمان

والخصوصية وآداب التخاطب والمناقشة عبر الانترنت، وعدم التعرض لأشخاص آخرين أو التمييز بينهم، وتوثيق مصادرهم.

- التحقق من صدق محتوى المواد والمعلومات المتواجدة على المدونات إذ ليس بالضرورة أن يكون صحيحا وأنها قد تكون مجرد آراء وأفكار تعبر عن الكاتب أو المؤلف فقط.

- تحضير وإعداد الطلاب قبل استخدام المدونات الإلكترونية .

- تدريب الطلاب على التصرفات السليمة والمقبولة عبر الانترنت كمؤلفين أو قراء محتملين .
- وضع إرشادات عامة للعمل وإطلاع الطلاب على تعليمات التربية وسياسة الاستخدام المقبولة الرسمية .
- عدم استخدام أسمائهم الكاملة عند الإرسال أو أية بيانات تدل عليهم، والاكتفاء بأسماء معروفة فقط لهم ولمعلمهم حفاظا على خصوصيتهم.

- ضرورة معرفة توقعات المعلم من قبل المتعلمين حول لغة الحوار المستخدمة وتبادل الاحترام وتحملهم لنتائج أعمالهم ومشاركاتهم.

·من المهم أن تكون عناوين الكتابات في المدونة جيدة وجذابة في وصف المحتوى خاصة وأن الكثير من الزوار يأتي إلى المدونات عبر محركات البحث وبرامج RSS التي تعرض الكثير من العناوين ليختار منها القارئ، ولن يعرف القارئ ما إذا المحتوى مفيدا له ما لم تكن طبيعة المحتوى واضحة من العنوان.

ثالثا: نماذج من المدونات التعليمية الجامعية :

رغم أهمية المدونات واستغلالها مؤخرا بشكل واسع في ميادين الثقافة والأدب والسياسية وغيرها ، يبقى استخدامها في المجال التعليمي ضعيفا في الوطن العربي عموما والجزائر على نحو خاص مقارنة بالعالم الغربي ،واتضح لنا من خلال العينات المدروسة أن نجد الكثير من المدونات التعليمية تهتم بالكيف على حساب النوع ولا تخضع لمعايير المدونات التعليمية من الجودة والتصميم والبناء الفني وكذا مميزات التحديث اليومي والتفاعلية والوصلات التشعبية ، وقد ارتأينا اختيار بعض النماذج المعروفة منها:

-**مدونة الدكتورة عيساني رحيمة** وهي باحثة وأستاذة جزائرية وعضو الاتحاد الدولي للغة العربية، والرابطة العربية لعلوم الاتصال وهي مدونة مختصة في علوم الإعلام والاتصال،تتضمن٦ ٠ أقسام أساسية:

الصفحة الرئيسية : تتضمن بيانات شخصية عن الدكتورة صاحبة المدونة وكذلك أرشيفها مرتبا من الأحدث إلى الأقدم.

سيرة ذاتية :يحتوي على السيرة العلمية للدكتورة "**عيساني رحيمة**".

كتب: يحتوي هذا القسم على مجموعة من الكتب والإصدارات في تخصص الإعلام والاتصال مع إمكانية التحميل.

مجلات علمية:تحوي هذه الفئة مواقع لمجموعة من المجلات العلمية والأكاديمية المحكمة.

بحوث مؤتمرات:يضم هذا القسم مجموعة من الأبحاث العلمية المنبثقة عن المؤتمرات ويتيح إمكانية تحميلها بصيغة **pdf** أو طباعتها أو إرسالها لصديق.

دراسات:يتضمن مجموعة من الدراسات العلمية لنخبة من الباحثين الأكاديميين ومواقع تواجدها.

مدونات أخرى: يتيح هذا القسم الوصول إلى مدونات لأساتذة وباحثين آخرين من خلال مواقعها الإلكترونية.

بوابات: يحتوي على مواقع البوابات البحثية الإلكترونية.

تصنف هذه المدونة ضمن نمط مدونة المعلم وهي خاصة بالبحث العلمي في طوري التدرج وما بعد التدرج،تكتب تدويناتها باللغة العربية ، تتمتع بميزة التفاعلية من خلال إمكانية التعليق ، بالإضافة إلى الروابط التشعبية ومحرك بحث كما تتدعم بمواقع التواصل الاجتماعي.

- **مدونة الأستاذ باديس لونيس**: تتصف بمدونة عن كثب، وهي مدونة تهتم بالفكر والثقافة والإعلام للأستاذ باديس لونيس المختص في علوم الإعلام والاتصال ، تحتوي الأقسام التالية:

الصفحة الرئيسية: تتضمن مجموعة من الأخبار و المقالات ، يتم تحديثها بشكل يومي تقريبا.

مجلات:تتضمن مجموعة المجلات العلمية المحكمة.

دليل المدونات:يتضمن دليلا بأهم المدونات الإلكترونية المتعلقة بالبحث العلمي.

جرائد: يحتوي روابط الجرائد الوطنية والعربية .

مذكرات أشرفت عليها: تدخل ضمن إطار الإشراف الأكاديمي وتتضمن هذه الفئة مجموعة المذكرات التي أشرف عليها الأستاذ باديس لونيس مرتبة من الأقدم إلى الأحدث بداية من الموسم الجامعي ٢٠٠٨/٢٠٠٩.

مراكز بحوث : تضم الفئة جملة من مراكز الأبحاث وعناوينها.

كما تحتوي المدونة على بوابتين رئيسيتين:

صاحب المدونة: تتضمن بيانات عن صاحب المدونة وسيرته الذاتية.

زوايا المدونة:تتضمن الفئات التالية:

أخبار علمية وثقافية،أنترنت،اقتباسات،استطلاعات،الطريق إلى الدكتوراه،الطريق إلى الماجستير،المكتبة،توظيف.

حوارات،دراسات ومداخلات،رشفة قهوة،سبر رأي، صور،فن،فوائد ولطائف،فيديو ،قراءات، مقالات كتبتها ،مقياس الإعلان ، ملتقيات وتظاهرات علمية ، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام و نقاش.

تقيس المدونة المواضيع الأكثر تصفحا،كما تتيح إمكانية التعليق وتبادل اللمعلومات من خلال الإرسال لصديق أو الانضمام للمدونة،عدد أعضاءها وتدعم مواضيعها بمواقع التواصل الاجتماعي.

- **مدونة الأستاذ ساعد هماش**:آفاق وأفكار وهي مدونة مختصة بالفكر والثقافة،الإعلام والبيئة والمجتمع ، تتضمن عدة أقسام:

أخبار ومواعيد علمية: تتضمن مستجدات الساحة العلمية ، أخبار الملتقيات ومواعيد المؤتمرات وغيرها...

نظرية الحتمية القيمية:تختص بعرض المواضيع المتعلقة بنظرية الحتمية القيمية من بحوث ومؤتمرات.

علم الاجتماع الحضري: يضم الملتقيات العلمية المنظمة في تخصص علم الاجتماع

بيئة وتنمية مستدامة:تختص هذه الفئة بعرض كل ما له علاقة بالبيئة والتنمية المستدامة من مقالات وأخبار

دراسات ومداخلات:يحتوي هذا القسم على الدراسات العلمية والتداخلات بالمؤتمرات .

الشبكات الاجتماعية والمدونات الالكترونية : تضم متفرقات مختلفة تخص البحث العلمي.

إسلاميات :تضم متفرقات من التراث الإسلامي ومختلف فروع الفقه الاسلامي .

مقياس المناهج والمدارس:يختص بعرض كل المعلومات المتعلقة بالمقياس من محاضرات ودروس، مواعيد الامتحانات.

صور من مدينتي:وهي عبارة عن صورة ملتقطة بعدسة صاحب المدونة عن مدينته ومسقط رأسه بباتنة

ترتب التدوينات من الأقدم إلى الاحدث، كما تتضمن المدونات الصفحات التالية:

الصفحة الرئيسية،مواقع إسلامية مواقع علمية وفكرية ، مجلات ودوريات ،مواقع التحميل، معاهد ومراكز بحثية،قواعد بيانات مواقع المتقيات والمؤتمرات .

بالإضافة إلى ركن خاص بصاحبها يعرض سيرته الذاتية وملفه العلمي، وكذلك خانة متعلقة بعدد الزيارات وأخرى خاصة بالمواضيع الأكثر زيارة .

تشترك هذه المدونات في خصائص عديدة ، فمن حيث النوع تنتمي هذه الأخيرة إلى صنف مدونة المعلم،تحتوي على تدوينات مختلفة مرتبة من الأقدم إلى الأحدث،كما تتضمن عدة بوابات وأقسام توحي بتوجهها،إلا أن التفاعلية بها بسيطة،حيث أن عدد المشاركات والتعليقات قليل،كما أن بعض الأقسام بها تخلو من التحديث اليومي.

خاتمة :

مما لا شك فيه أن التعليم الإلكتروني بأدواته المختلفة من فضائيات تعليمية متخصصة ومواقع إلكترونية وشبكات اجتماعية يعمل على تحفيز العملية التعليمية وتحسين نوعيتها لتتجاوز عواقب التعليم التقليدي المعروفة.

و المدونات الإلكترونية باعتبارها إحدى آليات التعليم الإلكتروني تصلح لأن تكون أداة طيعة لخلق جو من التعليم التفاعلي الايجابي خصوصا وان استعمالها يعرف منحى تصاعديا في مجالات متنوعة بعدما أثبتت نجاعتها وإيجابيتها في تسليط الضوء على مواضيع كثيرة بالطرح والمناقشة، إلا أنها لا تزال تخطو أولى خطواتها في الوطن العربي والجزائر ، حيث لا يزال استغلالها ضعيفا في المجال التعليمي مقارنة بمزاياها الكثيرة نظرا لتأخر الوطن العربي في استثمار التكنولوجيات الرقمية في مجلات الحياة عموما والتعليم على نحو خاص، وحتى تحقق المدونات كفاءة عالية في العملية التعليمية وتحقيق ما يعرف بجودة التعليم ، نقترح التوصيات التالية :

- زيادة الاهتمام باستخدام المدونات الإلكترونية في التعليم بمراحله المختلفة ومقرراته المتنوعة، وذلك للحد من المشكلات التعليمية التي قد تعترض العملية التعليمية.

- تدريب الطلاب على إنشاء المدونات التعليمية واستخدامها .

- تزويد المدونات التعليمية بالروابط التشعبية والوصلات التي تساهم في تعزيز المواد الدراسية المختلفة.

- عقد دورات تدريبية لتوعية أعضاء هيئة التدريس في الجامعات وتشجيعهم على الاستفادة من تقنية المدونات لتسهيل العملية التعليمية وتحسينها.

- أن يكون لكل عضو هيئة تدريس مدونة خاصة به تتضمن المحتوى العلمي للمقرر الذي يدرسه في كل فصل،بيان بدرجات الطلاب والإعلانات التي يريد إيصالها لطلاب...وغيرها، على أن تقوم لجنة من المتخصصين في المقرر والتربويين بالاطلاع عليها للوقوف على مدى مطابقتها للمعايير الفنية والتربوية من جهة، ولكي يكون هناك رقابة من جهة أخرى.

- إضافة موضوعات تتناول تقنيات الويب ٢.٠ وتطبيقاتها لمقرر الوسائل وتقنيات التعليم في الجامعات وتدريب الطلاب على استخدامها فعليا.

- الاستفادة من المعايير التي توصل إليها البحث الحالي والواجب توفرها في تصميم المدونة التعليمية.

- إدخال ملف الإنجاز "**Portfolio**" كأداة من أدوات التقويم الأصيل في التعليم الجامعي، وتوعية أعضاء هيئة التدريس بتقويمه.

- التحديث اليومي والمستمر لمحتويات المدونة حتى تواكب مستجدات البحث العلمي.

- الاقتداء بنماذج المدونات التعليمية العالمية من حيث التصميم والبناء الفني .

- تعزيز التدوينات بملفات صوتية ومرئية وصور ووثائق تدعم المواد الدراسية بها.

- تحفيز الطلبة الجامعيين على استخدام واستثمار المدونات بشكل أمثل من خلال إجراء مسابقات لأحسن مدونات.

- توعية المؤسسات التعليمية المختلفة بضرورة إنشاء مدونات خاصة لها تعرض من خلاله نتاجها العلمي والتربوي.

قائمة المراجع:

أولا: الكتب :

١ - أبو عيشة فيصل: الإعلام الإلكتروني ،دار أسامة ،عمان، الأردن،٢٠٠٩.

٢ - عيسى العسافين عيسى: المعلومات وصناعة النشر،دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١.

ثانيا: المجلات والأبحاث العلمية :

٣ - أحمد ريهام مصطفي : توظيف التعليم الإلكتروني لتحقيق الجودة في العملية التعليمية، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي ، العدد ٩، ٢٠١٢.

٤ - الصادق رابح: المدونات والوسائط الإعلامية بحث في حدود الوصل والفصل ، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعام جديد ، جامعة البحرين ،٧-٩ أفريل ٢٠٠٩.

٥ - منور عصام: المدونات الإلكترونية : مصدر جديد للمعلومات،مجلة دراسات المعلومات ، العدد ٥، ماي ٢٠٠٩.

ثالثا: المواقع الإلكترونية :

٦ - الفطافطة محمود : علاقة الإعلام الجديد بحرية الرأي والتعبير في فلسطين،الفايسبوك نموذجا،٢٠١١، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦، http://www.madacenter.org/media.php

٧ - صادق عباس مصطفى: الإعلام الجديد دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة ، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦ http://site.iugaza.edu.ps

٨ - مكاوي مرام عبد الرحمن:تضليل الإعلام الجديد، شوهد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٦

http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=5795

9- technology2010.ahlamontada.com/t130-topi.٢٢:٤١ ٢٠١٥/٠٨/٢٠ ،شوهد بتاريخ

الأصول النظرية للفكر النهضوي المغربي على عهد الحماية: الأسس والمنطلقات

د.أنس الصنهاجي/كلية الآداب والعلوم الإنسانية،ظهر المهراز،فاس،المغرب

ملخص:

قاد الفكر السلفي في المغرب بعد صدمة الاستعمار خطة الإصلاح والتحديث وصيانة الهوية، واعتبرها مرتكزا من مرتكزات المقاومة، وإستراتيجية للحسم مع المغرب القرسطوي البئيس، وقد جعل الرعيل الذي حمل على عاتقه تصحيح المسار نحو المستقبل، موضوع الاحتلال وتدابيره، منطلقا لتأطير وتعبئة المغاربة في جبهة واحدة، لمواجهة الطغمة الاستعمارية وممارساتها، وإذا كان النهج الذي قاربت به النخبة المثقفة الصراع مع المحتل خلال مرحلة الثلاثنيات طغى عليه نوع من الاعتدال في المواقف والتدرج في المطالب الإصلاحية، فإن مرحلة الأربعينيات اتسمت بنهج سياسة صدامية توخت القطيعة مع سياسة المهادنة بالمطالبة بالاستقلال، معتمدة في ذلك على الجرائد لفضح وتعرية كل أشكال الاضطهاد التي يقوم بها المستعمر في المغرب.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح –النهضة –النخبة- الاستعمار.

مقدمة:

شكلت الواقعة الاستعمارية التي عاشها المغرب في المرحلة الزمنية١٩١٢-١٩٥٦، مقطعا تاريخيا منعكسا لوضع عام، تميز بتراجع متسلسل على كل الواجهات،فقبل هذه الفترة يمكن الوقوف على علامات بداياتها الأولى، وبالضبط مع مرحلة خروج أوروبا من جغرافيتها،في إطار العملية الامبريالية للبحث عن مستقبلها في ما وراء البحار، بخطاب كولونيالي متراص منطلق من الدوغما الأوروبية ونسق نظري متمركز حول ذاته ومرجعيته الغربية المبنية على محددات الليبرالية بكل تموجاتها.

وفي ظل هذه السياقات المتعددة الأوجه، انطرح المغاربة أمام واقع جديد عليهم، واقعين تحت ما يسمي بصدمة الاستعمار التي أثارت لديهم تساؤلات ملحة تؤشر عن ما خلفته من ارتباك وانشطار على مستوى القوى الفاعلة والحية بالمجتمع المغربي، والمصنفة ضمن شريحة النخبة التي مهما قيل عن تأثيرها وحدود دورها ودرجة وعيها باللحظة التاريخية التي عايشتها بمقاييس المرحلة وتحدياتها،وما أفرزته من مواقف وتصورات إزاء كل المتغيرات الداخلية والخارجية، فإنها شكلت بكل تمايزاتها،النخبة التي تصدرت الفئات الاجتماعية الواعية والمدركة لطبيعة المرحلة، إذ إن الحفر في الأصول الاجتماعية لأعضاء هذه النخب وروادها يؤكد انتماءهم لعائلات حضرية لها مكانها الوازن لدى السلطة والمجتمع، وعلى هذا الأساس فإن النخبة المغربية خلال المرحلة الاستعمارية بكل مراحلها قد تفاعلت مع الوضع المفروض باسم الحماية كصيغة للاحتلال غير المباشر،لتتموقع وفق خطاب متكامل بصمته الأساسية تخضع لتصور محدد تجاه الوجود الفرنسي،عبر قراءة الذات المغربية وحدود قدرتها في عملية الإخضاع والغزو، متمترسة وراء مرجعية محددة سواء بالتصريح بها من خلال أدبياتها أو

تضميناتها في مواقفها المعلنة، فبرقت في قطبين:قطب ينهل من المرجعية السلفية المتأثرة بالتجربة المشرقية وأفكار روادها. وقطب حاول استنبات الفكر الليبرالي بأصوله التي تعود إلى عصر الأنوار الأوروبي، في كل مالا يتعارض مع الثوابت الدينية، محاولا مواجهة الاستعمار عبر ممرات خطابه الحضاري، الداعي للتحديث والاستفادة من الصدمة الاستعمارية، وكل ما يمكن أن يشكل دافعية نحو مواكبة التحولات العامة وضمان مسايرتها.

وانطلاقا من الاختلاف في نوعية التلقي للظاهرة الاستعمارية، عملت النخبة المغربية بكل أطيافها على بناء مشروعها البديل المتطلع إلى إخضاع النهضة المغربية انطلاقا من تأطير نظري صلب يتماهى مع شروط المجتمع الداخلية وتأثيرات التحول الخارجي، التي عملوا على توظيفها في دعم موقفهم وتقويته أمام الفرنسيين، وهو ما تجلى بوضوح في عملية الانتقال من المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالاستقلال.

وقد أتقنت النخبة المغربية لعبة الحفاظ على ثبات خطابها الوطني، بالرغم من اختلافها في وسائل بنائه، من خلال احترام الخيط الناظم بين مطالبها وبين مرجعيتها في علاقتها بما رسمته كنقط ارتكاز لاتقبل التراجع أو التنازل، وقصدنا في ذلك اتفاقهما حول مركزية السلطان ووحدة المجتمع، فنجحت بذلك في إفشال المخطط الاستعماري القاضي بخلق هوة وقطيعة بين ماكان يعتبر مقدسا لدى النخبة المغربية وصمام أمان لها، أي بين السلطان والمجتمع والحركة الوطنية. فأمام العدو المشترك أجلت كل مجالات الاختلاف والتعارض وتجاور خطاب السلفية مع خطاب الليبرالية في بوثقة الحركة الوطنية، ضمن إستراتيجية تأجيل التقاطبات والصراع إلى ما بعد تحقيق الهدف الأسمى.

وقد نشدت النخبة المغربية بعزم منذ الاحتلال الفرنسي والاسباني للمغرب الانتقال من مرحلة الركود والعتاقة إلى مرحلة الحداثة، مستعينة في هذا المشروع بالبوصلة الأوروبية والمرجعية السلفية، كمنطلق للقطع مع أشكال التفكير الميثي والحكم الأوطوقراطي وكل أسباب التخلف، مقابل إرساء قواعد دولة المؤسسات والفكر العلمي العصري القائم على حقائق وضوابط معرفية صارمة في معالجة القضايا، ووضع البرامج والمخططات. واعتبر أغلب الدارسين أن الفكر السلفي تزعم تغيير المجتمع في كل المجالات، وانتصب لمحاربة الاستعمار وتنوير المجتمع وتوعيته دينيا وتربويا وثقافيا وسياسيا، عن طريق الخطب وإصدار الجرائد والمجلات وبناء المدارس العصرية وتأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات، وفي هذا الصدد يقول محمد الكتاني:"**انبعثت السلفية في العصر الحديث لمواجهة الضلالات والغزو الأوروبي، وإنقاذ المسلمين مما تفشى فيهم من البدع والخرافات، فكانت رسالة السلفية الحديثة هي الإصلاح والتغيير كما يتضح ذلك من الوهابية والسنوسية وأعمال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي وعدد لا يمكن حصره من رجال الإصلاح الذين لم يفرقوا بين البعث الإسلامي والتعبئة السياسية لمقاومة الاحتلال الأجنبي والغزو الفكري**"[1] بيد أن هناك من اعتبره فكرا رجعيا محافظا يرتبط بالماضي والمقدس والمؤسسة التقليدية، ويعيد إنتاج واقع التخلف والانحطاط، وبهذا المعنى يقول عبد الإله بلقزيز:" **لم تكن قضية السلفية سوى تحقيق الماضي في المستقبل، على اعتبار أن المستقبل الأمثل ليس إلا ذلك النفي الحازم للحاضر في صورة استعادة لماض انزوى في زاوية النسيان. وهي لم تفعل-بذلك-سوى أنها أغلقت التاريخ على المقدس وحقيقته، وجعلت معنى التغيير يتطابق ومعنى المحافظة على النظام.**"[2]

---

[1] – الكتاني (محمد)، **السلفية إشكالية المفهوم والممارسة**، أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، صيلة، المغرب، ١٩٨٩، ص. ٨٦.

[2] – بلقزيز (عبد الإله)، **أسئلة الفكر العربي المعاصر**، المعرفة للجميع، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص، ١٥.

وإذا كشفنا المحددات السوسيولوجية والثقافية لهؤلاء السلفيين،فباستثناء أبي شعيب الدكالي ومحمد بلعربي العلوي والمختار السوسي ومحمد المقري، فكل عناصر جماعة المصلحين(روادا وتابعين) ينتمون إلى أوساط حضرية ومدن عتيقة كبرى، وأوساطهم العائلية عموما هي أوساط أرستقراطية من بيوت شرف وعلم، وباستثناء أبي عبد الله السليماني الذي كان تاجرا، فكل الرواد تولوا وظائف رسمية في جهاز الدولة، ويلاحظ أنهم ثقافيا تجمعهم وحدة الإطار المرجعي العام، كما أن المصدر الثقافي عندهم مصدر مزدوج يتمثل في التعليم التقليدي والتعليم العصري، فضلا عن تأثرهم بالسلفية المشرقية، ومن تم فليس هناك تمايزات إيديولوجية وفكرية واضحة بين دعاة الإصلاح والتحديث المغربي.

ويقسم عثمان أشقرا الفكر السلفي إلى اتجاهين:سلفية تراثية وسلفية جديدة التي تنقسم بدورها إلى قسمين: السلفية الجديدة ذات المنحى التحديثي ويمثلها:أحمد بن خالد الناصري وأحمد بن عبد الواحد المواز ومحمد بن الحسن الحجوي. والسلفية الجديدة ذات المنحى الوطني: ويمثلها محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي وغيرهم.[1] وخلال الفترة الممتدة ما بين١٩٢٥ ١٩٤٢ لم يرفع رواد الحركة الوطنية في أول الأمر شعار الاستقلال، بل قصارى ما كانت تطالب به هو إحداث إصلاحات في ظل نظام الحماية القائم، ولم يكن النضال السلمي- بعد إخفاق خيار النضال المسلح- ممكنا في غياب تنظيم سياسي يسهل عمليات التواصل وإمكانيات التنسيق. ومع حلول سنة١٩٣٤ تم إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات فكان رد فعل النخبة المثقفة المغربية شديدا ضد هذا الإجراء، عززته احتجاجاتهم لدى إدارة المتروبول، كما رفعت عدة برقيات استنكارية أرسلت باسم سكان المدن الكبرى إلى حكومة "دلدير" (Daladier) بباريس ورؤساء لجنة الشؤون الخارجية والبرلمان الفرنسي، فالإلحاق دفع الوطنيين المغاربة إلى التفكير في سبل مواجهة الفعل الاستعماري عبر إحداث قنوات تنظيمية تكون قادرة على إيصال المطالب المستعجلة التي أفرزتها الظروف الجديدة، فتعنت الحماية ومحاولتها التنصل من وعودها بإصدار الظهير البربري وتحويل المغرب من محمية إلى مستعمرة، عجلت من انبثاق أول تنظيم سياسي موسوم ب "كتلة العمل الوطني" وأعطت الذريعة للمثقفين النخبة تكوين أول تنظيم حزبي سياسي يدافع عن مصالح المغرب وينتقد ممارسات الحماية ويحثها على الالتزام بوعود الإصلاح والتحديث والمحافظة على مقدرات البلاد وشخصيته القومية، وقد جدّت كتلة العمل الوطني منذ مايو١٩٣٧ على إعداد برنامج للإصلاحات، تقدمت به في دجنبر من السنة نفسها إلى سلطان المغرب والإقامة العامة بالرباط والحكومة الفرنسية، كرد على إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات، مستشهدا بآراء القانونيين ورجال السياسية وتعريف "ليوطي"عينه لمفهوم الحماية التي عرفها بالبلاد التي تحتفظ بمؤسساتها وتحكم وتدبر شؤونها بنفسها تحت رقابة أوربية. كما استند البرنامج على الحكم الذي أصدرته محكمة النقض والإبرام بفرنسا بتاريخ١٩٣٤٤١٣ والذي نص أن معاهدة الحماية التي أبرمت بين فرنسا والمغرب الأقصى التزمت بتمتيع المملكة الشريفة بالاستقلال الذاتي، ثم يقيم البرنامج ما قامت به سلطات الحماية خلال٢٢ سنة، ليصل إلى الاستنتاج بأن سلبيات نظام الحماية تفوق بكثير إيجابياته. ومن هذا المنطلق تم اقتراح مجموعة من الإصلاحات[2] واحترام بنود معاهدة الحماية، وقد رأى "عابد الجابري" في هذا الإجراء مظهرا من مظاهر تطور وعي النخبة المغربية بقضية التحديث.

---

[1] – أشقرا (عثمان)، "**في الفكر الوطني المغربي**"، المعرفة للجميع، عدد ١٧، ٢٠٠٠، ص ص:٦٩-٨٥.

[2] – وتتلخص مطالب الإصلاحات في: **الإسراع بتعميم غرس بنيات ونظم وأجهزة الدولة الحديثة في المجتمع المغربي والتقليل من امتيازات الجالية الأوروبية وفتح المجال للمغاربة الاكفاء ليحلوا محلهم في تلك الامتيازات مع الإلحاح على ضرورة احترام الوطنية المغربية (الغاء الظهير البربري) والهوية الثقافية العربية الإسلامية للمغرب** . **أنظر المرجع**، عابد الجابري (محمد)، ***المغرب المعاصر الخصوصية والهوية الحداثة والتنمية*** ، مؤسسة بنشرة، الدار البيضاء، ١٩٨٨. ، ص. ٣١.

وهكذا فإن كنه ما تضمنته برامج الإصلاحات تمحور حول الإصرار على تطبيق معاهدة الحماية وإلغاء كل مظاهر الحكم المباشر، كما أنها طيلة سنة ١٩٣٠ ظلت تقاوم الامتيازات التي يطالب بها المعمرون الفرنسيون، وكان من نتيجة سياسة شد الحبل بين رواد الحركة الوطنية والإقامة العامة إعفاء المقيم العام "بونصو" وتعويضه بـ "بيروتون"، وغدت الفترة ما بين ١٩٣٧ إلى ١٩٤٢ فترة جزر بالنسبة للحركة الوطنية، غير أن تأسس حزب الاستقلال في ١٩٤٣ أعاد الصراع إلى المربع الأول وأدخل العلاقة بين مثقفي الحركة الوطنية والإدارة الفرنسية في متاهة جديدة، إثر رفع شعار الاستقلال عوض المطالبة بالإصلاحات من نظام الحماية. مستفيدا بذلك من الأوضاع الدولية وإصدار الميثاق الأطلسي، ودعم روزفلت لاستقلال المغرب.

١- الخلفية الفكرية للإصلاحيين المراهنين على الحماية : "محمد بن الحسن الحجوي أنموذجاً:

يعد الحجوي من أبرز أقطاب النخبة المغربية العالمة التي حملت مشروعا تحديثيا وانشغلت به، وقد انطلق مشروعه من سؤال إشكالي مفاده:"**بأي شيء تقدموا وتأخرنا**"؟ فاهتدى إلى التعليم واعتبره الاتجاه الصحيح في مسار الإصلاح، فتأخر الأمة الإسلامية هو نتيجة لتفشي داء الأمية، ولذا ارتأى أن خطوة التحديث تبدأ من اجتثاث شأفة جذور التخلف عن طريق إشاعة المدارس والمعاهد في كل ربوع المغرب، وتذليل سبل القراءة والكتابة وتيسيرها للجنسين ولكل الأعمار أحداثا وكهولا، وتحصيل العلوم العالية عربية وأوروبية خاصة منها الطب والهندسة والطبيعيات والحقوق والميكانيكيات. وقد جد في هذا المضمار على نقل مشروعه النهضوي من طور التنظير إلى طور الأجرأة والتطبيق، مهتديا بالنموذج الأوروبي وتراكماته العلمية والمنهجية ومساعدة إدارة الحماية، فالنهوض بالمغرب والارتقاء به –ظل في تمثله- ينبني على استلهام قيم ونظم حديثة ترتكز على التربية والتعليم كمدخل لإنجاح المشروع الإصلاحي- التحديثي،معتمدا في ذلك على فرنسا التي تعهدت القيام بإصلاحات بنيوية شاملة، تخرج بها المغرب من عصره القرسطوي وأنظمته الجامدة،[1] فالحجوي كان يرى أن ضعف المغرب ووهنه يكمن في افتقاده للنظام العصري المواكب لتطورات العصر، ولذلك كان مقتنعا أن الوقت أزف لإحلال إصلاحات عميقة في بنيات المجتمع المغربي الرجعية، ولو ببوصلة استعمارية،[2] وهذا ما دفعه إلى دعوة المغاربة إلى التعاون مع المستعمر بصدق وتوحيد الجهود لتذليل الوقت واستغلال الفرصة للقضاء على جذور النكبة الحضارية وتجاوز أسبابها التاريخية،[3] وفي هذا السياق أكد بالقول:" **فمن مصلحتنا الأكيدة أن نجعل يدنا في يدها وأن نصافيها ونتحد معها حتى نهض بالمغرب من كبوته إلى المستوى اللائق بمجده التاريخي ومكانته بين الأمم ، تعاون يفرضه العصر بل يفرضه منطق التقدم والقوة اللذان أصبحا إلى جانب فرنسا الدولة الحامية."**[4]

---

[1]– اليزيدي(محمد)، "**محمد بن الحسن الحجوي ومندوبية الصدارة العظمى في العلوم والمعارف على عهد الحماية الفرنسية** "، دعوة الحق، عدد ٣٨٠، السنة ٤٥، ٢٠٠٤، ص. ١٠٦.

[2]– الحسني(إسماعيل)، **سؤال التحديث والاختيار الاستعماري في شخصية – محمد بن الحسن الحجوي نموذجا** –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص. ١٥٧.

[3]– اليزيدي(محمد)، "**محمد بن الحسن الحجوي**..."، م.س، ص. ١٠٧.

[4]– الصولي(حميد)، "**نازلة الحماية في نظر الفقيه المغربي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، العددان ١٦ و١٧، ٢٠٠١– ٢٠٠٢، ص. ٨٢.

ورغم هذا الموقف المتماهي مع الحماية وسياستها في المغرب، فقد ندد بإستراتيجية التفرقة التي حاولت بثها في المغرب عن طريق الظهير البربري،[1]إذ وصف المقيم "سان" موقد للفتنة التي كانت نائمة عن طريق الظهير البربري، واعتبر الظهير فتا في عضد اللحمة المغربية، وتقويضا لوحدته التاريخية، وهو ما لا يمكن السكوت عنه، لأنه اعتبر الأمر يمس هوية المغاربة وعقيدتهم، وفي هذا الصدد ناشد المقيم "سان" بالقول: **وإنا نرجو من جناب مقيمنا العزيز لوسيان سان الذي جمع الله فيه خصال الخير والسعادة والكياسة والسياسة والذي يؤلف بين الأمتين أن يتدارك بتعجيل إصلاح حقيقي غير مموه للمسألة البربرية".**[2] كما حرص على تذكير الدولة الحامية بخطورة المشكل ليس فقط على المغرب بل حتى على النفوذ الفرنسي فيه.

كان الحجوي قبيل الحماية، يرفض رفضا قاطعا الوجود الفرنسي بالمغرب وكان يأمل أن يكون إصلاح البلاد من الداخل، ويظهر ذلك بجلاء من خلال انتقاده الشديد للمولى عبد الحفيظ عندما لم يصيخ لنصحه،منددا بتقاعسه عن الجهاد وإبرامه للاتفاقيات المجحفة مع أوروبا والتي تسببت في تعميق الأزمة بالمغرب،إضافة إلى إغفاله معاقبة المفسدين وتنظيم هياكل الدولة، حيث لفت انتباهه في هذا الشأن من خلال الرسالتين التي بعثهما مع الشيخان الخضر الشنقيطي وأبي شعيب الدكالي، وحذره من مغبة المنتفعين وأزلامهم الذين يبيعون البلاد أقساطا وجملة للأجانب وشداد الآفاق، وفي هذا السياق ألح على السلطان إدخال إصلاحات دستورية وسياسية تقوي البلاد وتجعلها عصية على الأجنبي، كما ناشده الصوم عن إبرام أي اتفاق أو معاهدة مع أوروبا إلا بمشاورة الأمة وموافقتها،[3] واستنكر في الرسالة الأولى إغفال النهوض بالتربية والتعليم، ما فسح المجال لهيمنة عائلتي المقري والكلاوي على الوظائف المخزنية، وممارسة الاستبداد على الرعية التي باتت بين مطرقة أسد ومنجل ذئب"... فالأسد تسلط على الداخلية والذيب على الخارجية والمالية."[4]

وعقب إمهار المولى عبد الحفيظ لمعاهدة الحماية، انتقد الفعل انتقادا لاذعا لدرجة أنه حمل السلطان مسؤولية الاستعمار بسبب سوء تصرفاته، ناعتا إياه بالجاهل والمتعصب والشغوف بالنهب والسلب،[5] واستهجن أيما استهجان استقبال السلطان وحاشيته للجيوش المحتلة وإكرام وفادتها بالحفلات والولائم، وكأنهم لم يفقدوا نجلا كريما واستقلالا عظيما.[6]

ولما تأكد أن الاحتلال بات أمرا واقعا وحتمية لازبة،وأمام تعهد "اليوطي" بتحديث المغرب وإلحاقه بقاطرة الأمم المتقدمة، وتأكيده بأن المغرب محمية وليست مستعمرة، اطمأن الحجوي لوعوده وارتأى أنه بالإمكان المراهنة على فرنسا لتطوير البلاد وتحديث هياكلها بعدما خاب رجاؤه في المخزن،وهو الأمر الذي دفعه إلى التعاون مع الاحتلال والدعوة إلى ذلك، وفي هذا السياق يقول:"**فليت المغاربة إخواني أن يمعنوا النظر(...)وليعتبروا من حولهم وبمن غبر،ففي التاريخ عبرة لمن اعتبر(...)فلينظروا من حولهم الأجانب الذين هم من كل صوب ينسلون وعلى الأرض التي كنا أزهد الناس فيها يتهافتون، وليتأملوا أسباب ارتقائهم،وسلامة ذوق انتقائهم،وشموخ مجدهم وعلو كعبهم، فيجدوا أن أسبابه منحصرة في شيئين:تعليم الأولاد بنين وبنات على التربية الصحيحة الاستقلالية التي تؤهلهم للقيام بعظيم المهمات،والاحتفاظ بالمال**

---

[1]– بنعدادة (أسية)، **الفكر الاصلاحي في عهد الحماية: محمد بن الحسن الحجوي**، المركز الثقافي العربي، البيضاء،٢٠٠٣،ص ١٥٣ .

[2]– الصولبي(حميد)، **نازلة**...، م.س، ص. ٨٥.

[3]– نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٣، ص. ١١٧.

[4]– الحجوي (محمد)،**الخبر عن دولة المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ**،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح ١٢٨،ص٤٧ .

[5]– بنعدادة (أسية)، م.س، **الفكر**...، ص. ١٨٦.

[6]– الحجوي(محمد)،**الخبر**...، م.س، ص. ٥٦

من نقود وعقار،وحسن الاستثمار."[1] فتعاونه مع سلطات الحماية بناه عن اعتقاد يسلم أنها مهماز النهضة والإعمار،وهذا ما جعله يثني على ما أحدثته الحماية في البنى الاقتصادية والاجتماعية، ويمتدح أعمال "اليوطي"الذي اعتبره حبيب المغرب والمغاربة وباعث مآثر الإسلام وثراته، ورجل السيف والسياسة والعلم.[2]ولم يجد الحجوي غضاضة في الإشادة بالدولة الحامية بسبب إنشائها للمدارس والمعاهد، وترميم ما اندثر منها،فعبر عن امتنانه على ما بذلته من مجهود على هذا المستوى، وفي هذا الصدد يقول:"**والمغرب مدين بمنة كبرى لدولة الحماية التي أخذت على نفسها انتشاله من هوة تأخره والنهوض به لمستوى العلم والعرفان."**[3]

ودعا في إطار ذلك إلى المتح من معارفهم وعلومهم وكل ما يشكل عنصر قوتهم،عن طريق الانفتاح على الحضارة الأوروبية واستلهام محفزات الحداثة وأشكال استنباتها ما لم يتعارض مع مقاصد الشرع، مؤكدا في هذا الإطار على ضرورة الاجتهاد لمواكبة مقتضيات الوقت بما تطرحه من مستجدات دورية، بعيدا عن أحكام التضييق على الأمة ومنعها من مسايرة العصر،فمسألة النظام مثلا كان يعتبرها قطب الرحى في التفوق الغربي،[4] فتخلف المسلمين في اعتقاده لا يرتبط فقط بالابتعاد عن الفهم الصحيح للدين الإسلامي، بل أيضا بتكلس بنية العبث والفوضى وغياب النظام، وهذا ما جعله يعجب كثيرا بأسس النظام الأوروبي وعمقه الديمقراطي، ويدعو بنهم لتبني نظام يواكب العصر ويرقى بالأمم على غراره، وفي هذا المعنى يقول: "**إن نظام المجالس الشورية الانتخابية الموجودة في أوروبا وإن لم يكن بعينه عند الإسلام، لكن كان لهم نظاما كافيا بحاجاتهم الوقتية مناسبا لأفكار أمم ذلك العصر، لكون هذا النظام العصري لم يتكون دفعيا،بل نتيجة قرائح أمم أوجدته تدريجيا في أجيال متطاولة."**

وفي حديثه عن مسألة الانفتاح نبه إلى ضرورة التشبث بتوابث الشخصية المغربية والهوية الإسلامية فالبلاهة والاستلاب -في نظر الحجوي-هو تقليد أوروبا في الأمور المخالفة للدين والتي تكون سببا في اضمحلال القومية الإسلامية ومحق أسسها،كالتشبه بهم في أمور العبادة و السفور والتهتك والخمور ومحاكاتهم في الزي[5]وسفاسف الأمور.

وعلى هذا الأساس اعتبر تسطير المشروع النهضوي يستوجب تبني النموذج الأوروبي في كل الأوراش التحديثية وعلى رأسها التعليم، حيث دعا إلى تنظيم المسامرات الفكرية وتنظيم المنتديات وتكريس ثقافة منفتحة على الآخر ومناقشة الأفكار والآراء، وفي هذا الشأن يقول: "**وغير خفي على أحد أن منتديات أوروبا هي السبب الأكبر في رقي أفكار أهلها، وبالمنتديات يبتدئ الرقي الفكري في الأمم قبل المدارس،بل هي بذرة المدارس وبالمسامرات والمحاضرات التي تكون بتلك المنتديات زخرت أوروبا بالعلوم،وعمت الحركة العلمية سائر الطبقات..."**[6] وقد أولى الحجوي مكانة رفيعة لقضية إصلاح نظام

١– من التقريظ الذي بعثه الحجوي لمعاصره محمد بن الأعرج السليماني على كتابه " اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول لمغرب"مطبعة الأمنية، الرباط ،١٩٧١،ص١٩١.

٢– الحجوي (محمد)، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي**، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ص. ٢٣١.

٣– الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح١١٥، ص ١٨٠.

٤– الحجوي (محمد)، كلمة ألقاها بحضور تلاميذ مدرسة أولاد الأعيان بالرباط سنة ١٩٤٢، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١١٨، ص. ٦٩ .

٥– بنعدادة (أسية)، **الفكر**...، م.س ، ص. ٢٤٠.

٦– الحجوي(محمد)، **مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى**، تحقيق محمد بن عزوز، سلسلة علماء القرويين، رقم ٢، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص. ٤٠

التربية والتعليم،حيث دعا إلى تحديث برامجه ومناهجه،وهذا الانشغال الكبير بتطوير التعليم يتأسس على اقتناع ثابت بأهمية العلم وضرورته كمحدد في النهوض بالأمم وشموخها الحضاري، وقد ارتكز الحجوي في مشروعه النهضوي على تأسيس مدارس عصرية تحافظ على الشخصية المغربية وثوابت الأمة،وفي الوقت نفسه منفتحة على علوم الكولونيالي وثقافته،معتبرا أن ذلك خطوة ثابتة في سبيل للانفساق عن واقع الضعف والتخلف الذي يعيشه المغرب[1]، وهذا ما عبر عليه بالقول: **إن الحكومة الفرنسية حينما نشرت حمايتها على البلاد لم تقصر نظرها على الأمور السياسية والاقتصادية والانتفاعية كعادة الشرهين من المحتلين بل فكرت قبل كل شيء فيما تحتل به قلوب المغاربة بعد احتلال أرضهم وكان فكرها أولا وبالذات راميا إلى أسمى مبدأ وأعلاه وهو الثقافة العقلية والتعليم الأهلي."**[2] وكانت مهادنته للاستعمار تنطلق من اعتقاد مفاده أن فكرة الأمة الفرنسية كفكرة الإسلام الداعي إلى التعارف والتعاون، وأن فرنسا هي أمة أدب وأخلاق،[3] وقد وصلت إلى ما وصلت إليه عن طريق العناية بالنظام التعليمي وأسسه.[4]،وفي السياق نفسه قال: " **بالعلم ارتقت الفلاحة والصناعة والتجارة، وبه وصلت الدول أوج المعالي** "[5]، مؤكدا في الموضوع نفسه أنه بقدر تقدم المعارف والعلوم في الأمم بين أفرادها يقاس تقدمها،[6] ولعل هذا الاقتناع بالأدوار الحاسمة للعلم كمحدد في النهوض المجتمعي، يرتكن لتجربته حين كان أستاذا في جامعة القرويين، وعند زيارته لأوربا التي انبهر خلالها بتقدمها العلمي وتفوقها الحضاري. وقد شكلت هذه الرحلة الموثّقة نافذة أطل من خلالها على أسباب التفوق الأوروبي ومظاهره المتينة، وقد استخلص من ذلك الأسس الركينة الذي تأسس عليه التقدم الأوروبي، والتي يمكن استلهامها لتجاوز التعثر الحضاري، والتي أجملها في النظام والعلم والتجارة.

وقد جد الحجوي في إبراق مقام التعليم والغايات المرجوة التي يمكن أن تقع جراء إصلاح نظامه، إذ خصه بالأولوية وهو يخط خارطة الطريق التي يجدر تباعها لتحقيق النهضة والتقدم، علاوة على إلقاءه للعديد من المحاضرات والخطب في الموضوع ، وتوجيه عدد من الملتمسات و الرسائل إلى سلاطين البلاد الداعية إلى توجيه الاهتمام للعلم ورجالته وتحيين مؤسساته" وفي هذا الشأن قال:" **فلا أزال أقرع الأسماع لعله يحصل الإسماع ويتحقق الأمل.** "[7] فمشروعه النهضوي كان يبدأ بخطوة محاربة داء الأمية المعشش بين طبقات المغاربة في مختلف مناطق البلاد، معتبرا إياه **"عدو الإسلام الألد"**،[8] ولتطبيق هذه الفكرة طالب السلطان بفتح مدارس ليلية مجانية، يتعلم فيها الكبار الذين فاتهم التعلم في الصغر،[9]وانطلاقا من الوظيفة السامية التي شغلها كمندوب للمعارف، عمل الحجوي –مع الدولة الحامية –على تأسيس المدارس والمعاهد، واستغل المجامع العلمية التي كان يحضرها والخطب والدروس الدينية التي كان يلقيها في مختلف المناسبات، لإقناع المغاربة بإرسال أبنائهم للتعلم في المدارس، بعدما أحجموا عن ذلك بسبب تشكيكهم في مقاصد إنشائها واعتبروها وسيلة لتوطيد

---

[1] – اليزيدي(محمد)، "محمد بن الحسن الحجوي..."، م.س، ص. ١٠٨.

[2] – بنعدادة (أسية)، "**مفهوم الحماية عند الحجوي**"، هسبريس تمودا، العدد ٣٩، ٢٠٠١، ص. ١١٠.

[3] – الصولي(حميد)، "**نازلة**..."، م.س، ص. ٨٤.

[4] – بنعدادة (أسية)، "**مفهوم**..."، م.س، ص. ١١٣.

[5] – الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١١٨ ، م.س، ص. ٦٩ .

[6] – الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط ح ١١٥،م.س، ص. ١٥٩.

[7] – الحجوي، مستقبل تجارة المغرب، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١١٨، م.س، ص. ٦٤.

[8] – الحجوي ، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١٥٨، ص ٤.

[9] – الحجوي(محمد)، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١١٥، م.س، ص ١٠٨.

الوجود الفرنسي المحتل للبلاد، وفي هذا الصدد أشار إلى الصعوبات التي صادفته أثناء ذلك بالقول: "**وكم تحملت من مصادمات وشتائم ممن هم ضد التعليم وهم كثر**":[1]

ولتذليل سبل النهضة والتقدم وتيسير النهل من معين معارف الدول المتقدمة ومناهجها، ارتأى أن لا مندوحة عن الانفتاح على اللغات الأجنبية والعمل على إتقانها،ولا سيما اللغة الفرنسية، و ألح من جهة أخرى على ضرورة الاهتمام بالتعليم التقني و ربط التكوين النظري بالتطبيق، والأخذ بالعلوم الحديثة الرياضية منها و الطبيعية، والعمل على إشاعة مدارس متخصصة في التعليم التجاري، يلقن فيها الطالب أسس التعامل التجاري الصحيح من محاسبة وإمساك للدفاتر وملاحظة السوق وحركته في داخل البلاد وخارجها، ومناهج تمكن من تكوين التاجر المسلم وتأهيله حتى يصبح قادرا على منافسة التاجر اليهودي و التاجر النصراني...[2]

وقد أولى الحجوي اهتماما بالغا بتطوير القرويين وتحديث نظامه، فبعدما كان الجامع يرتكز طلابه في أخذ العلم على المشاهدة والتجربة، انتهى بهم الأمر كما يقول الحجوي إلى:"**إقرأ ما في الكتب وكرر ما يقول الأساتيذ تكن عالما**"[3]،كما انتبه الحجوي أن نظام التعليم فيه عرف إقصاء مجموعة من المعارف والعلوم التي كانت مصدر إشعاع الجامع وريادته العلمية، من قبيل التفسير الذي انصرف الناس عنه متطيرين من درسه، وعلم التاريخ الذي طاله النفور والهجران، ولم تسلم النصوص التشريعية الكبرى ومؤلفات الأئمة الكبار من الإهمال، مقابل الانكباب على استظهار الملخصات، ثم انتهى الأمر إلى الاقتصار على الشروح والحواشي، "**ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار، وهو جمع الأسفار في سفر واحد، وتقريب المسافة، وتخفيف المشاق، وتكثير العلم وتقليل الزمن.**"[4]

أما فيما يخص تعليم المرأة فقد كان له قصب السبق في الدفاع عن حقها في التعليم ليس فقط باعتباره حقا شرعيا من حقوقها، بل باعتباره أيضا واجبا دنيويا يساعد بشكل وازن في الحفاظ على الهوية و التسريع من رهان التقدم وخلق مجتمع سليم نافع، بل قام في هذا الشأن بتقديم برنامج بيداغوجي متنوع يجمع بين العلم وتهذيب الأخلاق،[5] فإلى جانب ما تتعلمه المرأة من قراءة ما تيسر من القرآن، اقترح الحجوي أن تتعلم المرأة ما يلي:

- القراءة و الكتابة و الخط و الرسم.
- ضروريات الحياة من عقائد و عبادات و مبادئ النحو و الآداب العربية.
- تعلم الحساب و الجغرافيا و التاريخ و مبادئ العلوم والهندسة العملية.
- الأخلاق الإسلامية تعلما و تخلقا.
- تدبير شؤون المنزل و الاقتصاد و الرشد في الأحوال.

---

[1] – الحجوي(محمد)، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١٥٨، ص ١٣١.

[2] – بنسعيد، العلوي (سعيد)،**الاجتهاد والتحديث دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب** ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،الطبعة الثانية، ٢٠٠١، ص ص٨٥-٨٦.

[3] – نفسه. ص.٨٦.

[4] – بنسعيد، العلوي (سعيد)، **الاجتهاد**...،م.س، ص ٤٠٠-٤٠٢.

[5] – الحجوي(محمد)، **الفكر السامي**...،م.س، ص٢٨٥.

- تدبير الصحة والتربية البدنية.

- فن التربية لتحسن تربية أبنائها.

- تعلم صنعة أو أكثر كالخياطة والفنون الجميلة.

ولبلورة هذا البرنامج، طالب الحجوي بتطوير مدارس البنات والرفع من مستواها، وتكوين مدرسات مغربيات مسلمات يساهمن في ترقية التعليم، الذي يخضع لمنافسة قوية وغير متكافئة من طرف الكنائس والمؤسسات التابعة لها.[1]

قصارى القول،جد الحجوي بعد تشريحه للوضع القائم الذي آلت إليه البلاد، طرح مشروع إجرائي شمولي منفتح تغيا انتشال المغرب من أوحال العتاقة والجمود، والقفز به إلى رحاب النهضة والتحديث، وذلك عن طريق الانتحال من علوم ومناهج الحضارة الأوروبية المتقدمة وتطويره بالإرادة والاجتهاد وإعمال العقل بما يحقق النهضة والظهور ويحافظ على الهوية والشخصية المغربيتين، وعلى هذا الأساس أقر الحجوي بتفوق الغرب فدعا إلى الانفتاح على ثقافته والاستفادة من علومه للنهوض بالمجتمع المغربي، محاولا التوفيق بين الدين والاقتباس من الآخر على أساس أن الدين لا يتناقض مع الحداثة والتجديد فهناك كما قال الحجوي "**تعاضد متين بين العقل والعلم والدين**".[2]

٢- الخلفية الإيديولوجية للاصطلاحيين الرافضيين للحماية: " محمد بن العربي العلوي أنموذجا"

بنى محمد بن العربي العلوي مشروعه النهضوي على العودة إلى تطبيق الإسلام الصحيح ومجاهدة الوجود الاستعماري وبدع الزوايا وعملاء الاستعمار،وركز في مقاربته على نشر العلم بين أوساط الشباب على وجه الخصوص باعتبارهم عماد المستقبل.فالسلفية التي كان يدعو إليها لا تختلف عن التقدمية بكل معانيها إلا في الطريقة والمنهج الذي اختاره،ما جعلها حركة تحديثية ترنو إلى النهوض بالمجتمع دينيا ووطنيا.[3]

فمسحته عميقه في تأصيل الوطنية المغربية وتلقيحها بالمنهج السلفي المتحرر من ربقة الأراجيف وعبادة الأوثان، إذ بفضله تبلورت الدعوة السلفية لتصير ممارسة وطنية قبل نشأة الحركة الوطنية، ولتصير عاملا قويا في تحقيق الوحدة الوطنية والتضامن الإسلامي والقومي.[4] حيث ارتبطت بالإصلاح الديني أولا وبالتحديث ثانية لتشكل الأساس الذي قامت عليه الحركة الوطنية التي لم يكن همها فقط المطالبة بالاستقلال وإنما أيضا تحديث الفكر والمجتمع.

كان محمد بن العربي العلوي في طليعة العلماء والمثقفين المنتقدين لمقتضيات عقد الحماية، والرافضين لخضوع المغرب للاستعمار الفرنسي،والداعين إلى الجهاد في سبيل تحقيق الاستقلال، هذا الموقف أدى به إلى النفي والتضييق على حريته مرارا وتكرارا.[5]إذ لم يألُ جهدا في استنفار الهمم إلى الجهاد والثورة ضد المستعمر، ففكرة الجهاد أجرأها وهو شاب عندما

---

[1] – الحجوي(محمد)، **الفكر السامي**...، م.س، ص ٢٨٦.

[2] –الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح ١١٣، ص ١٢٥.

٥٢– نفسه.

[4] – البعقيلي (إدريس)، **علماء القوات الشعبية:شيخ الإسلام محمد بلعربي العلوي المصلح النهضوي، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد ٢٧ أبريل ٢٠١٣، ص ٤.**

[5] – الفلاح العلوي (محمد)، "**السلفية المغربية بين محمد بن الحسن الحجوي ومحمد بن العربي العلوي**"، مجلة المناهل، عدد ٢٤، شتنبر ٢٠٠٠، ص ٢٠٠.

التحق بصفوف المقاومة إثر احتلال فرنسا لمدينة الدار البيضاء سنة ١٩٠٧، بعدما عرض خزانته للبيع لتجهيز نفسه،[1] كما حاول الالتحاق بحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي وأحمد الهيبة.[2] هذا الخيار الثوري جعل وطنيته رمز التفكير لدى الشبيبة المغربية[3] خاصة عندما رفض الاعتراف بالرسالة الحضارية الفرنسية التي جاءت بها فرنسا لتطوير المغرب وانتشاله من فقره وتخلفه، وفي هذا الصدد أعرب بالقول: **أفضل أن أرى المغرب صحراء قاحلة يتمتع بالحرية والاستقلال على أن أراه يسير في ركب الحضارة مقيدا بأغلال الاستعمار، لن يقبل المغرب حضارة على شكل عبودية، وثورة على شكل استعمار.**[4] وقد ركز نشاطه منذ استعمار المغرب في إطار دروسه الفقهية والأدبية على مهاجمة الحماية وكشف مخططاتها[5] كما وضع مشروعا بمرجعية سلفية غايته إخراج المغرب من مأزق الاستعمار، ووضعه في مسار النهضة عن طريق إعادة الناس إلى ممارسة الإسلام الصحيح وإحياء سنة الرسول الكريم والسلف الصالح في العبادات والمعاملات والفضائل، وقد تمكن بفضل مواجهة المحتل وبدع أزلامهم من الطرقيين من إشعال جذوة الوطنية والقومية في نفوس الكثير من المغاربة والدفع بالشباب إلى الانخراط في العمل الوطني،[6] حيث جعل من المدارس الحرة التي أشرف على إنشائها بمدينة فاس المنطلق الرئيس لتشكيل جيل متشبث بهويته، كما كان من العلماء السلفيين المطالبين بتعلم الفتاة المغربية، وفي هذا الصدد ألقى خطبة بحضور السلطان بن يوسف قال فيها: "**إذا كانت المرأة راعية على بيت زوجها وولده كما في الحديث النبوي الشريف،كان من الواجب أن تدرع بدرع من العلم حصين، وتسلح بالمعارف والأخلاق الدينية الفاضلة للقيام برعيتها وإمارتها أتم قيام وأحسنه، أما إذا أسندت إليها هذه المهمة وحملت هذا العبء الثقيل وهي عزلاء من كل علم ومعرفة، خالية من كل تربية وتجربة، فإنها تعجز لا محالة،فتضيع ولايتها،وتبني بيتها على جرف هار.**"[7]

وانبرى هذا العالم في حلقات الدرس بجامع القرويين إلى جانب تسفيه ممارسات الحماية، التشهير بالعملاء ومن وإلى الفرنسيين من الأعيان والعلماء ومشايخ الزوايا والطرق أمثال عبد الحي الكتاني،[8] وقد تبنى هذا المسار وسانده أساتذة ومثقفون، أمثال محمد أقصبي وعبد السلام السرغيني و أحمد الشبيهي الحسني والحبيب المالكي الجزائري.[9]

ومن أبرز المحطات النضالية التي ميزته ضد المستعمر،موقفه الشجاع سنة ١٩٤٤، فعندما وضعت عريضة الاستقلال التي قدمها حزب الاستقلال على طاولة المناقشة،كان ابن العربي العلوي الوحيد من أعضاء الحكومة الذي آمن بالفكرة دون تردد،وأيد حزب الاستقلال بآرائه الصارمة في الموضوع، بخلاف بقية أعضاء الحكومة الذين توجسوا بعدما رفض المقيم العام العريضة، وهدد كل من يساند مطالبها، فقام ابن العربي بتحدي تهديدات المقيم العام،وقدم استقالته من حكومة

---

[1]– السراج (أحمد)، "**الفكر السلفي عند الشيخ محمد بن العربي العلوي** "، أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطابع ميثاق، الرباط، ١٩٨٩، ص ٢١٩.

[2]– الفلاح العلوي (محمد)، **دور الفكر...**، م.س، ص ١٨٥.

[3]– فنيتير (مصطفى)،"**تقرير سري لسلطات الحماية الفرنسية حول النخبة المغربية بداية عهد الحماية** "، المجلة التاريخية المغاربية، عدد ١٢٦، تونس ٢٠٠٧،ص ١٤٠.

[4]– فنيتير (مصطفى)، "**تقرير...**،م.س، ص ١٤٠.

[5]– ابن هاشم العلوي (امحمد)، **من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس ١٩٣٧–١٩٤٤**، دار الثقافة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠،ص٨٥.

[6]– معروف الدفالي (محمد)، **القرويين**: والصراعات السياسية في المغرب محاولة رصد أولى، مجلة المناهل، يناير ١٩٩٢، ص ٩٩.

[7]– الجراري(عبد الله)، **من أعلام الفكر المعاصر: الرباط وسلا**، الجزء الاول، مطبعة الامنية، الرباط، ١٩٧١، ص ٧٦.

[8]– الفيلالي (عبد الكريم)،**التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، الجزء التاسع، شركة ناس للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٥١.

[9]– نفسه، ص ١٦٧.

الصدر الأعظم استنكارا للأسلوب الذي واجهت به فرنسا المطلب الوطني،وشجبا لتخاذل الهيئة الوزارية وجبنها في الحق، أما رد السلطات الاستعمارية على هذا الموقف،فكان نفيه إلى قرية "القصابي" ثم إلى "ميسور"، وبعد ذلك إلى "مدغرة" مسقط رأسه.ومن مواقفه الجريئة الأخرى وما أكثرها، فتوى بكفر الكلاوي ومن معه وإباحة دمائهم، وهي الفتوى التي تبناها ٣٠٠ عالم من كل أنحاء المغرب، وعززتها فتاوى لعلماء الأزهر" بكفر الكلاوي ومروقه".وبسبب هذه الفتوى،نفاه الفرنسيون إلى القصابي قرب ميدلت، ثم نقلوه إلى قصر السوق ونفي فيها ما ينيف عن عامين، ثم نفوه مرة ثانية من فاس فاختار الإقامة بمصطاف إيموزار في١٨ من رمضان سنة١٣٧٠هـ وذلك جراء رفضه الإقلاع عن شحذ الهمم ضد الاحتلال وأذنابه بجامع القرويين واستقباح أفعال الحماية وأعمالها، ، ثم رجع إلى فاس في آخر رمضان وأقام بمنزله بدرب الورد بالمدينة الجديدة لكنه بقي ممنوعا من دخول المدينة العتيقة والنزول إلى القرويين،[1] وحينما حاولت فرنسا إبعاد السلطان محمد بن يوسف عن عرشه جعلت الحراسة على باب منزله ومنعته من الخروج منه وحبست جميع الناس من الاتصال به،لكن فتوته بوجوب قتل محمد بن عرفة -الذي حاولت فرنسا فرضه سلطاناً على المغرب- بدليل الحديث الشريف:"**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**"، جعلته ينفى في١١ ربيع الثاني١٣٧٣هـ إلى مدينة تزنيت عاما كاملا.[2]

صفوة القول، إن أصداء السلفية النهضوية في المشرق لم تتطور في المغرب إلى سلفية جديدة فعلاً إلا عبر الشيخان أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وتلاميذهم"، ليدشنوا بدروسهم وأفكارهم مرحلة جديدة في تاريخ الفكر السلفي الوطني،ذلك أن الشيخ العربي العلوي لم يكتف بمحاربة الطرقية التي كان كثير من مشايخها ليسوا فقط موالين أو عملاء لسلطات الحماية،بل أيضا مسخرين من جانبها لمحاربة الثورة التحررية في الريف،ثم الحركة الوطنية في المدن،بل عمد إلى مقاومة الحماية الفرنسية مباشرة بالتشهير بسياستها واستنهاض الهمم للوقوف في وجهها،بعدما فشلت محاولته الالتحاق بصفوف المقاومة المسلحة في الشمال والجنوب،ثم واصل مناصرته للقضية الوطنية التحررية بالنفس نفسه التي حارب بها أسباب التخلف وجذوره،وهكذا تحولت السلفية في المغرب على يد الشيخان من سلفية وهابية الطبع -موظفة من قبل المخزن قبل الحماية كإيديولوجية دينية في مقاومته تمردات الطرقيين وثواراتهم-، إلى سلفية وطنية مناضلة أطرت مرجعيتها الجيل الأول من مثقفي الحركة الوطنية المغربية وروادها، وقدمت لهم الأساس الفكري لمقارباتهم التحديثية ومواقفهم السياسية والنضالية.[3]

تأسيسا على ما سبق يمكن القول،إن الرعيل الأول من العلماء والمثقفين المغاربة الذين عايشوا البدايات الأولى لسلطة الحماية ركزوا في مشروعاتهم النهضوية على الإصلاح الديني والاجتماعي،من مرجعية سلفية واعتبروها المدخل الرئيس لتجاوز مرحلة النكوص الحضاري الذي يعرفه المغرب،أما أنصار الحماية الفرنسية فقد ركزوا في مقترحاتهم الإصلاحية على التوفيق بين الأصالة والمعاصرة والنحل من معارف الحضارة الفرنسية ونظمها للنهوض بالمغرب إلى المكانة الذي يستحق والارتقاء به إلى مصاف الدول المتقدمة.

خلاصة واستنتاجات:

يعد الحديث في موضوع النخبة المغربية خلال مرحلة الحماية، مسألة هامة وذات راهنية قصوى، نظرا لارتباطها بمثيرات وتفاعلات الظاهرة الاستعمارية بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وعلاقتها بالبنية المجتمعية المغربية

---

[1] – بدو (عبد الجليل)، **السلفية والاصلاح**، منشورات سليكي إخوان، طنجة، ٢٠٠٧، ص ٣٣.

[2] – محمد الوديع الأسفي، **السلفي المناضل محمد بن العربي العلوي**، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص ٥٩.

[3] – عابد الجابري (محمد)، **المغرب المعاصر الخصوصية والهوية الحداثة والتنمية**، مؤسسة بنشرة، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص٢٧.

وتطورها وعمق التحول الطارئ عليها نتيجة ذلك. وهو ما يفرض على الباحث القيام بحفريات عميقة في تجلياتها، والكشف عن تقاطعات الفعل الاستعماري مع ردود فعل المغاربة باختلاف مشاربهم وتفاوت تراتبيتهم الاجتماعية وتطوراتهم الفكرية وانجذاباتهم من حيث المرجعية السياسية التي يصدرون عنها.

وقد انتصب الفكر السلفي بعد صدمة الاستعمار إلى تصدر خطة الإصلاح والتحديث وصيانة الهوية المغربية، واعتبرها مرتكزا من مرتكزات المقاومة، وإستراتيجية للحسم مع المغرب القرسطوي، وقد جعل الرعيل الذي حمل على عاتقه تصحيح المسار نحو المستقبل،موضوع الاحتلال وتدابيره، منطلقا لتأطير وتعبئة المغاربة في جبهة واحدة، لمواجهة الطغمة الاستعمارية وممارساتها،وإذا كان النهج الذي قاربت به النخبة المثقفة الصراع مع المحتل خلال مرحلة الثلاثنيات طغى عليه نوع من الاعتدال في المواقف والتدرج في المطالب الإصلاحية، فإن مرحلة الأربعينيات اتسمت بنهج سياسة صدامية توخت القطيعة مع سياسة المهادنة بالمطالبة بالاستقلال، معتمدة في ذلك على الجرائد لفضح وتعرية كل أشكال الاضطهاد التي قام بها الكولونيالي في المغرب، وبالرغم مما قيل عن دور المحتل التحديثي، فانه ظل مهموزا بضغط النخبة المثقفة المغربية، وفي الحدود الذي لا يمس بالمشروع الكولونيالي ومصالحه الإستراتيجية. وإذا كان الفكر السلفي الذي تعهد بالإنقاذ قد فشل رواده في تحقيق نهضة حقيقية في مغرب ما بعد الحماية، فلأنه لم يكترث إلى ضرورة تحيين أساليبه وآلياته في قالب يستجيب فيه الفكر مع شروط الحياة المغربية وأسئلتها الجديدة وخصائصها العامة،ولم ينجح في المواءمة في بناء الدولة بين البعدين الديني والمدني. فقبول النخبة المغربية باستقلال في ترابط مع فرنسا،وتورطها في صراعات داخلية مع بعضها البعض من أجل السلطة والسيادة، أفقدها موقعها في نفوس العامة والخاصة وأفلس مشروعها، ومهد لصعود نجم النخبة نقيضة طرحت نفسها بديلا بمرجعية وفكر اشتراكيين،واعدة المجتمع المغربي باستئصال داء الاستغلال والتخلف والفاقة،عبر توزيع الثروة ومحق كل أشكال الطبقية والظلم والاستبداد.

قائمة المراجع :

١. أشقرا (عثمان)، "**في الفكر الوطني المغربي**"، المعرفة للجميع، عدد ١٧، ٢٠٠٠.

٢. بلقزيز (عبد الإله)، **أسئلة الفكر العربي المعاصر**، المعرفة للجميع، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

٣. بنعدادة (أسية)، **الفكر الاصلاحي في عهد الحماية: محمد بن الحسن الحجوي**، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ٢٠٠٣.

٤. بنعدادة (أسية)، "**مفهوم الحماية عند الحجوي**"، هسبريس تمودا، العدد ٢٠٠١،٣٩.

٥. بنسعيد، العلوي (سعيد)، **الاجتهاد والتحديث دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

٦. بدو (عبد الجليل)، **السلفية والاصلاح**، منشورات سليكي إخوان، طنجة،٢٠٠٧،

٧. البعقيلي (إدريس)، **علماء القوات الشعبية: شيخ الإسلام محمد بلعربي العلوي المصلح النهضوي، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد ٢٧ أبريل ٢٠١٣.**

٨. الجراري(عبد الله)، **من أعلام الفكر المعاصر: الرباط وسلا**، الجزء الأول، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٧١.

٩. الحجوي (محمد)، **الخبر عن دولة المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح ١٢٨.

١٠.الحجوي (محمد)، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي**، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٥.

١١.الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح١١٥.

١٢.الحجوي (محمد)، كلمة ألقاها بحضور تلاميذ مدرسة أولاد الأعيان بالرباط سنة ١٩٤٢، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١١٨.

١٣.الحجوي(محمد)، **مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى**، تحقيق محمد بن عزوز، سلسلة علماء القرويين، رقم ٢، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

١٤.الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح ١١٨.

١٥.الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١٥٨.

١٦.الحجوي(محمد)، نسخة مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح١٥٨.

١٧.الحجوي (محمد)، نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ح ١١٣.

١٨.الحسني(إسماعيل)، **سؤال التحديث والاختيار الاستعماري في شخصية -محمد بن الحسن الحجوي نموذجا-**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

١٩.السراج (أحمد)،"**الفكر السلفي عند الشيخ محمد بن العربي العلوي**"، أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطابع ميثاق، الرباط، ١٩٨٩.

٢٠.عابد الجابري (محمد)، **المغرب المعاصر الخصوصية والهوية الحداثة والتنمية**، مؤسسة بنشرة، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

٢١.الكتاني (محمد)، **السلفية إشكالية المفهوم والممارسة**، أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، أصيلة، المغرب، ١٩٨٩.

٢٢.محمد الوديع الأسفي، **السلفي المناضل محمد بن العربي العلوي**، الدار البيضاء، ١٩٨٦.

٢٣.معروف الدفالي (محمد)، **القرويين**; والصراعات السياسية في المغرب محاولة رصد أولى، مجلة المناهل،يناير١٩٩٢.

٢٤.الفلاح العلوي(محمد)، **دور الفكر السلفي في تعزيز الحركة الوطنية داخل جامعة القرويين**،أعمال ندوة المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالمنطقة الوسطى الشمالية مابين ١٩١١-١٩٥٦، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بالرباط، ١٩٩٧.

٢٥.الفلاح العلوي (محمد)، "**السلفية المغربية بين محمد بن الحسن الحجوي ومحمد بن العربي العلوي**"، مجلة المناهل، عدد ٢٤،شتنبر ٢٠٠٠.

٢٦.السراج (أحمد)، "**الفكر السلفي عند الشيخ محمد بن العربي العلوي**"، أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطابع ميثاق، الرباط، ١٩٨٩.

٢٧.فنيتير (مصطفى)، "**تقرير سري لسلطات الحماية الفرنسية حول النخبة المغربية بداية عهد الحماية**"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد

٢٨.الصولبي(حميد)، "**نازلة الحماية في نظر الفقيه المغربي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، العددان ١٦ و١٧،٢٠٠١-٢٠٠٢.

٢٩.نسخة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٣.

٣٠.اليزيدي(محمد)،"**محمد بن الحسن الحجوي ومندوبية الصدارة العظمى في العلوم والمعارف على عهد الحماية الفرنسية**"،دعوة الحق، عدد ٣٨٠، السنة ٤٥،٢٠٠٤.

جينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه

أ.عبد الله مصطفى/جامعة لونيسي علي البليدة ٢ أ.غريب مختار/جامعة قاصدي مرباح،ورقلة

ملخص:

لقد استند نيتشه في ثورته على الأخلاق السابقة و السائدة على المنهج الجينيالوجي الذي يقف وجها لوجه أمام الميتافيزيقا كما فهمها **هيجل** و التي تسعى إلى بلوغ الوحدة و الكمال و تتأسس على مقولات الكلية و التشابه و الاستمرار و الامتداد و التواصل،لتقوم الجينيالوجيا على مقولات المغايرة و التمايز والقطيعة مع كل ما من شأنه أن يقضي على الخصوصية،و قد قام نيتشه بعرض تاريخي لتوضيح التطور الذي عرفته الأخلاق في تداولها بين أخلاق السادة و أخلاق العبيد أو القطيع موضحا خصائص كلا منهما في إطاره التاريخي.

الكلمات المفتاحية:جينيالوجيا،الأخلاق،نيتشه.

١ - الجينيالوجيا في مقابل الميتافيزيقا:

يعتبر التفكير النيتشوي تفكيرا ثائرا بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد على مختلف موضوعات الآكسيولوجيا الجمالية و المعرفية و الأخلاقية بل حتى الميتافيزيقية التي تدعي بلوغ الكلية و الوحدة و الانسجام و هذا ما كرسته الفلسفات المثالية من **أفلاطون** إلى اكتمال حلقات الفلسفة و بلوغ الكلية في النسق الهيجلي.

فالتفكير في تجاوز الميتافيزيقا كان نتيجة للنسق الهيجلي المطلق الذي يقدم الميتافيزيقا على أنها اكتمال للفكر في لحظاته التاريخية التي لا يخرج تاريخ الفلسفة عنها، فالفكر المعاصر عند هيجل لا يعتبر وليد الأفراد الذين يصنعون الحاضر بل هو وليد تراث الفكر البشري بأجياله المختلفة " فليس الماضي في تاريخ الفكر إلا أحد مظاهر ذلك الفكر و ذخيرة العقل الواعي بذاته،تلك الذخيرة التي تنتمي إلى عصرنا،لم تولد بطريق و مباغتة،و لم تنبع من أرض الزمن الحاضر،إنها تراث،و بعبارة أدق أنها حصيلة عمل جميع الأجيال السابقة للجنس البشري".[١]

و بهذا فالفلسفة بهذا المدلول مطابقة لتاريخها و هذا ما ينتج عنه أن الاستمرارية في التاريخ هي استمرارية للفلسفة حيث تكون جزئياته و عناصره هي الفكر و اكتمال التاريخ و هو بلوغ المطلق في الفكر و هنا ترتفع الميتافيزيقا إلى مستوى التاريخ و تكون المعرفة المطلقة هي جمع الشتات في التاريخ و توحيده فيه " كل فلسفة هيجل مثلا ، و هي ذروة الفلسفة المثالية ، لم يكن لها سوى هدف واحد،أرخنة المقولات"[٢]

فإحالة الخصوصية إلى العمومية و المختلف إلى المتشابه و الشتات إلى الوحدة و الكلية التي ترمي إليها المثالية المطلقة ما هي إلا طمس للفردانية و الخصوصية و إذابة للأنا في الآخر و الفرع في الجذع ، أين يستحيل الأفراد إلى نماذج يحاكي بعضها بعضا استنادا إلى محض ظلال تكرس مقولات الوحدة والكلية و التشابه و الأصل و الاتصال ، لذلك كان هدف الفلسفة

النيتشوية البحث في الأسس و الأصول استنادا إلى المنهج الجينيالوجي و الذي يقصد به دراسة النشأة و التكوين لإثبات النسب و الوقوف عند الأصول غير أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الجينيالوجيا هي البحث في الماهيات الخالدة و القيم الثابتة و لا البحث في الأصل التاريخي " ذلك أن مرمى التاريخ الجينيالوجي ليس هو استعادة جذور الهوية ، وإنما القضاء عليها منذ البداية، إذن تضع الجينيالوجيا نفسها في مقابل الميتافيزيقا .إنها تاريخ مضاد للتاريخ الميتافيزيقي. فبينما يتوخى إثبات الوحدات و إقامة الهويات و الوقوف عند الماهيات الخالدة ، ترمي تلك إلى هدم الموحد و تقويض الهوية ...الجينيالوجيا لا تقيم الأسس .إنها لا تؤسس ، بل على العكس من ذلك إنها تقلق ما تعتقده الميتافيزيقا ساكنا و تفتت ما تظنه موحدا ،و نظهر التنوع في ما يبدو منسجما."[٣]

فالجينيلوجيا ليست شجرة للأنساب تربط الفروع بالأصول بل تسعى إلى إبراز الخصوصية فمنهجها ليس تركيبيا بل تحليليا يحيل كل متشابه إلى مختلف و كل وحدة إلى تفرقة لاستنطاق البسيط و إجباره على فرض تمايزه .

فالثورة التي قام بها نيتشه في الإطار الأخلاقي لا تقل أهمية عن الثورة الكوبيرنيكية التي قام بها كانط في إطار المعرفة ، فإذا كان كانط يتحدث عن نقد العقل العملي فهذا النقد عند نيتشه عاجز عن التغيير ، و إذا كان كانط يعتبر الذات مساهمة في المعرفة من خلال مقولاتها القبلية فنيتشه يعتبر الذات مصدرا للقيم و ليست مساهمة فحسب،فلم يكتف بتغيير القيم في الفكر الغربي المعاصر بل سعى إلى تحطيم الأسس التي قامت عليها باعتبارها أوثان و استحالت الميتافيزيقا عنده إلى جينيالوجيا.

وظّف نيتشه منهجه الجينيالوجي لتحطيم الأخلاق السائدة في ثلاث لحظات،اللحظة الأولى في تصنيف الأحكام الأخلاقية التي صدرت عن مختلف الشعوب ، و الثانية في تفسير الوقائع الأخلاقية و تحديد أي نوع من الناس كانت لهم هذه الأخلاق و اللحظة الأخيرة تتمثل الحكم على كل صنف من هذه الأصناف الأخلاقية لمعرفة أي منها اقدر على البقاء في الحياة و التي تمتلك القدرة على الارتقاء " و بدأ نيتشه في تحليله للأخلاق عبر العصور بأخلاق الشعوب البدائية،ثم أخلاق العصر اليوناني و بعدها أخلاق العصر الوسيط و أخيرا أخلاق العصر الحديث معتمدا في ذلك عل منهجه الجينيالوجي".[٤]

٢ - أخلاق الشعوب البدائية:

يرى نيتشه أن أخلاق الشعوب البدائية قد تميزت باللاأخلاقية و ذلك باعتمادها على كل الوسائل و الحيل و المكر للتوغل في الحياة الاجتماعية و فر ض السيطرة كرمز للغلبة و القوة،غير أن هذا كان تمهيدا لصنع نماذج يفسر على ضوئها السلوك الإنساني و هنا بدأت صناعة العوالم الوهمية التي كرسها مبدأ الأخلاقية،و التي كانت في مجملها ترجمة للعادات و التقاليد و القيم التي تفرضها السلطة العليا على المجتمع، و يقاس سلوك الأخلاقي للفرد عند هذه الشعوب بمدى قدرته على الامتثال و الخضوع لهذه الأعراف و هنا نكون أمام سلما تراتبيا للقيم معياره العرف الاجتماعي،حيث أضحى مفهوم السيئ واللاأخلاقي مرادف لمعنى الفردية باعتباره انحرافا عن الإرادة العامة و رفضا لتقاليد المجتمع،التي لا تأمر بغية تحقيق المنفعة و إنما لأنها تأمر فحسب،حيث يكون الإنسان الأكثر تخلقا على حسب العقلية البدائية هو ذلك الذي" يحافظ على القانون حيث وجد،إلى درجة أنه يخلق لنفسه فرصا لطاعة هذا القانون ، و ثانيا هو إنسان يطيع القانون حتى في أصعب الظروف،فيكون الإنسان الأكثر تخلقا ذلك الذي يضحي كثيرا من أجل الأعراف"[٥] فالتجارب الفردية كان محكوم عليها بالفشل أمام قدسية العرف غير القابل للنقاش فلا مجال للتغيير أو التصحيح أو التجديد ، فهذه الأخلاق بالنسبة لنيتشه لا تليق بالبشر و ذلك أنها تمحي خصوصية الفرد و تذيبه في الآخر ، كما يغلب عليها التملق و النفاق و المحاكاة أين تندثر قيم الحياة فهذه القيم هي قيم القطيع .

٣ - الأخلاق في العصر الإغريقي:

أما حديث نيتشه في عن الأخلاق اليونانية فهو ترجمة لدراساته الفيلولوجية و المحاضرات التي ألقاها في الجامعة ، حيث درس في عامه الأول مسرحية "حاملة القرابين " لأسخيلوس، و في العام الموالي درّس مسرحية " هيزود " "ايرجا" و مسرحية " سوفوكليس" و " أوديب ملكا"... و في صيف١٨٧٢ كتب كتاب " ميلاد التراجيديا " .و قد شكل الفكر اليوناني منعرجا حاسما في صقل فكره الأخلاقي ونخص بالذكر أخلاق الفلسفة اليونانية قبل السقراطية التي سيطرت فيها النزعة الرومانتيكية التي تمجد قوة الغريزة و الحياة و اللذة ، و يتحدث نيتشه في كتابه " ميلاد التراجيديا " عن العصر اليوناني الهيليني بلغة شاعرية ، بعاطفة عاشق حتى الموت ، يقدم فيها ديونيزوس نفسه على أنه مصدر القيم . وديونيزوس كما جاء في الأساطير اليونانية شخصية أسطورية، ولد من رماد أمه سيميلي وبعدما طلبت من زوجها زوس **Zeus**، إله الآلهة أن يظهر لها في كمال مجده، وهو طلب مفخوخ دبرته الآلهة هيرا، تحول إلى صاعقة بعدما امتثل الى طلبها، فأحرقت سيميلى، ومن رمادها ولد ديونيزوس. بهذه الطريقة المأسوية ولد ديونيزوس، وتكفلت أرواح الغابات وربات الفنون بتربيته وتنشئته ، و كان ديونيسوس يزرع الكروم و يصنع الخمور و يلهم الناس بعظمة النشوة و متعة الغريزة و نعيم الجسد ، الذي ينقل الروح إلى حال الفن و الشعر و التنبؤ ، فقد كان ديونيزوس هو أصل التراجيديا والنقطة المحورية للفن اليوناني. قصة إبداع الحضارة الهلينية التي تحققت في الأسطورة و تمظهرت في الحياة اليومية التي لا تعرف للتعب مكان و لا للخوف مجال و لا للالتزام طريق .

فبفضل الموسيقى والأسطورة تتخلص التراجيديا من الواقع والعالم الخارجي الذي يقيد كل الغرائز ويقضي على كل تطلع في الحياة ،فالأسطورة بمثابة حفر في الجينيالوجيا و تاريخ الإنسان وعمق ماضيه السحيق. فعبر الأسطورة نتواصل مع التاريخ الأصلي، ونحتضن الزمن الأول، الزمن المقدس، أو الزمن الأبدي وباستعادتنا له ننسى كل شيء، ننسى أقسى الألم، فأكبر الألم عند الإنسان وأقساه هو الموت، والتراجيديا في عمقها وجوهرها مقاومة للموت نفسه، والحلول في الزمن الأبدي: مع ذلك، يظل الموت حاضرا أو قائما فهو قدر محتوم ،و إذا كان كذلك فعلى الأقل لنختر كيف نموت- أي أن نموت بكرامة وشرف- وطبعا هذا لا يتأتى في نظر نيتشه إلا بالمواجهة البطولية. فيجب أن نموت أحرارا منتصرين، أي أن نختار موتنا ونتوجه إليه بعزم وإصرار بتحد وبطولة. فالموت البطولي، أجَّل من الموت جبنا. على هذا الأساس تقوم التراجيديا عند نيتشه على الشرف في ساحة المعارك و على التعبير عن الذات التي تستمد كل معانيها من قوة الغريزة . فالأبطال التراجيديون يختارون موتهم ببطولة وشجاعة وإقدام. فهم يعرفون أنهم سيموتون إلا أنهم يختارون موتهم، ويذهبون إليه في مواجهة و ببطولة وإقدام، فهم يعلمون أنهم سينهون وجودهم في مواجهة الآلهة إلا أنهم مصرون على التحدي و المواجهة ، هذا هو مفهوم التراجيديا عند نيتشه فهي ليست أقل من " بؤرة الحياة الأبدية ، وانفتاح لا نهائي نحو الآفاق المجهولة، إن التراجيديا مقاومة للموت ، و ممارسة للذة في الألم ، التراجيديا معانقة للمتعالي "[٦]

ففلاسفة هذا العصر هم الأقدر على الوجود فهم المخلصين لأرض الإغريق فبهم اكتملت الحضارة وبلغت ذروتها ، فقد عمروا الحياة حيوية و تدفق بالمعاني " مجتمع المعلمين الأوائل في اليونان ، طاليس ، أنكسمندريس ، هيراقليدس ، بارمينيدس ، أنكساغوراس ، أمبادوقليدس ... هؤلاء الرجال مسكوبون قطعة واحدة في نفس الصخرة ، و هناك ضرورة صارمة تحكم العلاقة التي تربط فكرهم بسجيتهم ... لقد كانوا جميعا في وحدتهم المهيبة ، و الوحيدين الذين عاشوا حينذاك للمعرفة فقط ، و كلهم يتمتعون بقوة القدامى التي يتفوقون بها على الأجيال اللاحقة "[٧]

فالمرحلة قبل السقراطية ميزها فلاسفة مأساويين ، و فيها سيطرت النزعة الرومانتيكية حيث سيرتهم الغرائز للتعبير عن ذواتهم من خلال الفن و التعبير عن أهوائهم و نزواتهم في الاحتفالات التي تشبه الأعياد " هذا هو الشيء الوثني المحض في

العالم اليوناني ، و كانوا يطلقون على كل ما له شيء من القوة في الإنسان اسم الشيء السماوي و من هنا يظهر استقلال العقل لدى اليونان عن مجال الأخلاق "[٨]

و على خلاف المرحلة الأولى كانت المرحلة السقراطية قائمة على تمجيد العقل، والجدل، والمنطق وعلى التفاؤل بنتائج العلم والوصول إلى الحقيقة وبالتالي بلوغ الفضيلة والسعادة، فإنها قد حكمت بالإعدام التام على التراجيديا اليونانية خاصة والحياة عموما، وفي هذا الكلام ازدراء للفن والشعر، بل ونفي للغريزة **Instinct** المرتبطة بالجسد عند نيتشه ، فالغريزة أو الجسد قوة فاعلة متعالية عن العقل والحكمة وعن الجدل والمنطق... إنها مصدر النشوة والفرح واللذة، إنها القوة الجارفة نحو المستقبل المجهول، بل إنها الحياة في نظر نيتشه، إلا أن نظرة سقراط لها نظرة مقلوبة حيث بين أن سقراط ينتسب حقا إلى عالم خاطئ مقلوب في الطبائع الإنتاجية،فالسعادة عنده بنت الفضيلة و ليس اللذة كيف لا و قد كان شعاره " الفضيلة معرفة ، لا نذنب إلا عن جهل ، الإنسان الفاضل سعيد"[٩].

من هذا المنظور،يكون سقراط والمعرفة ككل نفيا للحياة لأنها - في نظر نيتشه خدعة ونذالة، لأنها تحجب فعل الغريزة، ورحابة الحياة. وهذه الأخيرة أكبر من العلم ومن المنطق، ومن الجدل ومن الكلام النظري وأكبر أيضا من الوعي والعقل... وما المعرفة إلا تخوف من التشاؤم وطريقة للهروب، لأن العلم مهما وصل والمعرفة مهما بلغت إلا و لها حدودا تقف عندها. من هنا، يفسح نيتشه المجال للغريزة والفن وللمسرح والموسيقى وللحياة عموما. وليس غريبا، والأمر هذا بان يسمي نيتشه، الحكيم سقراط "بالشيطان الجديد " لأنه لا يفهم التراجيديا ويحتقرها، ولا يحتفل بالموسيقى ويتهرب من ديونيزوس .

إن زوال عهد الملحمة و حلول عصر الفلسفة في أثينا قد قضى على التراجيديا و قوض كل الأسس التي يتفتق فيها عنصر الحياة و ينبجس منها سبيل الخلاص الأبدي المفعم بالإرادة اللامتناهية في اللذة والتي تسيرها القوة و العنفوان و تشهد عليها الحروب و البطولات و يكرسها الديونيزوسي في ثمالته الأخاذة إلى عالم التحرر السرمدي ، فبينما يضحي سقراط بالتراجيديا لفسح المجال أمام الفلسفة ، يثور نيتشه على القيم السقراطية فهو لا يتوانى عن الرد على سقراط و أتباعه المرضى فبين أن العقل الذي تصور أنه العلاج لم يكن عن اختيار " بل كانوا مرغمين في أن يختاروا إما الغرق في فوضى الحواس ، أو يصبحوا عقليين ، لكن سقراط لم ينتبه إلى أن القضاء على الغرائز هو الانحطاط ذاته بحكم أن الغريزة والسعادة متماثلان"[١٠].

غير أن الانحطاط و قلب سلم القيم الذي ثمّن المعرفة وبحث عن الحقيقة و رأى في الفضيلة عنوانا للسعادة بالنسبة لنيتشه لا يرجع إلى سقراط فقط ، فهو نابع من تعاليم هيراقليدس القائلة أن المعرفة الحسية باطلة لارتباطها بالعالم الخارجي الذي يحكمه التغير وفقا لقانون الصيرورة ، ليسير سقراط في نفس مساره و يبحث عن التصورات الكلية في عالم الأخلاق ، و لهذا استنتج أفلاطون أن المعرفة العقلية هي المعرفة الحقيقية الثابتة التي تفترض الوجود الثابت موضوعا لها ، وهذا ما يعيبه نيتشه عن أفلاطون حيث أنه تشيّع لأستاذه الذي شوّه الثقافة الإغريقية ، فهو الذي حط من قيمة الغريزة و دعا إلى قيم الفضيلة الخاضعة للعقل وبهذا فقد احتقر الحواس و اعتبرها ميزة للعبيد ، و اعتبر التحرر من الحواس واجبا أخلاقيا لأنها تشوش طمأنينة رجل الأخلاق و تحجب عنه المعرفة الصحيحة،كما احتقر الواقع الفعلي الذي يعيشه الإنسان و وقف موقفا متنكرا للانفعالات والغضب و أخضع الفن للعقل حيث أفرغه من محتواه المتأجج بغريزة الحياة و هذا ما تؤكده مبادئ الحكم لديه " أي عمل ليس جميلا إلا إذا خضع للعقل "[١١]

فقد تحولت الفضيلة عند سقراط من قيمة إيتيقية تقاس بالخير و الشر إلى قيمة ابستمولوجية ، فالمعرفة عنده فضيلة و إذا تجنب الإنسان الأخطاء فإنه يضمن السعادة لذلك كان شعار الأخلاق السقراطية " الفضيلة معرفة ، لا نذنب إلا عن

جهل ، الإنسان الفاضل سعيد " و هنا أخذ الصراع مداه بين سقراط وديونيزوس بين الشغف و حرقة الحياة و الانغماس في اللذة و التعلق بالغريزة و الموت الذي هيّأه سقراط و ترجمه أفلاطون في برجه العاجي و مدينته الفاضلة .

٤ - أخلاق العصر الوسيط:

هذا عن أخلاق العصر الإغريقي، أما أخلاق العصر الوسيط فقد اكتست بصبغة انتكاسية تسببت فيها القيم الدينية بتراجع لا ينتهي من الانحطاط و الخضوع لنماذج لا تضع الإنسان إلى في أوضع الدرجات مع هذا فهو الذي يصنع القيم و " يرى نيتشه أن اليهود هم أول من قاموا بثورة العبيد في الأخلاق فهم الذين تجاسروا على قلب معادلة قيم السادة : خير = نبيل = قوي = جميل = سعيد = محبوب من الله - إلى معادلة عبيد : خير = وضيع = ضعيف = مشوّه =بائس = مملوء بالخطايا ...فكان بين اليهود و الرومان كفاح قس ، بلغ اعنف صوره في المسيحية التي ليست في نظر نيتشه إلا صورة من صور اليهودية ...فالمسيحية هي خليفة اليهودية إذن".[١٢]

فالمسيحية و بإيعاز من اليهودية ألقت بالأخلاق في أحضان العبيد منذ القرن الثاني للميلاد و استمرت حتى الفترة المعاصرة و كان من نصيبها الظفر بإحلال القيم المعادية لقيم السادة فهذه الديانات هي ديانات المرضى التي تفسد غرائز الإنسانية و تدخل في صراع أبدي مع الحياة بدلا من تمجيدها ، فلم تكن ثورة نيتشه على الأديان فقط بل كانت ضد الكهنة حيث أن الكاهن عند نيتشه " المخلص الكاذب لأن أي مكان يطبق فيه علاجه يكون المرض قد استفحل ، كما أن الكاهن مقتنع بأنه على كل قوة في الأرض أن تستمد منه معناها و حقها في الوجود و قيمتها بوصفها أداة إبداعه هو ، و بوصفها وسيلة و سبيلا نحو هدفه هو"[١٣] فالمسيحية كاليهودية عملت على تكريس قيم الانحطاط و الهوان من خلال تثبيتها لفكرة العالم الآخر ، و وضع الضعف موضع القوة و اللين موضع العنف والحب موضع البغض و السلام موضع الحرب و الحرية موضع العبودية ، هذا ما سعى إليه القديس بولس مدبر استيلاء الكهنة على السلطة و المؤسس الحقيقي للمسيحية المزيفة من خلال إثارة العواطف و الوجدانات من خلال الخطاب اللغوي الذي يتلخص أساسا في حب الإله و الإيمان به و الإذعان له و طلب المغفرة و الخلاص باسم الخطيئة التي ما هي عند نيتشه سوى " وهما ناشئا عن انحراف نفسي و رغبة في معاقبة و تأنيب الذات ".[١٤]

كما سعت أخلاق العصر الوسيط إلى تكريس فكرة الشفقة باعتبارها شعورا نبيلا يتصدر سلم القيم الأخلاقية غير أنه شعار يبطن مالا يظهر فظاهره العطف على الغير و التسامح معهم و باطنه الخداع والأنانية ، كما رفض نيتشه هذه الفكرة لأنها تبعد المرء عن ذاته و تفقده فردانيته ، كما أن الديانة المسيحية عند نيتشه تقضي على كل مظاهر القدرة البشرية و تحيل مفاهيم التفوق و القدرة و القوة والسيطرة إلى القوى المفارقة التي يكون الإنسان خاضعا لها و كان كتاب " أفول الأصنام" ملخصا لهذه الأخلاق المغلقة.

٥ - أخلاق العصر الحديث :

أما عن موقف نيتشه من أخلاق العصر الحديث فهو ليس بأحسن حالا من موقفه من أخلاق العصر الوسيط ، فقد أعلن حملته على الأخلاق الكانطية التي يحكمها النقد غير أن هذا النقد بالنسبة لنيتشه نقد فارغ و شكلي و عرضي طالما اكتفى بالقول وفقا للأسس ترنسندنتالية متعالية تتجاوز حدود الواقع المعطى، فكانط لم يعرف كيف يطرح مشكلته بتعابير القيم فبدلا من النقد الراديكالي للإنحطاط الاخلاقي الذي كرسه رجال الدين و احتضنته الشعوب يبحث كانط عن الاسس

القبلية التي تقوم عليها الاخلاقية " الأخلاق الحقيقية تسخر من الأخلاق،لم يفعل النقد شيئا طالما لم يتناول الحقيقة بالذات ، و المعرفة الحقيقية ، و الأخلاق الحقيقية ، و الدين الحقيقي "[١٥]

فكانط بالنسبة لنيتشه قد أفرغ النقد من مدلوله الحقيقي لأنه تجاوز الواقع التجريبي إلى ما ينبغي أن يكون ساعيا إلى بلوغ المطلق و الكلي الذي يتجاوز حدود الزمان و المكان ، فهذا الأساس الصوري للأخلاق الكانطية لا يمكن اعتباره إلا وهما لابتعادها عن المشاكل الحقيقية التي تعانيها الأخلاق ، كما اعترض نيتشه على الفكر الهيجلي الذي يعتبر اكتمال لحلقات الفلسفة و الأخلاق "... أن يوصف بالمناهض أيضا لهيجل لأن هيجل يقدم فكره على أنه إتمام للثقافة التي يشتملها و يوجهها بكاملها،في حين أن نيتشه يرفض على العكس هذه الثقافة عند قاعدتها بالذات فبرأيه و بفعله إنما تنهار الحضارة بأكملها و ينبغي أن تبدأ من الصفر من جديد و تبني شيئا آخر".[١٦]

إن التراجيديا قد بلغت مقصدها و وجدت مكانا لها بين نفحات الفكر النيتشوي الذي وجد في فلسفة شوبنهاور ملاذا لها هذه الفلسفة التي لا تتنفس إلا التشاؤم و لا تعرف إلا القلق،كيف لا و هو من أحسن من تغنى بالتشاؤم و عبر عن آلام الحياة حتى أن نيتشه توهم ان شوبنهاور و كأنه يعبر عن خوالجه،فالحياة عند شوبنهاور شديدة الارتباط بالإرادة التي ليست سوى مصدرا للرغبات التي نعجز عن إشباعها،فغاية الوجود تكمن خارجه أي في القضاء على إرادة الحياة،وقد امتثل شوبنهاور لهذه الإرادة و دعي إلى التخلص من الحياة و القضاء عليها لأنها مصدر الشقاء،وهذا ما أعابه نيتشه على شوبنهاور لأنه أراد أن تكون الحياة كلها صراعا و كفاحا للتغلب على هذا الألم في جو تراجيدي تتلاطم فيه العواطف و تنبجس منه الروح الديونيزوسية المتشبعة بإرادة القوة التي ترفض الاستسلام و الخمول و تطلب الحياة ، و كانت إرادة الحياة أقوى من أن تقاوم عند نيتشه و هي التي أيقظته من تأثير سحر شوبنهاور " فليودع نيتشه هذا التطور من حياته ، و ليترك بذلك النوم الذي انتهى وقته و ليفتح عيناه على ضوء فجر جديد ، تلألأت في الأفق أضواء ليصيح بأعلى صوته " ها أنا ذا استيقظ من حلمي العميق"[١٧] .

فالأخلاق بمفهوم شوبنهاور مبنية على الشفقة و الرحمة،و بهذا فهي تتنافى مع طموح وإرادة الحياة عند نيتشه " الشفقة و اللاأنانية و إنكار الذات كلها قيم عمل شوبنهاور على تقديمها، و رفعها إلى مجال الماورائيات و اعتبرها أخلاقا في ذاتها ، و عليها أسس نظريته في إنكار الحياة "[١٨] ،كما أن موسيقى فاجنير التي كانت مطمعا للظفر بالروح الدينوزوسية قد تحولت إلى ضعف و خمول و هدوء و ارتخاء لا يمكنها بأي حال الارتقاء إلى مصاف الآلهة.

إن حال اللاإستقرار التي كابدها نيتشه و ولدت إعصارا يعصف بكل ما يحاذي سبيله ، و حتى مع من قاسموه فكرهم ، إنه رجل أقدار لا يترك للصدفة مسار فهو يرغم الصديق قبل العدو على اتخاذ القرار فهذه هي الثورة على كل ما اعتبر صحيحا و صادقا و خيرا و نبيلا و مقدسا و سلاحه في ذلك الجرأة التي لا تعرف المحاباة و سخريته اللاذعة الحماسية ، أسلوبه و لغته الألمانية العنيفة و التغيير الذي ليس له حدود ، فهو الثائر على الدين و الفلسفة و الأخلاق و العلم لتحطيم الأصنام وبناء قيم تتعدى الحدود و تكسر القيود و تظهر المستور الذي ينادي كل منا في كهفه، في خلوته بنفسه ،في جبروته و غريزته ، إنها الهوى في اكتماله .

٦ - أخلاق السادة و اخلاق العبيد:

بهذا يميز نيتشه بين نوعان من الأخلاق أخلاق السادة و أخلاق العبيد الأولى مهد لها و أوجدها الممتازين من البشر و الثانية من صنع المنحطين و الرعاع منهم ، فقد نشأت الحضارات الكبرى في بدايتها على الإغارة على كل الأراضي التي تمر بها و هذا شأن الحضارة اليونانية و الرومانية و الجرمانية و بهذا فقد أخضعت كل الشعوب و فرضت عليها سلطتها مخترعة لنفسها

شِرعة من القيم الأخلاقية الملزمة التي تؤكد بها سلطتها و استمرار سطوها و نفوذها و تتوقف القيم التي يصنعها الفرد داخل طائفة السادة على قوته و أطماعه و مركزه و بهذا لا تقاس قيم الخير و الشر على الأفعال و إنما على الأفراد.

و تتصف أخلاق السيد الارستقراطي بأنه " محب للغزو، معتز بقوته ، قاس على نفسه و على الآخرين ، يحتقر الرحمة و يشمئز من الضعف و الضّعة و جميع أنواع الاستخذاء، و أبغض شيء لديه الكذب ونحوه من نفاق و ملق . و لا يتسامح و لا يعرف إنصاف الحلول، و المساومة و المداهنة... و لا يحفل بالحياة و لا نعمها، و لا بالطمأنينة و السلام ، إنه يجد النعيم في الانتصار و القوة و التحطيم، و يشعر بسرور عميق و هو يعذب الآخرين. و ما يقدم إليه من شر يقابله بالمثل بل بأضعافه ، و هو يقدس التقاليد و الماضي و يتخذ من ذكرياته مجالا للتفاخر و ينبوعا للقوة ..."[١٩].

إن السيد عند نيتشه هو الذي يصنع قيمه بذاته بعيدا عن كل سلطة خارجية دون أن يعبأ بالمفاهيم الأخلاقية السائدة من خير و شر و طيب و قبيح بل تكترث فقط للأخلاق التي تعبر عن " روح القوة التي يستشعرها المرء في ذاته و تلاؤم تلك النفوس الزاخرة و الشاعرة بأنها هي مانحة القيم و خالقتها ، و هي نفوس إذا صدر عنها الخير فهو لا يصدر عنها لخوف أو إكراه أو ضغط و لكن بإحساس قوي بالامتلاء الفيّاض"[٢٠].

أما حال العبيد المسودين فهي حال المقاوم الذي يسعى إلى فرض قيمه التي يمسخها الأرستقراطيون ، فهم يصنعون قيما جديدة تخالف قيم الأقوياء فذاك هو السبيل بما أنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالقوة ، أين يقلبون القيم فما يعتبره السادة خيرا اعتبروه شرا و ما اعتبره السادة حسنا اعتبروه قبيحا فالبطولات والقوة شرا و العجز يعتبر إحسانا و الطيبة و الضعف في رد الكيل بمثله يعتبر صبرا و الضعف في بلوغ الأعالي تواضعا ..." فإذا كانت صورة الرجل الجيد عند الارستقراطيين هي صورة الرجل المحارب المغامر الذي يريد السيطرة و الغزو و يفيض بالقوة ، و يحتقر التواضع و الجبن ، و لا يعرف الرحمة و التلطف ، فإن صورة الرجل الخير عند الآخرين ، عند هؤلاء العبيد المسودين ، هي صورة الرجل المسالم الوديع ، المتواضع ، الذي لا مطمع له في غزو و لا رغبة له في سيادة ، و الذي يحسب الضعف فضيلة ، والتعاطف و الرحمة أسمى القيم الأخلاقية "[٢١]

و بهذا تقف أخلاق العبيد أو القطيع وجها لوجه في تحد صارخ أمام أخلاق السادة في حقد دفين ، لكنها تحمل طابع الشفقة و تصطبغ بصبغة الضعف و تحتلي بزينة الرقة المتأنقة في رجولة فاضحة " و العبيد في نظر نيتشه هم الضعفاء و القطيع و الرعاع و هم الفاشلون و المنحطون و المنهزمون"[٢٢].

غير أن استباحة أعراض العبيد و التنكيل بهم و الحط من مركزهم و احتقارهم و إهانتهم من قبل السادة يخلق لديهم من جرّاء هذه الإساءات المتلاحقة شعور بالحقد المتنامي المتمخض عن العجز و الضعف والنتيجة التي ينتهي إليها هذا الطغيان هي إبداع العبيد قيما مضادة تستمد شرعيتها من القول بحرية الإرادة كاستنكار للذات من السيطرة الخارجية التي تتعرض لها و القول بوجود ذات منفصلة عن الجسم وهي الروح و هي مصدر الفضائل " أصبح خلاقا لديهم إلى حد توليد القيم "[٢٣] ،فعن طريق هذه الشعارات الواهية و غيرها تم للضعفاء العبيد و المضطهدين إقناع غيرهم بأن الضعف اختيار ذاتي وليس إلزاما خارجيا يعبر عن النبل و الحياء و الرقة و الزهد و تحولت هذه الصفات خصال حميدة تميز العامة والأغلبية في المجتمع ، هذه هي الثورة التي قام بها العبيد على الأرستقراطيين و السادة فهي صراع تاريخي بين أخلاق السادة و أخلاق العبيد ، و قد أكد نيتشه أن الساميين هم السباقون إلى قلب القيم النبيلة و تحويلها إلى قيم ضعف" و يرى نيتشه أن اليهود هم أول من قاموا بثورة العبيد في الأخلاق فهم الذين تجاسروا على قلب معادلة قيم السادة : خير = نبيل = قوي = جميل = سعيد = محبوب من الله ، إلى معادلة قيم العبيد : خير = وضيع = ضعيف = مشوه = بائس = مملوء بالخطايا"[٢٤].

فبسبب زوال دولة اليهود و معاناتهم من الطغيان و الاضطهاد زاد غليانهم إلى درجة إبداع قيم جديدة تضع كل قيم السادة من الرومان على المحك خاصة بظهور صور جديدة لليهودية و هي المسيحية بالنسبة لنيتشه فسادت قيم الضعف التي كرستها المسيحية منذ القرن الثاني للميلاد و استمرت حتى الساعة مرورا بانتصارات أخرى في حركة الإصلاح الديني مع مارتن لوثر و زونجلي و كالفن في القرن السادس عشر و الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر التي قضت على ما تبقى من النبلاء و الارستقراطيين و السادة غير أن نابليون بونا بارت سعى إلى إعادة إحياء قيم السادة لكنه سقط سريعا و كان آخر شعاع للسادة في اروبا .

فالحياة عند نيتشه هي المعيار الذي نحتكم إليه في تحديد الفضائل و الرذائل و التمييز بين الحسن و القبيح " حيث يحل محل الخير ذلك الفعل الذي يعلي من الحياة و يزيدها ثراء...و محل الشر ذلك الفعل الذي ينكر الحياة و يزيدها هزالا "[٢٥] إن الخير و الشر عند نيتشه لا تعبران عن الأفعال و إنما تشيران إليها وبهذا فهما فارغتان من المعنى ، و المبدع في الإطار الأخلاقي سيكون أمام رسالة هدم لكل القيم السابقة والسائدة، فكلمتي الخير و الشر كلمتان ثقيلتان "لأنهما ميراثنا بل الوصية التي لا تغفر لنا الحياة إلا بإتباعها".[٢٦]

إن الإنسان الأعلى عند نيتشه هو الذي يصنع قيمه بذاته متجاوزا و رافضا لكل سلطان على الإنسان أيا كان و كان ما كان حيث قام بعرض جينيالوجي للفكر الأخلاقي و للأخلاق التي سادت الشعوب منذ العصر اليوناني و حتى الفترة المعاصرة مثنيا عمن كانت لهم القدرة على فرض خصوصياتهم من السادة و الارستقراطيين الذين يصنعون قيمهم بذاتهم و الذين لا يعترفون إلا بالشجاعة و حب التملك و احتقار الضعفاء و مهينا و للعبيد الذين غلب على أخلاقهم الارتكاس و الضعف و اللجوء إلى الدين و التسامح كتبرير للضعف و الهوان .

قائمة المصادر و المراجع :

١- جورج زيناتي ، رحلات داخل الفلسفة الغربية ، دار المنتخب العربي.

٢-عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، المغرب،دار توبقال للنشر ، ط١: ١٩٩١ .

٣-عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول و الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسة والنشر،ط١: ١٩٨٤ .

٤- إدريس جبري ، مفهوم التراجيديا عند نيتشه ، مجلة فكر و نقد، العدد ١٥ ،١٩٥٥،الدار البيضاء .

٥- فريديرك نيتشه ، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي .

٦- فريديرك نيتشه ، إنسان مفرط في إنسانيته ، تر: محمد الناجي،المغرب، إفريقيا النشر،٢٠٠١ .

٧- عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

٨- نيتشه ، أصل الأخلاق و فصلها ، تعريب : حسن قبيسي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، ط١: ١٩٨١ .

٩- يوحنا قمير ، نيتشه نبي المتفوق ، بيروت ، منشورات دار دمشق ، لبنان ، ١٩٨٦ .

١٠- جيل دولوز ، نيتشه و الفلسفة ، تر: أسامة الحاج ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط١ :١٩٩٣ .

١١- بيار هيبر سوفرين ، زراديشت نيتشه ،تر: أسامة الحاج ، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، ط٢ :٢٠٠٢.

١٢- عبد الرحمن بدوي ، نيتشه ، وكالة المطبوعات الجامعية ، الكويت ، ط٥ : ١٩٦٥ .

١٣- عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء ٢.

١٤- فؤاد زكريا، نيتشه ،دار المعارف ، مصر ،ط٢ .

١٥- عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء ٢ .

١٦- يوحنا قمير ،نيتشه نبي المتفوق ، بيروت ، منشورات دار دمشق، ١٩٨٦.

١٧- عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء ٢ .

١٨- فؤاد زكريا، نيتشه ،دار المعارف ، مصر ،ط٢ .

19- فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زراديشت ، تر: فليكس فارس ، بيروت ، دار القلم.

20.Friedirich Nietzsche, L aurore , trad : Gulien Herviet , France Galimard ,1980.
21. F.Nietzsche, naissance de la tragédie, le livre de poche . librairie géniale française 1994.
22. Nietzsche , la crépuscule des idoles ,trad: Henri Albert mercure de France.
23.F.Nietzsche , La naissance de la tragédie , le livre de poche , . librairie géniale française 1994.
24.Nietzsche, la généalogie de la moral, présentation par Philippe Chaulet , Paris.
25. Nietzsche, la généalogie de la moral
26.Hegel, Leçons sur l histoire de la philosophie, trad: Gibelin , Gallimard, 1954.

جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2016

ISSN 2311-5181